الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري بقسنطينة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

رقم التسجيل .....
الرقم التسلسلى .....

تحقيق فهرس شيوخ
الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر
التِّنِلاني التّواتي(تـ1152هـ/1739م)

مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التّاريخ الوسيط

تخصص علم المخطوط العربي

ـ إعداد الطالب:
ـ عبد الكريم طموز

ـ تحت إشراف:
أ د ـ بوبة مجاني

تاريخ المناقشة : 21 ربيع الأول 1432هـ
الموافق: 24/ **02** /2011م

أعضاء اللجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي والبحث العلمي	رئيسة	جامعة منتوري
بوبة مجاني	أستاذة التعليم العالي والبحث العلمي	مشرفة ومقررة	جامعة منتوري
ساعد خميسي	أستاذ محاضر	عضو مناقش	جامعة منتوري
اسماعيل سامعي	أستاذ محاضر	عضو مناقش	جامعة الأمير عبد القادر

الموسم الدراسي

1431/1430هـ - 2010/2009م

الإهداء

أهدي ثَمرَة هذا العَمل
لوالدِيّ الكَريمَين خاصَّةً أدامَ الله إكْرامَهُما.

مقدمة:

حملت الفهارس والأثبَات كونها أحد فروع الاهتمامات العلمية في تراثنا العربي الإسلامي؛ معنى الإحساس العلمي، والشعور بالمسؤولية تحَمُّلاً وتحمِيلاً، فهي إحدى الأسُس الهامة لبناء الهيكل العلمي المتين، الذي يجمع شتاته من علوم و تآليف، ويفرّع شجرته في سائر الأقطار، ويمدّ سلاسله وأسانيده عبر الأجيال والأعْصُر، فألّف علماؤنا فهارسَهم و أثباتهم رعاية منهم لذلك، ورغبة منهم في حفظ العلم وشدّ علاقتهم بأهله، ووفاء منهم لذكرى شيوخهم، واعترافا بجميلهم وشكرا لهم وتشبُّها بهم، واغتباطا بما حصلوا وتحصلوا عليه من علوم، ورَوَوْا من تآليف وعلوٍّ للأسانيد، وربما ألّفوها إجازةً وتحقيقاً منهم لمن طلب منهم الإذن في الروايات أو الاتصال بأسانيد الشيوخ.

فكان بذلك تحقيقها واجبا وجوبَ تأليفها، تأديةً لأمانة أهل العلم، ووفاء لجهدهم ومواصلة لسعيهم، فما ألّفوها إلا لتكون في مُتناول من هو بحاجة لها؛ ووجب تحقيقها كذلك تلبية لرغبة العصر الملِحّة في التّعريف بهذا الجدّ والعطاء، والمآثر والمفاخر العلمية واغتباطا منّا لما كان عليه أسلافنا من اجتهاد ومثابرة في مجال العلم تحصيلا ونشرا، وما وصلوا إليه من السّمو الفكري معيار تقدّم الأمم وتطوّرها، فنستفيد من كل هذا معرفةً صحيحة تنير لنا الدروب التي لا تزال طويلة، وتشعرنا بما يجب أن نكون عليه.

كانت هذه الفهارس من نتائج الازدهار العلمي الذي عرفته أقطار العالم الإسلامي عبر العصور؛ وعلى غرار ذلك فقد تميزت منطقة توات خصوصا بما تميز به المغرب الإسلامي عموما، إذ عرفت أسَراً علمية كان لها الدور البارز في خدمة العلم وأهله وعمّت رقعة توات الشاسعة الزوايا ومدارس القرءان، وشملتها الحركة العلمية بما امتازت به من أدب الرحلات، وفقه النوازل، وتأليف الفهارس، والحرص من أجل الحصول على الإجازات والاتصال بأسانيد العلماء العالية وغيرها، فقد ربطها العلماء من داخلها وخارجها بأسانيد وسلاسل الأشياخ، نجد منهم في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بفهرسته، ومركزه بزاويته زاوية الشيخ بقصر بوعلي وبعده عالم توات عبد الكريم بن أمحمد بن أبي أمحمد التمنطيطي، في القرن الحادي عشر

الهجري/السابع عشر الميلادي، وفهرسته المخطوطة دليل على ذلك، وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وبعد رحلة عمر بن الحاج عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني المتوفى سنة1152هـ/1739م، صاحب الفهرس موضوع التحقيق، إلى فاس عام 1117هـ/1705م، نشط وبرز واشتهر مركز من المراكز الفرعية لتمنطيط هو مركز تنلان، ومن ورائه توات قاطبة، حيث عزّز عمر بن عبد القادر المنطقة بسند علمي آخر، جدّد به علاقة المنطقة بالعلم، وبعث بها نهضة علمية، وأحياها بعد ركود وأصبح أصلا له فروع، وفكرة لها دوام واستمرار، وتَرْجَم كل هذا ودلّ عليه أعلام ومؤلّفات ومرسلات ومناظرات ورحلات وخزائن وزوايا توات في هذا العصر وبعده.

فمن هو الشيخ عمر الأكبر؟ وإلى أي أسرة ينتمي؟ كيف كانت نشأته؟ وما هي ظروف وأوضاع عصره؟ متى رحل إلى فاس وما هي دواعي رحيله إليها؟ وعلى ما انطوت هذه الرحلة؟ وما هي أسباب رجوعه لتوات؟ وكيف كان دَوْره بها، وبماذا تميز نشاطه فيها؟ وإلى أي مدى أثّر فيها؟ وما يكون مؤلّفه الفهرس؟ وفيما تتجلى أهميته التاريخية والعلمية؟

التعريف بالمؤلِّف.

ولد مؤلّف الفهرس موضوع التحَقيَق، عمر الأكبر سنة 1098هـ/ 1686م، بقصر تنلان الواقع شمال شرق مدينة أدرار، كما تبينه خريطة أقاليم أدرار، في الملحق رقم 03 أحد قصور مقاطعة تيمي، ونشأ في زاوية جده لأبيه أحمد بن يوسف مؤسّس هذا القصر وزاويته، المتخرج من مدرسة البكريين بتمنطيط، حفظ المؤلّف بها القرءان وأخذ مبادئ العلوم.

رحل المؤلِّف إلى فاس سنة 1117هـ/1705م، وعمره تسع عشرة سنة رغبة منه في طلب العلم وتعلّقا به، ورجع منها 1129هـ/1717م، خرج المؤلِّف من توات وأهمّ ما يميّزها من الناحية الفكرية والعملية تواجد العديد من المدارس والزوايا متناثرة في أطراف توات، وبها عدد لابأس به من العلماء في العديد من الفنون؛ كابن أب والزجلوي وأبي الأنوار بن عبدالكريم والأداوعلي وغيرهم كثير، وانتشرت في أقطاره الأسر العلمية كالبكريين والكنتيين وغيرهم، مع أن المؤلّف ذهب إلى أن الوضع العلمي آنذاك كان في

أدنى مستوياته وذلك ما قرّره في أول فهرسه، وهذا ما تناولتُه بالتفصيل في دراسة الوضع العلمي في عصر المؤلّف، فمكث بفاس ثلاثة عشر سنة، في جدّ واجتهاد دارسا ومُدرّسا ورجع منها بالإجازات وشهادات الكفاءة والتمكّن، فتصدّر للتّدريس وتسيير زاوية جدّه وتولى قضاء توات، فذاع صيته وارتفع قدره، ومكث بتوات بعد رجوعه لها ثمانية وعشرين سنة، من سنة رجوعه 1129هـ/1717م إلى عام وفاته 1152هـ/1739م، في إنتاج وعطاء، فكثُر تلامذته من العلماء، وانتفع منه القريب والبعيد، ولم يكن له من التآليف سوى بعض التقييدات على المختصر، وطرر وحواشي في كتبه، وفهرسته التي جمع فيها شيوخه وهي موضوع التحقيق.

أسباب اختياره.

إن القيمة العلمية والتاريخية لهذا المخطوط، والوزن العلمي لصاحبه من أهم الأسباب الباعثة لتحقيقه، فالمخطوط يربط بيئتين توات وفاس، وهو نص من النصوص الدّالة على عصر المؤلّف، وخاصة في بيئة أساتذته فاس، ويعتبر سند توات العلمي وأهم مواثيقها العلمية التي تثبت به صلتها القوية بالعلم وأهله، فقد كان لمؤلّفه الأثر البعيد في التكوين العلمي للأجيال التي تعاقبت بعده، إذ نرى ذلك مجسّداً في الإنتاج العلمي للشيخ وطلبته وطلبة طلبته...، فجَعَلنا هذا الفهرس نربط بين الكتب الوارد ذكرها فيه، والكتب والمؤلّفات التي تزخر بها خزائن توات.

ومع ما لصاحبه من دور بارز في إحياء علوم الدين بتوات في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، إلا أنه لم يحظ رغم هذا بدراسة وتعريف به وبدوره، إلا ما كان من الإشارة إليه والى رحلته لفاس، فلم يُخَصَّص بدراسة تحليلية مستقلة في تأليف مستقل من قبل الباحثين والمهتمين، فيعد هذا أيضا من الأسباب المرغّبة في تحقيقه، و مما يبعث كذلك على اختياره موضوعا للتحقيق هو الأهداف والنتائج المستخلصة من تحقيقه الآتي ذكرها.

نسخ المخطوط.

وجدت لهذا المخطوط نسختين مختلفتين، إحداهما نسخة أصلية رمزت لها بـــ (أ) وجدتها عند الأستاذ الحاج أحمد الصديق، أستاذ بجامعة أدرار، لم تصرح بناسخها، ومما

تثبته القرائن والدلائل الواضحة أن ناسخها المؤلِف بنفسه، حيث نجد أن حواشيها مكتوبة بخط ويد المؤلّف نفسه، فالضمائر المستترة فيها تعود عليه، ولم يُثبت بعدها كاتبها عمن نقلها، لأن الناقل دائما يختم نقله بعبارة: من خط كاتبه وبدون واسطة، وأمثال هذه العبارات كثيرة، وهذا التمحيص تناولته بالتفصيل في مبحث وصف نسختي المخطوط، في الفصل الثاني من القسم الدراسي.

ولا يوجد بها تاريخ النسخ، وعدد أوراقها ثلاثة عشر ورقة، مسطرتها 24، مقياسها الطول 22 سم /العرض 18سم، متوسط عدد كلمات السطر13كلمة، ونوع خطها مغربي صحراوي قريب من السوداني الذي يتميز بكبر حروفه، قليلة الأخطاء الكتابية والتصحيف والسقط والتصويبات وغيرها، توجد بها التعقيبة وأوراقها سالمة من العيوب، إلا أنها غير متماسكة، وأطرافها متآكلة، مع سلامة نص النسخة وحواشيها، ولا يوجد عليها تمليك ولا إجازة ولا بيع، منتهية بدعاء وتوسل وابتهال.

والنسخة الثانية التي رمزت لها بالرمز(ب)، مكان وجودها خزانة بن الوليد الحاج الوليد، بقصر باعبدالله بلدية تيمي أدرار، ناسخها: محمد بن محمد عبدالرحمن بن محمد بن عز الدين نسخها من خط يد المؤلِف بتاريخ: ضحى يوم الأربعاء17 ذي القعدة الحرام عام 1242هـ/1826م، ومقياسها الطول 21,5 سم / العرض15,5 سم، عدد أوراقها خمسة عشر ورقة، ومسطرتها21، متوسط عدد الكلمات في السطر13كلمة، نوع الخط مغربي متمشرق، وتوجد بها كذلك التعقيبة ، وهي أوضح وأسرع في القراءة من (أ)، سالمة من العيوب المادية فلا توجد بها خروم ولا تآكل.

هذه الفهرسة التي اصطُلح بين الباحثين والمهتمين بالتراث التواتي على تسميتها بالرحلة، هو اصطلاح خاطئ، وإن وجدت على نسخ المخطوط، ومع أن أصل بعض الفهارس رحلات واصطلح عليها باسم الرحلة الفهرسية، إلا أن الصحيح ما أثبتته المصادر، وطابق حقيقتها ومادة تأليفها، إذ اشتملت على معظم مقوّمات الفهرس الأصلية التي منها: ذكر الشيوخ والترجمة لهم، ذكر العلوم والكتب المروية، وذكر السلسلة العلمية

فلطغيان مقومات الفهرس بها، وخلوها تماما من مقومات الرحلة، كان الأجدر أن تسمى فهرس شيوخ.

ومن المقومات الفهرسية كذلك أن المؤلِف أورد مسائل علمية وحقق فيها فكانت هذه الفهرسة متنوعة المحتوى، فبعد التقديم سرَدَ المؤلّف العلوم التي درسها عِلماً بعد علم، بدءاً من القرآن و تجويده إلى علم الحساب، مرتبةً حسب الأخذ، وترجم بعدها لثمانية شيوخ تراجم متفاوتة الحجم، واصفا لهم ولتمكنهم العلمي، ولمجالسهم وطرق تدريسهم وعلاقتهم مع طلبتهم، وأوْرَد في بعض تراجمه لهم مناقشات في بعض المسائل كانت له معهم وتحقيقه فيها، وذكر بعد هذا نشاطه التدريسي بفاس بالقرويين والمدرسة المصباحية، وأهم ما درّس من علوم وطريقته في التّدريس، وختم الفهرس بذكر سلسلتيْه الفقهية والصوفية.

الأهداف والنتائج من دراسته.

إن من النتائج المرجوة من تحقيق هذا الفهرس ما يلي:

التعريف بعدد كبير من الأعلام في شتى ميادين العلوم التي وردت فيه، مغاربة ومشارقة، الذين ربما ذكر المؤلِف لأحدهم كنيته أو لقبه فقط.

التعريف بالكتب المذكورة في الفهرس مطبوعة أم مخطوطة، والإشارة إلى قيمتها العلمية، ونسب الكتب المذكورة بدون مؤلفيها لأصحابها، فقد أشار المؤلّف إلى عدّة كتب غير متدَاولة في عدة فنون، كذكره كتاب ثمانية أبي زيد، والدمياطية، وكتاب محمد وروضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، والمُقنِع مُختصَر أبي مَقْرع وغيرها بالرجوع إلى كتب التراث ككتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وكشف الظنون لحاجي خليفة وفهارس المخطوطات كفهارس الخزانة الحسنية بالرباط لمحمد العربي الخطابي وغيره.

دراسة سلسلة الشيخ الفقهية والصوفية أو ما يسمى بالسند العلمي، والتحقق من التسلسل التاريخي لهما، والترجمة لأعلامهما، والتنبيه لما وقع فيهما من الأخطاء إن كانت.

تحقيق المسائل الواردة في الفهرس تحقيقاً علمياً، التي منها الفقهية والكلامية والنحوية والتصوّفيّة والمنطقية، بإحالة النصوص المقتبسة إلى أصلها، وتخريج أحاديثها النبوية وأبياتها الشعرية، وشرح مصطلحاتها الفنية.

الوقوف على أثر العلماء المذكورين والكتب التي درسها الشيخ ودرّسها في الإنتاج العلمي التواتي، فالتأثر كان متعدد الصور والمظاهر، فنلمس هذا مثلا في الطرق وأساليب التدريس، والفنون الغالبة من لغة وفنونها وكلام وفقه وأصوله وتصوف وفلك وحساب وغيرها، والكتب المقررة في التدريس في كل فن منها، ونلمس هذا حتى في هيئة وزي لباس العلماء، وصورة هذا من خلال المخطوطات المتدَاولة والمؤلّفة في هذه الفنون السّائدة، في العلوم والرحلات والفهارس، والخزائن الموجودة، كتآليف تلامذته وتلامذتهم.

الوقوف على الوصلة بين توات، ومراكز العلم بالمغرب العربي.

معرفة ما وصل إليه النشاط العلمي في هذا العصر في بيئة الأساتذة فاس، وبيئة التلميذ المؤلِف توات، من خلال ما أشار إليه من درجة تمكّن العلماء وكثرتهم، وما وصف به مجالسهم وطرق تدريسهم والعلوم والكتب التي كانت تدرس وغيرها من الإشارات الدّالة.

ومن خلال قسم الدراسة نتعرف على تاريخ عالم توات في القرن الثاني عشر الهجري: حياته شيوخه تلامذته ونشاطه العلمي في فاس وتوات، تدريساً وتأليفاً.

منهج التحقيق.

لكون البحث عبارة عن قسمَين: أحدهما دراسيّ والآخر لتحقيق نص المخطوط، فإن الباحث يحتاج لعدّة مناهج علمية لدراسته، فالمناسب في دراسة وعرض مادة القسم الأول الذي يتعلّق بالتعريف بالمؤلِف والمؤلّف المنهج الوصفي، إذ يخدم معظم مباحثه، كوصف بيئته، وعصره، وطريقة تدريسه وغيرها، وكذلك ولقلة المادة العلمية في هذا المجال فإنّه من الضروري استعمال منهج تحليل النصوص للوصول إلى ما لم تصرّح به المصادر خاصة فيما يتعلق بحياة وعصر المؤلّف.

ولمّا كانت طبيعة القسم الثاني من البحث تحقيق نص المخطوط، فلتحقيق محتواه كان المنهج الإستقرائي بالتمحيص والتدقيق وتوسيع دائرة المقابلة هو المناسب، فللتحقق مثلاً من البناء التاريخي والتسلسل الزمني الصحيح لسلسلتي المؤلِف الفقهية والصوفية، كان لابد من الاستقراء لمصادر ومراجع التراجم والتّتبع الدقيق لأسماء الأعلام التي قد يذكر منها المؤلِف الكنية فقط، والربط الصحيح بين الآخذ والمأخوذ عنه لإثبات التواصل بينهما، فمما

ثبت بعد الاستقراء أن المؤلِّف وقع في خطأين أحدهما تكرار العبدوسي حيث قال: "أن أبا عمران العبدوسي أخذ عن الشيْخ الفقيه العبدوسي"[1] وهو في الحقيقة نفسه، وذِكْرُه كذلك" أن أبا محمد مكّي تفقّه بأبي طالب مكّي بن محمد بن مختار القيْسي وأخذ أبو طالب مكّي عن ابن أبي زيد"[2] والصحيح أن مكيا أخذ عن القيرواني مباشرة، واستدعى هذا انتهاج المنهج العلمي المقارن، وللتأكد من ذلك قارنت بين سلسلة المؤلِّف وسلاسل العلماء الواردة في فهارسهم.

وفي تعريف الأعلام وشرح المصطلحات والألفاظ اللغوية، اعتمدت الإيجاز بدل التطويل، ففي التراجم لم أشر إلا لأهم المعلومات كالمولد والوفاة والشيوخ والتلاميذ والتآليف، ولم أترجم إلا لغير المعروفين فقط، كالصحابة وأكابر علماء المذاهب ومشاهير المؤلفين، ومَن تَرْجَمَتُه متوفرة لم أشر إلى شيء منها لاعتباره حشوا وزيادة، وأما الذين لم أجد لهم ترجمة وأشرت إلي ذلك، فلأنه كان يجب أن يُترجَم لهم، لأهميتهم وعدم معرفتهم وفحتا لباب البحث عنهم، وقد أطلت في القسم الدراسي في ترجمة بعض المعاصرين وتلامذة المؤلِّف قاصدا من ذلك الإشارة لعصره وما ميّزه من نشاط، معتمدا على كتب التراجم كطبقات الفقهاء وحسب المذاهب لترجمة فقيه من الفقهاء، وطبقات الصوفية، وكتب تراجم الرجال عامة، وتراجم رجال الأقطار القديمة والحديثة.

وفي شرح مصطلحات الفنون والمفردات الصعبة، اعتمدت مصادر ومراجع مختلفة وأخذت أفضل الشروح وأوجزها، وأما ما يخصّ التعريف بالكتب فلم أعرّف إلا بما لم يشتهر منها فقط ولم يتداول.

ولأهمية قسم الفهارس ولكونه دالاً على محتوى المخطوط وما يقدمه من تيسير في الاطلاع عليه، فقد أُرْدِف التحقيق بأربع فهارس، الأولى للأعلام والثانية للكتب الوارد ذكرها المخطوط، والثالثة للمصطلحات الفنية، فمن خلالها يُدرك المطّلع تنوع مادته ومدى شموليته، والأخيرة لكافة المواضيع.

---

[1] ـ فهرسة المؤلف، ورقة 12و.
[2] ـ فهرسة المؤلف، ورقة 12ظ.

وراعيت في ترتيب الفهارس الترتيب الهجائي، وحسب أسماء الشّهرة للأعلام وبدون أن أعتبر الأسماء المصدّرة بابن وأبو وألف ولام التعريف أنها بداياتها.

عرض خطة الدراسة ومصادرها ومراجعها.

ولبناء هيكل هذا البحث بناء حسنا، انتهجت في طريقة عرضه خطة راعيت فيها التسلسل الزمني لعرض مادته التاريخية، وحتى لا يكون التقديم والتأخير فيه اعتباطيا رتبت معلوماته ترتيبا يفضي فيه بعضها إلى بعض، وينبني فيه ما كان آخرا على ما هو أولا، وقسّمت نص المخطوط إلى ما يجب أن يقسم إليه، ووضعت العناوين لأقسامه، وقد تكون تحت بعض هذه الأقسام نقاط، فجاءت خطة البحث كالتالي:

في القسم الأول وفي الفصل الأول منه، عرّفت بالمؤلِّف اسمه مولده أسرته، وبعد هذا بيئته العامة وهي توات فتعرضت لذكرها في المصادر التاريخية، وأصل اسمها وموقعها الجغرافي وأهميتها، وبعدها ذكر تنلان مسقط رأسه والزاوية التي نشأ فيها، وتعقب دراسة بيئته دراسة أوضاع عصره سياسيا ثم اقتصاديا ثم اجتماعيا، وبعدها دراسة الوضع العلمي في عصره، وقبله أشرت إلى أهمّ أعلام وزوايا وأسر توات العلمية، وبعد ذلك: الوضع العلمي قبل رحيله إلى فاس وبعد رجوعه منها، بعده انتقلت لذكر مراحل رحلته إلى فاس الدواعي والأسباب إليها إقامته ودراسته، تصدُّره للتدريس بها، ثم أسباب ودواعي الرجوع وفي المبحث الخامس والأخير ذكر نشاطه بتوات بعد رجوعه وذكر وفاته رحمه الله وتدريسه بها، وتوليه قضاء جماعتها، ثم أثآره تلامذةً وتآليفَ وزوايا، وفي الفصل الثاني منه، عرفت بالمخطوط موضوع التحقيق، بداية من التحقق من عنوانه ونسبته لصاحبه وبعدها تعرّضت لعرض محتواه ووصفه، وخلالها تعرضت لماهية الفهرس باختصار وبعدها ذكرت المنهج الذي سار عليه المؤلّف في تأليفه لهذا الفهرس، وخلال هذا قارنت بينه وبين أهم الفهارس التي يحسن أن تقارن به كفهرس ابن عطية والرصاع وابن خير الاشبيلي وابن غازي والروداني وعبد القادر الفاسي، وبعد هذا ذكرت القيمة والأهمية العلمية والتاريخية التي يكتسيها هذا الفهرس، فهو فهرس جمع بين مركزين علميين توات وفاس وقدم عن كليهما مادة علمية، ويعتبر سند توات العلمي، وبعدها تعرضت لوصف نسختي المخطوط وصفا علميا كما هو مطلوب، فعرفت بالنسختين بذكر مكان وجودهما

وناسخهما وتاريخ النسخ ووصفهما داخليا وخارجيا وعدد أوراقهما ومقياسهما ومتوسط مسطرتهما ومتوسط عدد الكلمات في السطر ونوع الخط الذي كتبت بهما، وفي قسم تحقيق نص المخطوط، قسمته إلى أقسام أهم عناوينها: مقدمة المؤلِّف، العلوم والمرويات التي درسها، تراجمه لأهم شيوخه، ذكر تصدّره للتّدريس بفاس، سلسلتيه الفقهية والصوفية وبعدها خاتمة تتضمن نتائج البحث.

أما **مصادر ومراجع التحقيق** فما يخصّ منها القسمَ الدراسي فمعظمه مخطوط، ومادته العلمية محدودة وقليلة، وأكثرها مكرّر في هذه المصادر، خصوصا من حيث إيراد التراجم والأخبار التاريخية، فمثلا نجد أن أفضل من ترجم للمؤلّف بتفصيل أكثر استيعابا لأطوار حياته وذكر عنه ما لم يذكره هو عن نفسه تلميذه عبد الرحمن بن عمر ، وذلك في فهرسته التي كانت موضوع دراسة لنيل شهادة الماجيستير، صاحب البحث عبدالرحمن باعثمان، إذ اعتمدتها محققة، وهكذا وبالنسبة كذلك في تراجم من عاصروه، فقلّ أن تجد تراجم شاملة لحياة علم من أعلام توات، بل قد تجد أعلاما لا تراجم لهم، ومنها جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء القرن الثاني، لمحمد بن عبد الكريم التمنطيطي، والدرة الفاخرة في المشايخ التواتية للمهداوي وغيرها، وهكذا بالنسبة لما يخصّ دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذا العصر، فقلة النصوص أهم ما يميزها .

وأما ما يخصّ تحقيق نص المخطوط من مصادر ومراجع، فمتوفر ومتنوع منها كتب التراجم خاصة المالكية والصوفية وأعلام اللغة وغيرها، كترتيب المدارك للقاضي عياض والديباج لابن فرحون، وشجرة النور لابن مخلوف، وفتح الشكور للولاتي، ونيل الإبتهاج، والحفناوي، وأعلام الزركلي، وموسوعة أعلام المغرب وغيرها، وكذلك معاجم وقواميس اللغة لشرح الألفاظ، وكتب وقواميس المصطلحات الفنية، فقهية أصولية كلامية صوفية، مثل لسان العرب لابن منظور، والمعجم المفصل لإميل يعقوب، وإلماع القاضي عياض، والتعريفات للجرجاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، واصطلاح المذهب عند المالكية لعلي محمد إبراهيم، واعتمدت كتب الفقه والكلام واللغة والتصوف والتفسير والحديث وشروحه لإحالة الاقتباسات ، فكان منها ما هو متوفر، ومنها ما لم يتوفر حتى بالطبع والنشر، كتكميل بن غازي وجواهر بن شاس والطّرر لابن عات

وغيرها، إذ عرفت بها وبحالتها التي هي عليها اعتمادا على كتب التراث العربي الإسلامي ككتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين وكشف الظنون لحاجي خليفة، وفهارس المخطوطات كفهارس الخزانة الحسنية بالرباط، ومن مصادره ومراجعه كذلك فهارس العلماء، وكتب التاريخ والجغرافيا والدوريات والرسائل الجامعية وأعمال الملتقيات وغيرها.

العوائق والمشكلات.

إن تشعّب مادة موضوع الدراسة يوسّع مجال البحث فيها، فتكون بذلك مصادر ومراجع تحقيقه المشكلة الأولى التي تواجه الباحث، إذ تعطل سيره والإتيان به في أكمل وجه، ولما كانت من مصادر تحقيقه المخطوطات التي قد يصعب الوصول إلى بعضها، بل ويستحيل أحيانا، خاصة ما يتصل منها بدراسة المؤلِف، فقد كان جهدي على تحصيل ما وصلت إليه منها كبير، واحتاج ذلك لوقت طويل، وذهاب وإياب عديد مع بُعد المسافة إذ لاقيت من أرباب الخزائن المرحِّب والباذل لما عنده ومنهم المتردد ومنهم المانع، وقد كانت قلة المادة العلمية التي تتيحها هذه المخطوطات خاصة فيما يتعلق بالتراجم ووصف أوضاع العصر قليلة، ومعروف أن اهتمام الفقهاء نادر وغير مستفيض في هذا المجال ومعظم علماء توات يغلب عليهم الفقه وعلوم الدين، فيضطر الباحث كثيرا إلى تحليل النصوص التي تخدم موضوعه، والاستنباط منها لما يحتاجه، وكذلك من المشكلات أن المخطوط المُحَقَق احتوى على اقتباسات من مصادر كثيرة غير محققة بل لم يطبع بعضها فكان ذلك عائقا في إحالتها إلى مصادرها، وأما المصادر والمراجع المطبوعة ففي بعض نقاط البحث تتوافر المعلومات حتى يصعب جمعها أو تقديم بعضها على بعض.

ومع هذا الحمد لله رب العالمين، الذي ينتهي إليه شكر كل شاكر، المبتدئ بالنّعم المُجدّد لها المُمدّ بها، فله الحمد كله وله الشكر كله، وشكري الأجل وثنائي الأجمل، لمن جعل الله طاعتهما أولى جهاد "ففيهما فجاهد" ومع ذلك سامحا بحقيهما وبكل ارتياح، وصَبَرا على مالا يعلم قدر الصبر عليه غيرهما، فانفتح لي بذلك السماح وبذلك الصبر باب المواصلة في البحث والطلب العلمي، فالشكر لكما وعليكما يا والدي العزيزين الكريمين وأشكر جزيل الشكر، ذات الملاحظات الدقيقة والتوجيهات المضيئة، منذ مرحلة اختيار

الموضوع إلى غاية تحريره وطبعه، وبعد أن رسّخت فيّ سجية التكرار ومعاودة النظر للتجديد في العرض وتوسيع مجال البحث لضم ما يجب إيراده في ثناياه، الأستاذة المشرفة بارك الله في سعيها العلمي نفعا وانتفاعا، وشكري القلبي الخفي الخالص، لذاك الذي أخصّني بدعاء صالح في ظهر الغيب يسرّ الله به علي كل تعسير، وجعل الله لي به التأييد والتسخير، فشكري له من خالص قلبي بقدر خالص دعائه وأكثر، وأشكر الشكر العميم كل من ساهم في إنجاز هذا البحث مساهمة علمية أو عملية، معنوية أو مادية ظاهرة أو خفية قليلة أو كثيرة، من قريب أو من بعيد خاصة إخواني وأخواتي الذين تجسدت منهم المساهمة بكل صورها، وأصحاب الخزائن خاصة بن الوليد والأساتذة وزملائي الطلبة وأحبتي وخلاني.

الفصل الأول: المؤلِّف.

المبحث الأول: اسمه ومولده وأسرته.

1 ــ **اسمه وكنيته ولقبه**[1]: هو عمر بن عبد القادر، بن أحمد بن يوسف، كنيته أبو حفص، ويلقب بعمر الأكبر[1]، تمييزا له عن الشيخ عمر التنلاني المهداوي الملقب بالأصغر، المولود سنة وفاة الشيخ عمر الأكبر 1152هـ/ 1739م.

---

[1]_ أنظر ترجمته في:

* عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، الفهرسة، تحقيق عبد الرحمن با عثمان، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التّاريخ العام، معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة بشار، 1429هـ/2008م، ص ص 82، 91، 98.

* بن أب ضيف الله، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط، بخزانة سيدي أحمد ديدي بتمنطيط، ورقة32 و.

* بن عبد الكريم محمد التمنطيطي، جوهر المعاني فيمن ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط، بخزانة كوسام، ورقة 7ظ.

* الحاج الوليد بن الوليد،قرة الأعيان في ذكر علماء تنلان، مخطوط، بخزانة بن الوليد بباعبدالله، ورقة7ظ، 8و،12ظ،15و.

* عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومه، 2002، ص 80.

2 ــ مولد المؤلف:

ولد المؤلِف كما ورد بإجماع مَن ترجموا له عام1098هـ/1687م، بقصر[2] تنلان أحد قصور تيمي، ذكر ذلك تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني في نهاية فهرسة المؤلِف فقال: "ولد سنة ثمان وتسعين وألف"[3]. وكان ذلك " ليلة الأحد سابع عشر ربيع الثاني

---

[1] ــ بن الوليد، قرة الأعيان في ذكر علماء تنلان، مخطوط، ورقة 8 و، وعبد العزيز سيد اعمر، المرجع نفسه، ص 80.

[2] ــ "القصر في مناطق الجنوب الغربي الجزائري، هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة سكانية متراصة، ومتلاحمة فيما بينها يقطنها أفراد أو مجموعة عائلات موسعة كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة، وقد تكون مختلفة، يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية (في الزوايا)، وتتخلله مداخل، وقد تخلو بعض القصور من ذلك، ليعوض عنه بجدران البيوت، الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل أرجاءها،تنسب القصور عادة إلي ولي صالح،باعتبار مؤسس أو صاحب الفصل في لم الشمل مثل سيدي عيسي وسيدي سليمان بن علي بأولاد أوش أدرار" ثياقة الصديق، نمط العمارة القصورية و مراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، مجموعة أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة أدرار وجامعة تيارت، توات وحواضر المغرب الإسلامي 14 أفريل 2009، ص 104.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص90.

وأمه عائشة بنت الحاج محمد"[1]، وهو ما ذكره في جوهرة المعاني، وفي قرة الأعيان في ذكر علماء تنلان وغيرها.

3 ــ أسرة المؤلف ونسبه:

يتصل نسب أسرة المؤلِف بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما يدل على ذلك شجرة نسبه[2] فهو:"عمر بن الحاج عبد القادر بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن الونقالي بن يوسف بــن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمرو بن ملوك بن موسى بن مدان بن دان بن سكناس بن معزوز بن قيس بن محمد بن قيس بن محمد بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه" وفي ملاحق البحث الملحق رقم 01، به أصل وفروع أسرة عمر التنلاني.

جدُّ المؤلِف هو أحمد بن يوسف، ولد 1002هــ/1593م بأولاد أونقال، إحدى قصور تيمي، أخذ عن الشيخ العظيم عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد التمنطيطي المعروف بعالم توات "ثم انتقل لتنيلان يوم الأربعاء 1058هــ/1648م، بعدما تم بناء مسجدها، وشرع في بناء زاويته والتي سماها: رزق الله الواسع، لعباده النافع؛ وهذا الاسم المسماة به الآن ــ تنلان ــ إنما سرى لها من قصر قديم كان بقُرْبِها اندثر وتفرّق أهله ثم نحت الفقاقير وعمّر البساتين وجعل كل ذلك لوجه الله تعالى، فاشتهرت زاويته بتوات وقُصدت

---

[1] ــ فهرسة المؤلِّف، نسخة ب، ورقة 10ظ.

[2] ــ تقييد لشجرة أنساب العائلة التنلانية بخزانة الشيخ عبد العزيز سيد اعمر رحمه الله ، بقصر مهدية بلدية أولاد إبراهيم وهو المُثْبَت وآخر بخزانة بن الوليد بقصر باعبد الله بلدية أدرار، وتقييد خطي آخر موجود بزاوية تنلان لدى أحفاد الشيخ المترجَم له.

توفي بتنلان بعد مضي عشرين عاما من استيطانه بها عام1078هـ/1667م ودفن بها"[1]

وفي الملحق رقم02 صورة لوجه رسم هذا الحبوس.

خلّف جدّ المترجَم له سبعة أولاد، فانقرضت ثلاثة عن غير عَقِب، وعَقّب منهم سيدي عبد الكريم أكبر أولاد صلبه، وهو والد شيخ وعالم أولف بتيديكلت أبو الأنوار ويليه عبد المومن، ويليه الحاج عبد القادر، الذي أمه بنت أحد أعضاء أولاد علي بن موسى بتنمطيط ــ فجدة المؤلِف لأبيه من تمنطيط إحدى مراكز توات العلمية، فيكون للمؤلِف بها أهل وأقارب ــ والرابع سيد الحاج محمد.

الابن الثالث في الترتيب من أبناء أحمد بن يوسف الحاج عبد القادر، هو والد المؤلِف ولِد له ولدان: "سيد عمر الأكبر وسيد الحاج عبد الرحمن، فسيد عمر خلّف سيد إدريس وسيد الشاذلي، فالشاذلي مات عن غير عقب، وسيد إدريس خلّف ولدين"[2].

ينتمي المؤلِف لهذا الجدّ الذي أنشأ إحدى أهم الأسر العلمية بتوات حملت راية العلم وكان لها الصّيت والصّدى والأثر البعيد زماناً ومكاناً، من أعيان علماء هذه الأسرة: وعلى رأسهم المؤلِف عمر الأكبر، وأبو الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف المتوفى بأولف 1158هـ/1745م،والشّاذلي بن المؤلِف المتوفى بفاس 1173هـ/1759م، وأخيه إدريس بن المؤلِف توفي1182هـ/1768م، وعمر الأصغر المهداوي المزداد بتنلان والمتوفى بالزاوية المهدية1221هـ/1806م، وعبد الرحمن بن إدريس صاحب الرحلة للجزائر عام1230هـ/1815م، وعمر بن عبد الرحمن المهداوي، توفي سنة 1240هـ/1824م، بن التاقي بن عبد الرحمن، توفي 1253هـ/1837م، وأخيه سيدي

---

[1] ــ عبد العزيز سيد اعمر، المرجع نفسه، ص79.

[2] ــ عبد العزيز سيد اعمر، محاضرة في ذكر أعلام تنلان، مخطوطة، بخزانته بقصر مهدية.

عبد الكريم والسيد عبد الرحمن الذي انتقل لأقبلي، وغيرهم والحاج عبد القادر بن عمر الأصغر صاحب الدرة الفاخرة المتوفي 1265هـ/1849م وغيرهم.

لم يشتهر بالعلم في أسرة المؤلّف قبله إلا جدّه، فلم تذكر المصادر أن رياسة العلم كانت في أبيه ولا في أحد أعمامه، ولم توضح شيئاً عن أخواله فضلاً عن كونهم أعلاماً أم لا، ولكنها عرفت بعده أعلاماً كبارا كمن سبق ذكرهم ومن ستأتي ترجمته منهم.

للمؤلِف ولدَيْن كما سبق، أبو الحسن الشاذلي أو الحسن الشاذلي كما ورد في بعض المصادر، كان إماماً صالحا مهر في الفقه وفنون كثيرة، أخذ العلم عن والده المذكور غلب عليه التخلي والانقطاع، حسن السيرة، اشتهر اسمه، وطار ذكره بعد والده "سافر لمدينة فاس وتحاور مع علمائها له فتاوى، توفي بها 1173هـ/1759م"[1] وفي رواية "يوم السبت ستة عشر جمادى الآخرة1171هـ/1757م"[2]، ولم تضف المصادر في ترجمته على هذا وابنه الثاني إدريس توفي 1182هـ/1768م.

المبحث الثاني: نشأة المؤلف وشيوخه.

1 ــ نشأته:

لم يذكر المؤلِف ولا مَن ترجم له عن حياته الأولى بمسقط رأسه شيئا إلا ما ذكره عبد الرحمن بن عمر أنه: "نشأ بزاوية جدّه المذكور المسمّاة تنلان، وقرأ بها القرآن وشيئاً من الفقه"[3]، كما هو معروف ومعمول به في قرى توات، إذ يبتدئ الصبيان التعلم بحفظ القرآن، وبعده يتوجه الطالب لدراسة الفقه بدأ بمبادئه كمتن ابن عاشر مثلا.

---

[1] ــ بن الوليد، قرة الأعيان، ورقة 12ظ.

[2] ــ تقييد على حاشية فهرسة المؤلف النسخة (ب) ورقة 13 ظ.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص82.

ومما دلّت عليه المصادر ويثبت من خلال هذا النص السابق وغيره، أنه قضّى مستهَلّ عمره بتتلان وتربى على يد والديه، لأنه بعد ذهابه لفاس ومُكثه بها السّنين، أتته الرسائل من بلده تحمل له أنباء وفاة والديه، إذن فقد نشأ المؤلِّف في أحضان والديه وأعمامه أبناء الشيخ أحمد بن يوسف.

ومنذ نشأته الأولى ظهرت عليه دلائل النبوغ وحب طلب العلم ومجالسة أهله والأخذ عنهم، حيث قال في مُستهلّ فهرسته: "فقد كنت في حال صِغَري شَغوفاً بالعلم مُولعاً بطلَبه مُشتغِلاً بقراءة الشيْخ خَلِيل وألفيّة ابن مالك، مُقبِلاً على ذلك، مُتشَوِّفاً إلى شَيْخ يَحُلّ لي ألفاظَهما ويُوقِفُني على معانِيهما."[1]

2 ــ شيوخ المؤلف:

ربما لم يكن للمؤلِّف إلا نوعاً واحداً من الشيوخ، وهو النوع الذي درس عليه خارج بيئته توات، إذ لم يذكر ضمنهم ولا واحدا من بلده درس عليه بها، والأمر نفسه بالنسبة لأقرب من تَرْجَم له وفصّل في ترجمته؛ تلميذه عبدالرحمن بن عمر التتلاني فقد ذكر شيوخه ولم يذكر من أهل توات أحداً، وهذا ما يُفسِر قوْل المؤلِّف: "لِكَوْن البلد شاغرةً من العلماء"[2]،عند ذكره لأسباب رحلته إلى فاس، وفي هذه النقطة إشارة تتعلق بوضع توات العلمي في هذا عصر،نتناولها بالتفصيل في دراسة أوضاع عصر المؤلّف.

رحل المؤلِّف وهو ابن تسع عشرة سنة إلى مدينة فاس فأقام بها نحو ثلاث عشرة سنة يأخذ العلم عمن ألْفاه بها من الأعلام[3].

---

[1] ــ فهرسة المؤلِّف، ورقة 1 ظ.

[2] ــ فهرسة المؤلِّف، ورقة 1 ظ.

[3] ــ آثرت أن أُورِد تراجم هؤلاء الشيوخ، في المحل الذي ورد فيه ذكرهم من الفهرسة موضوع التحقيق.

ذكرهم تلميذه إجمالا فقال:" أخذ عن الأستاذ سيدي محمد السّالم التواتي ثم التيماوي ثم البرباعي، وأخذ التفسير عن شيخ الشيوخ سيدي محمد بن أحمد المسناوي، وعن الإمام الحافظ الجامع لمذهب مالك؛ أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني، وأجازه الثاني إجازة عامة"[1].

---

[1] ـ الإجازة العامة "أن يجيز لمعين على العموم والإبهام، دون تخصيص ولا تعيين لكتب ولا أحاديث، كقولك قد أجزت لك جميع روايتى أو ما صح عندك من روايتى، فهذا الوجه هو الذى وقع فيه الخلاف تحقيقا،والصحيح جوازه، وصحت الرواية والعمل به بعد تصحيح شيئين تعيين روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها صحة مطابقة كتب الراوى لها، وهو قول الأكثرين والجمهور من الأئمة والسلف ومن جاء بعدهم من مشايخ المحدثين والفقهاء والنظار، وهو مذهب الزهرى ومنصور بن المعتمر وأيوب وشعبة وربيعة وعبد العزيز بن الماجشون و الأوزاعى و الثورى ومالك وابن عيينة وجملة المالكيين وعامة أصحاب الحديث، وهو الذى استمر عليه عمل الشيوخ وقووه وصححه أبو المعالى واختاره هو وغيره من أئمة النظار المحققين..... قال أبو عمر الحافظ الصحيح أنها لا تجوز إلا لماهر بالصناعة وفى شيء معين لا يشكل إسناده". القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث/المكتبة العتيقة: القاهرة/تونس، 1379هـ/1970م، ص91.

فأخذ علم الكلام عن محمد بن عبد الله السجلماسي، وعن الشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي ثم اللمطي، وعن العلامة أبي عبد الله محمد بن زكري الفاسي.

وأخذ الحديث عن المسناوي، وعن أبي الحسن الحريشي وعن محمد بن عبد السلام بناني وعن أبي عبد الله السجلماسي[2].

وأخذ أصول الفقه عن ابن المبارك، وعن الفقيه محمد بن محمد ميارة حفيد ميارة شارح العاصمية[3] والزقاقية[4]، وعن المسناوي، وأخذ الفقه عن المسناوي والمعداني وهما معتمده من أشياخه إذ أعظم مُحصَّله منهما، وعن ابن زكري وابن مبارك وعن العلامة المحقق العربي بن أحمد بردلة، وعن الفقيه محمد المشاط وغيرهم.

---

[1]- عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص83.

[2]- فهرسة المؤلف، ورقة 2و، 3ظ.

[3] - يقصد بالعاصمية" تحفة الأحكام في نكت العقود والأحكام، لمحمد بن محمد بن محمد بن عاصم، أبوبكر القاضي، توفى 829هـ / 1425م تشتهر بالعاصمية، وهي رجز شعري يقع في 668 بيتاً، في علم الوثائق والإبرام، على ما يجري عليه العمل في قضاء بلاد الأندلس وهي معتمد القضاة في بلاد المغرب"علي محمد إبراهيم، اصطلاح المذهب عند المالكية دبي: دار البحوث الإسلامية، 2000 ص465.

[4] -"لامية الأحكام،وهي في علم الأقضية شهيرة في أحكام فقهية في مسائل جرى بها العمل بفاس، لأبي الحسن علي بن قاسم الزقاق الزقاق الفاسي، توفي عن سن عالية سنة 912 هـ /1506م" مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها: القاهرة، 1349هـ/ 1930م، ص 274.

وأخذ النحو عن محمد العربي بن محمد بن مقلب، وعن أحمد السقّاط، وعن مهدي بن عبد السلام الحلو الفاسي، وعن ابن عبد الله وعن إدريس المشاط وعن بناني، وعن عبد السلام الهروشي وعن ابن زكري وعن محمد بن حمدون بناني[1].

وأخذ المنطق عن المسناوي وإدريس المشاط، وأخذ الحساب عن الأستاذ محمد بن عيسى وغيره، وأخذ علم الهيئة عن محمد بن عيسى وعن الفقيه سيد مسعود جموع، وأخذ علم العروض عن الفقيه الصالح محمد بن الطيب بن عبد الرحمن بن القاضي، وعن إدريس المشاط، رحم الله جميعهم.

المبحث الثالث: بيئة المؤلف وعصره.

1 ــ بيئة المؤلف:

إن دراسة بيئة وعصر المؤلّف والتعريف بهما يعطينا صورة إجمالية لما كان يحيط بالشخصية المدروسة، من جميع الجوانب التي قد يكون لها التأثير ولو نِسبيا، من قريب أومن بعيد في تكوين شخصيته، وبالتالي نعرف مدى قوة الشخص خاصة المعنوية، وهل استطاع هذا الشخص أن يستغلّ ما لمحيطه من إيجابيات؟ وكيف استطاع أن يتصدى لصعوباته وأخطاره الطبيعية والطارئة؟ وأردت أن أعرّف ببيئة المؤلِّف من جانبين: أولا نظرة تعريفية عامة لإقليم توات، وأخرى خاصة بمسقط رأس المؤلِّف تتلان.

أ – توات:

ورد ذكر إقليم توات عند بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين وغيرهم من المستشرقين، وفي وثائق ورسائل بعض التجار الأروبيين، وأقدم مصدر ذكرها وعدد قصورها، وأشار إلى أهم ما يميزها وهو الفقارة[2]، وتحدث عن أهميتها من

---

[1]ـ فهرسة المؤلّف، ورقة 1ظ،2و.

[2]ـ "الفقارة هي سلسلة آبار مرتبطة بعضها ببعض، بواسطة قناة أرضية باطنية ينحدر منها الماء تدريجيا

حيث موقعها وذكرها في مؤلّفه عدة مرات؛ هو ابن خلدون حيث قال بعد أن ذكر مَن اختطه ومَن عمّره: "يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وانهار، وأكثر سكانها من زناتة، وبينهم فتن وحروب على رياستها"[1].

ويقول أيضا مبيّنا لأهميتها من الناحية التجارية والاقتصادية: "وطن توات ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلاد مالي من السودان، اتخذوا سكانها بها الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه"[2].

وتحدث عن مقاطعة بودة باعتبارها واحدة من الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي، فقال: "ولقد كانت بلد بودة وهي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من ناحية السوس هي الركاب إلى والاتن، الثغر الأخير من أعمال مالي، ثم أهملت لما صارت الأعراب من بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيط"[3]، يوضح ابن خلدون من وراء هذا أن توات

تبعا لقانون الميل، أو هي قناة جوفية أفقية تقطع منطقة التشبع، ينحدر فيها الماء حتى يخرج على سطح الأرض، تتخلله آبار لتسهيل العمل والتهوية" بوفلجة حرمة الأحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها ـ منطقة أدرار أنموذجا ـ مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الفقه وأصوله، جامعة أدرار، 1429هـ/2008، ص202.

[1]ـ عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر،ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تحقيق خليل شحادة، دار الفكر: بيروت، 1421هـ/2000م، ج6/ص78.

[2]- بن خلدون، نفسه، ، ج7/ ص76.

[3] ـ نفسه، ص77.

نقطة يتفرع فيها المسلك الرئيسي الذي يربط بين مراكز شمال القارة ودول جنوب الصحراء الكبرى أو السودان الغربي، ولما انعدم الأمن على عهد ابن خلدون في الشق الذي يمر غربا على بودة إلى مركز ولاتن ومنها إلى تمبكتو أوشنقيط، وهو الطريق الذي مر فيه ابن بطوطة، بسبب إغارة الأعراب على من يمر بها، فاتخذت القوافل التجارية طريقها شرقا نحو الجنوب مرورا على قاعدة تمنطيط، حيث تفضي هذه الطريق بالمار فيها على مركز أغاديس الذي يقع اليوم شمال النيجر ومنها إلى تمبكتو وغيرها من مراكز السودان الغربي، وهذه الطريق إلى تمبكتو أطول من الأخرى، إلا أن الأخرى كانت في هذا الوقت غير آمنة.

ويقول أبن خلدون كذلك مشيرا إلى الفقارة إحدى أهم مميزات توات: "وفى هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية، لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن توصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الأرض واديا ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء، وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووراكلا وريغ، والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم"[1].

وجاء وصف توات وذكر أهميتها في كتب الرحالة من العرب وغيرهم، كابن بطوطة الذي كتب عنها قائلا: "وقصدت السفر إلى توات...ثم وصلنا بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ، وتمرها كثير وليس بطيّب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب"[2].

---

[1] ـ ابن خلدون، العبر ، نفسه، ج7/ ص77.

[2]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التجارية : مصر، ج2/ص ص801 - 802.

وذكر العيّاشي توات في رحلته إلى الحج، وأعطى صورة عن تسابيت التي زارها ووصفها بأوصاف لها دلالات اقتصادية واجتماعية وثقافية حيث قال: "ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الراس[1]، وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصاً ولم نلق هناك أحد ينتسب إلى ولاية أو صلاح ولا من أهل العلم والفلاح وغالب أهلها عوام وأهل تجارة جلّ عيشهم التمر"[2]، وما قاله العياشي الذي كانت زيارته لتوات في طريقه للحج لأول مرة سنة1059هـ/1649م لا ينطبق إلا على قصور تسابيت التي رآها، لأنه أورد بعد هذا أنه التقى في قورارة (تيميمون) أعلاما وصلحاء زهادا، ونصٌّ ما قال يوفر لنا مادة علمية في الجانب الاقتصادي والاجتماعي عن توات في هذه الفترة أما الجانب العلمي فهو يعبر على ما رأت عيناه في إقليم تسابيت ولا ينطبق هذا الحكم على توات إذ من أعلامها في هذه الآونة "الشيخ عبد الكريم بن أمحمد المولود في تمنطيط في أواخر القرن العاشر الهجري، وبحسب ما هو مبسوط في رحلته أنه "أخذ القرآن

---

[1] ـ هو الشيخ "محمد بن الصالح تلميذ الولي المشهور الصالح سيدي أبي الرواين دفين مكناس بالمغرب الأقصى، توفي هذا الأخير آخر العشر السادسة من القرن العاشر، ودفن في باب روضة شيخه ابن عيسى" محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط2، الرباط، 1397هـ/1977م ،ص81. وأبو سالم العياشي رحلة ماء الموائد، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر: المغرب، 1977م، ج1/ص20.

[2]- العياشي، المصدرنفسه، ص20.

ومبادئ التجويد والحساب عن والده أمحمد بن أبي محمد"[1]، "ثم ارتحل في طلب العلم لعدة أقطار وأخذ عن العديد من مشاهير علماء وقته كالعالم أبي زيد عبد الرّحمن بن سليمان بن موسى الجومي درس عنده زهاء الثلاث سنوات وأحذ عن سعيد قدورة الجزائري وله رحلات في طلب العلم، ونشاط الكنتيين في زواياهم في هذا الوقت بالذات وغيرهم من أسر وأعلام توات العلمية.

أما الحسن الوزان فقد وصف كل من مقاطعة تسابيت وإقليم تيكورارين، وذكر بعض أوصافها الاجتماعية، لكنه لم يتطرق ذكر إلى إقليم توات الوسطى وإقليم تيديكلت[2].

ولقد اهتم المؤرخون التواتيون بإقليمهم فكتبوا عن أهميته جغرافيّاً واقتصادياً وتطرقوا إلى وصفه وذكر مناقب علمائه، فجاء في كتاب درّة الأقلام لمحمد بن عبد الكريم البكراوي: "أن توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما، وغربا عشرون يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد سيدي عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيدي الشيخ، وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصرا، أوسطهما بودة وتيمي وتمنطيط."[3]

---

[1] ـ عبد الكريم بن أحمد، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة سيدي أحمد ديدي، تمنطيط أدرار، ورقة 01و.

[2] ـ حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي : بيروت، 1983م ، ج 2/ ص ص 133- 143.

[3] ـ الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11- 14 هـ/17-20م، ط1، (د م)، 2003م، ص33.

كما عرّف صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط، محمد الطيب بالمنطقة وعدّد قصورها وفقاراتها، وأشاد بكرم أهلها، فقال عن تمنطيط "إنها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرئاسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكاد لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان... ويقال بها ثلاثمائة وستة وستون فقارة منها ما هو جار الآن ومنها ما هو معطل، قيل وقصور عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا، يستضيف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر"[1].وغيرهما من المحليّين.

كما ورد ذكر توات في مخطوطة كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين، لمحمد بن سليمان بن الصائم السجلماسي، ناظم القصيدة موسى بن علي اللالتي التلمساني، اشتهرت في وقتها، وموضوعها التصوف وأهله وذكر أحوال العصر وما يتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية وأحوال العلماء في القرن الحادي عشر فقد جال الشارح جولات واسعة ومما قاله عن توات: "بلد صالح وأهلها مباركون وعليها يضرب المثل اليوم ؛ عليك بتوا ت لا تفات."[2]

"ومعروف أن التاجر أنطونيو مالفانتا من جنوة زار توات، ووجه خطاب مكتوب باللاتينية إلى مواطنه جيوفاني ماريونو نشره لارونسيير"[3] فاشتهر صيته بهذه الرسالة

---

[1]- محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1977م، ص 33.

[2] ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1،دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1998م، ص 31.

[3]ـ تاريخ إفريقيا العام إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر الميلادي، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية: بيروت، 1988م، ج4/ ص226.

الشهيرة التي أرسلها من توات حتى محله التجاري في جنوة، "وقد زار مالفانتي توات وجمع معلومات على جانب كبير من الأهمية بشأن السودان القريب من النيجر، وتوات بصفتها ملتقى طرق تجارية."[1]

"وما رحلة مالفانتي الجنوي إلى توات سنة851هـ/1447م، إلا من قبيل تلك السلسلة في عمليات الاستكشاف"[2]، التي قام بها الأروبيون في إفريقيا للوصول إلى أرض الذهب، واختصار الطريق للهند والصين، وكما ذكرها الرحالة ابن الدين الأغواطي (ت ق13هـ/19م) الذي زار مناطق عديدة داخل الوطن وخارجه[3].

وزارها من المستشرقيْن الرحالة الألماني جيرهارد رولف" Rolf Gerhau" سنة 1281هـ/1864م، ومارتن صاحب الكتابين: الواحات الصحراوية، وأربعة قرون من التاريخ المغربي.

"وقد كانت توات منذ القديم منبراً للعلم، فقد لعبت دوراً كبيراً في إثراء الحضارة الإسلامية، فقد كانت مدينة تمبكتو مقصدا للعلماء والفقهاء التواتيين منذ القرن الرابع الهجري، وأصبحت توات بداية من القرن الخامس عشر الميلادي منطلقا لرجال الدين المسلمين نحو السودان الغربي"[4] وتعدى دور علمائها إلى معظم عواصم الشمال الإفريقي وكانت لهم مشاركات مع الحياة الفكرية والثقافية التي يعيشها العالم الإسلامي في أقطار

---

[1] ـ تاريخ إفريقيا العام إفريقيا ، نفسه، ص620.

[2] ـ نفسه، ص 639.

[3] - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1986م، ص ص256 258.

[4] ـ مزيلخ عاشور، الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني و منهجه في تلخيص كتاب: الدر المصون للسمين الحلبي، مجلة التراث العربي، ع/ 127، 27/ تموز/ 2007، ص127.

المغرب العربي والسودان الغربي، فكان منهم الدعاة والمصلحين، والعلماء المعلمين والمفتين، والقضاة والتجار وغيرهم، وبعد هذه الإحاطة الموجزة عن إقليم توات نتطرق لما يلي:

أولاً- أصل تسمية الإقليم:

اختلف المؤرخون في الأصل الذي اشتقّت منه كلمة توات، وأوجدوا لها أوجُهاً وتفسيرات مختلفة، فمنهم من أوجد لها تفسيرا لغويا، ومنهم من أصّلَ لها بأحداث تاريخية عرفتها المنطقة، ومنهم من أوجد لها تفسيرا يوافق الحال والمقام الذي يميز هذا الإقليم وتتفاوت هذه الرُّؤى بين القوة والضعف والأخذ بها والرد.

فمنها ما ذهب إليه صاحب كتاب تاريخ السودان عبد الرحمن السعدي قال: "فالسلطان كنكان موسى حاكم مالي لما حج في القرن الثامن مشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات، فأصاب الكثير من أصحابه مرض يأتي في الأرجل يسمى توات، ولما استوطنوا ذلك الموضع سمي باسم تلك العلة.[1]"

ورأى محمد الرصاع أن توات اسم لأحدى طوائف قبائل الملثمين فقال: "والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف التوارق ولمطة ولمتونة والتوات[2]"

وذهب محمد بن عمر بن المبروك البوداوي صاحب مؤلّف نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، إلى أن أصل التسمية يرجع لعهد الفتح الإسلامي للمنطقة، "فحين فتح عقبة

---

[1] ـ عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس، (د ط)، مطبعة بردين: باريس، 1964م، ص7.

[2]- محمد الأنصاري أبو عبد الله الرصّاع، فهرست الرصّاع، تحقيق محمد العنابي، (د ط)، المكتبة العتيقة: تونس 1976م، ص 127.

بن نافع المغرب وبعد وصوله إلى توات سنة 62هـ/681م، سأل إذا ما كانت المنطقة تواتي لنفي العصاة فأجابوه بأنها تواتي فانطلق اللسان بذلك[1]".

أما محمد بن مبارك فقال: "إن أصل الكلمة أعجمي وقد أطلقتها قبائل من لمتونة عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[2]".

وأما الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي أصّل تأصيلاً آخر للتسمية فقال: "حكى عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طلبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر الثمار والكروم، ففعل ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الإتاوات كيلاً ووزناً، على حسب التخريص، فعرف أهل هذه الأرض بأهل الإتوات لأن السلطان قبلها منهم في المَغرم"[3]

وقد ثبت أن عبد المومن الموحدي بعد رجوعه من افريقية سنة 555هـ/ 1160م، أمر بإجراء مسح عام وشامل لبلاد المغرب، وأسقط من هذا التقدير الثلث عن أهل الجبال والأراضي غير المنتجة، ما بقي ففرض عليه الخراج نقدا وعينا وأنشأ لهذا سجلا خاصا وأراد من وراء ذلك بسط النفوذ الموحدي على كافة بلاد المغرب بالسيطرة على مراكزه الشمالية والطرق التجارية الكبرى فى صحرائه "وكان بذلك عبد المومن أول من وظف

---

[1]- محمد بن عمر بن المبروك الجعفري، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط، ورقة 02 و.

[2]- محمد بن مبارك، تاريخ توات، مخطوط، ورقة 02 و.

[3] ـ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، ورقة 03 و.

الخراج على بلاد المغرب، وألزم كل قبيلة بدفع قسطها من القمح أو الورق، عفا الله عنه[1]" فكان بذلك على أهل توات إتاوات ومغارم يؤدونها مثلهم مثل سكان المغرب.

ومما ورد في المصادر كذلك أن "أهل هذه الأوطان ـ توات وقصور الصحراء ـ وضعت عليهم الإتاوات والضرائب وصارت لهم جباية، وكانوا يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونها بالدماء ويسمونها حمل الرحيل.[2]"

ومن تفسيرات كلمة توات ما ذهب إليه الشيخ العالم مولاي أحمد الطاهري حيث قال: "فصلٌ سبب تسميتها بتوات؛ وإنما سُميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة أي تليق بها لأن كل من أتى عليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة."[3]

هذه أهم التفسيرات الواردة في المسألة، وقد كانت مواقف الباحثين مختلفة في الأخذ بهذه الآراء وردها، فمنهم من رأى ــ كالحاج أحمد الصديق ــ أن أصل الكلمة أعجمي فما دام الفرع وهو أسماء القصور أعجمي فإن ما يجمع الفروع يكون من جنسها ونوعها وظهر لي أن ما يعضد هذا الرأي هو قول ابن خلدون أن الذي اختطها هم زناتة حيث يقول عن عرب المعقل: "وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر، مثل قصور السوس غربا، ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ثم واركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا"[4] ومنهم من ذهب إلى أن التسمية عربية ــ منهم محمد حوتية وأحمد جعفري ــ حيث وافق معنى الكلمة ما ذهبت إليه بعض تفسيرات علماء المنطقة قديما وحديثا، ويعضد هذا ما وجدته في مراسلة العصنوني لفقهاء تلمسان وفاس في قضية يهود توات حيث أقرّ فيه أن

---

[1] ـ السلاوي، الاستقصا، ج2/ص160.

[2] ـ نفسه، ج2/ ص160.

[3] ـ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار علماء وصلحاء توات، مخطوط، ورقة 3 ظ.

[4] ـ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6/ص78.

توات بلد اختطه المسلمون يقول العصنوني: "وسبق إلى فهمي أن المسألة المسؤول عنها مندرجة في البلد الذي اختطه المسلمون إذ معنى الاختطاط عندي البناء والتأسيس"[1] يقصد بذلك أن توات اختطها المسلمون من العرب وغيرهم، فيفتح لنا هذا المجال في كون العرب لهم دور في التأسيس ولو بالتسمية.

إن ما يقرّره ابن خلدون ــ كونه أرخ للعمران البشري في هذه المنطقة ــ عند ذكره لأول من استوطن توات وما في معناها من بلاد الصحراء؛ من أن أمماً من قبائل زناتة نزلوا بها واتخذوا بحافات وديانها الجارية العمارات، يؤكد أن الزناتة من البربر هم أول من نزلوا الإقليم، ثم لحق العرب بهم، وأطلق الزناتة كل الأسامي التفصيلية على معظم قصور توات القديمة بالزناتية، في حين نجد أن القصور المتأخرة التي أسسها العرب أساميها عربية كقصر أولاد علي وأولاد إبراهيم والمنصور ومهدية في تيمي وقصر الجديد في فنوغيل ورقان وسالي وغيرها، فإذن إما أن تكون كلمة توات زناتية ــ إن هم اصطلحوا على اسم لكافة القطر ــ ولكن لانعدام معنى هذا الاسم في الزناتية يستبعد هذا وإما أن لفظة توات عربية أطلقت على كامل القطر، أطلقها عليه العرب بعد لحاقهم بها لأنه لم يكن للقطر اسم يعمُّه، أو أنهم استبدلوها عن غيرها لسبب من الأسباب توفر دعى لإطلاق هذا الاسم؛ كمواتاتها للنفي مثلا، أو قضية الإتاوات أو غير ذلك، فاصطلح الناس عليها، كما نرى اليوم أن كلمة توات استبدلت وحلت محلها كلمة أدرار التي أصلها بربري هو أدغاغ وشاع استحدامها، وبهذا نستطيع أن نجمع بين ما يلي: من اختطها ــ بغض النظر عن كونه من المسلمين ــ هل هم الزنانة أم العرب؟ ومن أطلق عليها هذا الاسم الزناتة أم العرب؟ ومن هذا المنطلق نصل إلى أنه إما أنّ زناتة أسسوها وسكنوها ولم يسموها فسماها العرب، وإما أنهم أطلقوا عليها اسم ولما دعت الضرورة إلى تغييره غيّر

---

[1] ــ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وجماعة ، دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1401هـ/ 1981م ، ج2/ص 214.

فأسامي البلدان تتغير من جيل لأخر، وما يقوي هذا هو أن لحاق العرب بهذه المنطقة تلا دخول الزناتة لها بمدة ليست بالطويلة جدا.

ثانياً ــ الموقع الجغرافي العام للمنطقة:

يشكل إقليم توات المجموعة الكبيرة لواحات الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت التي تلتف حول جوانبها هذه الواحات، ومن الجنوب هضبة مويدير، ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات؛ وتقع المنطقة بين خطي طول 4°غرباً إلى1° شرقاً وبين خطي عرض 26°-30° شمالاً ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين وتوات وتيدكلت[1].

منطقة تينجورارين:

تقع شمال الولاية، يحدها من الجنوب هضبة تادمايت، يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والشمال الشرقي، ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة "يوجد الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافياً باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور والتي تقع في شمال الإقليم، ويوجد بالإقليم سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي أمقيدن ووادي صالح"[2].

---

[1] ــ تنكورارين أو قورارة تعني بالأمازيغية: المعسكرات، و تيديكلت تعني بالزناتية: راحة اليد.

[2] ــ محمد حوتية، توات الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة أدرار وجامعة تيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، 14 أفريل 2009، ص 24.

ومن أهم قصور تينجورارين: قصور أوقروت، وقصور تبلكوزة وقصور أجريفت وقصور تيميمون، وقصور أولاد سعيد، وقصور تقانت، وقصور حيحة، وقصور شروين وقصور الزوى ودلدول وقصور الدرامشة، وقصور تسابيت وقصور السبع.

منطقة توات الوسطى:

"تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تكوِّن الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي"[1]، فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب؛ فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان، وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية.

وأهم قصورها ما يلي: قصور بودة وقصور تيمي التي من جملتها قصر تتلان ــ مسقط رأس المؤلِّف ــ وقصور تمنطيط وقصور بوفادي أو أولاد الحاج وقصور تسفاوت أو فنوغيل وقصور تامست وقصور أنزجمير وقصور سالي وقصور زاوية كنتة أو أولاد سيدي حمو بلحاج وقصور رقان.

منطقة تيديكلت:

"تقع تيديكلت بين توات الأصل غرباً وهضبة تادمايت شمالاً وهضبة مويدر جنوباً يخترقها وادي أقراب الذي يصبّ في واد مسعود نحو الجنوب الغربي"[2]، وأهم قصور منطقة تيديكلت: قصور أولف وقصور أقبْلِي وقصر تيط وقصور إينغر وقصور عين صالح.

---

[1] ـ محمد حوتية، نفسه، ص 25.

[2] ـ نفسه، ص25.

ومجمل قصور توات تزيد عن ثلاثمائة قصر، تؤلّف سلسلة من القصور تنفتح على الشمال، وتنغلق باتجاه صحراء تنزروفت[1].

ويجرنا الحديث على الموقع الجغرافي، إلى الطريق التي تربط موقع توات بفاس فالطريق بين توات وفاس وردت في عدّة مصادر جغرافية ورحلات لعلماء ورحّالة، في العصرين الوسيط والحديث، فقد مرّ بها ابن بطوطة قاصدا فاس، والحسن الوزان في رحلته، وأبو سالم العياشي في رحلته إلى الحج آتيا من سجلماسة قاصدا البيت الحرام وأهمها طريقين رئيسيين[2] هما:

الأول: توات ← ايقلي ← أم دريبينة ← قصبة المخزن ← مكناس ← فاس.

الثاني: توات ← ايقلي ← فيقيق ← سجلماسة ← تافيلالت ← فاس.

"يعتبر الطريق بين فاس وتوات، خاصة الجزء الجنوبي المار عبر سجلماسة طريقا رئيسا لقوافل الحجيج من المغرب الأقصى مرورا بتوات، وتقدر مسافته في ذلك العصر بـ 32 يوما من توات الوسطى تيمي إلى فاس، و39 يوما من تيدكلت وعين صالح"[3] وفي ملاحق البحث، ملحق رقم(4) و(5) خريطة توضح أقاليم توات الثلاث والثانية تبين أهم الطرق التجارية المارة به.

ثالثاً - حدود وتضاريس إقليم توات:

حدد الشيخ مولاي أحمد الطاهري أطراف توات، ورسم خطوط خريطتها من الجهات الستة، مبيّنا ذلك بذكر القصور الواقعة على هذه الأطراف، أو البلدان التي تلامس

---

[1] ـ نفسه، ص30.

[2] ـ حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج 2/ص ص 133-143، وأبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1/ص18.

[3] ـ مبارك جعفري، علماء توات في حاضرة القرويين بفاس خلال القرن 12هـ، ملتقى توات وحواضر المغرب الإسلامي، ص135.

هذه الحدود فقال:"حدها من الشرق الجنوبي يبتدئ من قصور أقبلي وتيط واينغر وعين صالح وفقارة الزوى وفقارة العرب والساهلة، ومن جهة الشمال الشرقي الصحراء التي تقرب من المنيعة يسكنها الشعانبة، وحدُّها من الشمال الشرقي يبدأ من الصحراء التي بين المنيعة وتيميمون، ويمتد حدها شمالا من قصر كركور وتبلكوزة إلى زاوية سيدي محمد عريان الراس من جهة الشمال الغربي، ومنها يمتد غربا إلى بودة فتسفاوت وأخيرا تمادنين، من جهة الجنوب الغربي، وحدها يبتدئ من تمادنين غربا فزاوية الرقاني جنوبا فقصور أقبلي من الجهة الجنوبية الشرقية.[1]"

وكَوْن توات منطقة صحراوية، فإن تضاريسها صحراوية، حيث يُجمِل الشيخ مولاي أحمد وصف تضاريسها بقوله: "أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال ولا أشجار"[2].

تتألف أرضيتها المستوية ــ إلا قليلا ــ من: الرق والعرق والسبخة والهضبة والحمادة والوديان.

"فالرق هو سهل مغطى بالحصى الجافة تنتشر منها الرمال لتكون العرق، الذي هو عبارة عن رمال تمتد سهولها وكثبانها بين المغرب والسودان، وأما السبخة فهي عبارة عن بحيرة تتبخر مياهها صيفا وتستحيل إلى ضاية من الملح تسمى بالشط أو السبخة أو زاغز، وأهم سبخات توات سبخة تمنطيط وسبخة تيمي وأزل ماتي بجنوب الركان كما توجد بالإقليم بعض الهضاب لعل من أهمها هضبة تدمايت وهضبة الإقلاب التي ينبع منها وادي شناشن ويختفي في عرق شاش."[3]

---

[1] ــ مولاي أحمد الطاهري، المصدر نفسه، ورقة 06 و.

[2] ــ مولاي أحمد الطاهري، نفسه، ورقة 06 ظ.

[3] ــ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية، (دط)، الرباط، 1396 هـ/1976م، ص ص 119 151.

زاحمت الكثبان الرّملية كل جهة من جهات الإقليم، وشكلت بذلك خطرا على القصور والمساحات الزراعية والفقاقير، من القديم وإلى الآن "فكم من قصر هُجر وبساتين وحقول أتْلِفَت، كقصر أولاد ميمون الذي زاحمته الرمال من الجنوب"[1]. ولوقف زحف الرمال والزوابع عمل أهل توات على صنع حواجز من جريد النخل تسمى أفراك[2] لحماية النخيل والفقارات والقصور، فتوقف هذه الحواجز الرمال في مكان واحد وتزيد من مستوى ارتفاع وعلو العرق.

يوجد بإقليم توات ثلاثة أودية وهي: وادي مسعود[3] الذي ينتهي بإقليم توات الوسطى ووادي قاريت[1] بتيدكلت، ووادي مقيدن[2] بالقورارة، وبتوات مياه جوفية كثيرة تسقى بها

---

[1] ـ محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر نفسه، ص17.

[2] ـ طيب بوجمعة نعيمة، الموقع الجغرافي لإقليم توات، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة أدرار وجامعة تيارت : العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، 14 أفريل 2009،ص9.

[3]- "وادي مسعود: يتكون من اتحاد وادي كير مع وادي زوزفانة عند فجيج، يتجه نحو الجنوب وهناك يطلق عليه وادي الساورة يصل إلى كرزاز ويغير اتجاهه نحو الغرب، ثم يتجه نحو الجنوب وهناك يطلق عليه وادي مسعود وعندما يصل إلى تسفاوت يصبح سبخة" فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر،1977م، ص 02.

البساتين والجنان، كما اهتم التواتيون بحفر الفقارات والاعتناء بها لتوفير المياه اللازمة للشرب ولسقي المزروعات، وأما التربة فهي رملية صالحة للزراعة باستثناء بعض الواحات.

ب – تنلان:

1 ــ موقع قصر تنلان:

يقع هذا القصر في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، ويبعد عن مقر الولاية بـــ02 كم وهو أحد قصور مقاطعة تيمي.

2 ــ تأسيس قصر تنلان:

أسّسه الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني ــ جد المؤلِف ــ عام 1058هـــ/ 1648م وأقام بها زاويته المشهورة المسماة: رزق الله الواسع لعباده النافع، ثم نحت الفقاقير بها وعمّر البساتين وجعل كل ذلك لوجه الله تعالى، فاشتهرت زاويته بتوات "وتنلان القديمة ليست تنلان الحديثة، فالأولى اندثرت وتفرق سكانها إثر هجمات وغزوات الرُّحّل عليها، وإنما سرى اسمها لهذه الزاوية.[3]"

كان سبب انتقال الشيخ أحمد بن يوسف إليها من بلده الأصلية أولاد ونقال تعرّضه لمضايقات من أخواله فاعتزلهم ورحل إلى ناحية تنلان، يوم11 رمضان 1058هـــ/

---

[1]- "وادي قاريت: يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تديكلت، يتجه جنوبا غربها ويصل في نهايته بوادي مسعود، ويصبح روافدا له" محمود فرج، نفسه، ص 02.

[2]- "وادي مقيدن: هو امتداد لوادي سفور، ينبع من المنيعة ويتجه غربا حيث يتلاشى، ويظهر من جديد باسم وادي شيدون، وينتهي بالقورارة مكونا سبخة قورارة". نفسه، ص 02.

[3] ــ عبد العزيز سيد اعمر، المرجع نفسه، ص 46.

1648م، وأسّس زاويته الجديدة في هذا الموضع، فبنى جامعها وحفر فقاقيرها وعمّر قصرها و بساتينها وجعل كل ذلك صدقة، وهو ما يؤكده محتوى وثيقة حبوس زاوية تنلان وتحديد عمارتها، وهذه الوثيقة عبارة عن وصية بخط الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الوانقالي ثم التنلاني، ورد فيها التحديد الدقيق لزاوية تنلان يقول "أنه اعتزل عن بلده وخرج إلى أرض جرز، ونزل بها.... خارجة من البلاد والعمران، وهي من طريق المسلك من بلد تنلان التي منها السبيل إلى بلد تيمي إلى جبل بغيول طولا، وعرضا من فقارة أهل تنلان إلى حدود فقارة أجدلاون..... أجرى لها المياه وأحياها بعدما كانت مواتا وسمّاها: رزق الله الواسع بالنبي الشافع... وبنى ما بنى و غرس فيها ما غرس .... في سبيل الله...."[1].

كان لزاوية تنلان الدور العلمي والثقافي البارز في عموم بلاد توات خلال نهاية القرن 11هـ/17م، وبداية القرن 12هـ/18م، حيث نافست زاوية البكريين بتمنطيط وزاوية الكنتيين، وبلغت هذه الزاوية أوجّ عطائها في عهد الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف صاحب المخطوط موضوع التحقيق.

02 ــ الأوضاع العامّة في عصر المؤلف:

أ ــ الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

إن لبُعْد موقع توات عن حواضر شمال المغرب السياسية جعلها على مرّ العصور التي سبقت عصر المؤلّف والتي تلته ترى اهتمامات آنية ومصلحية من قِبَل حكّام هذه الدول والإمارات، فلم تفرِّط فيه بالكلية لأن أهميته الاقتصادية التجارية تملي عليهم ذلك ولم يكن لأي منهم نائب خاص يتميز بما يتميز به ولاة أمور الحكام، وله الأثر السياسي الواضح في تسيير وسياسة الإقليم اقتصاديا واجتماعيا، فالبعد إذن، وشساعة مساحة

[1] ــ أحمد بن يوسف الوانقالي التنلاني، وثيقة حبوس قصر تنلان، مخطوط، خزانة بن الوليد، باعبدالله.

الإقليم، والتّوزع المتباعد للتجمعات السكانية، كان له الأثر في عدم الدخول العام للمنطقة تحت سلطة والي أي حاكم، فكانت البساطة والعفوية أهم ما ميّز هذه الأوضاع الحياتية.

أما من ناحية الوضع السياسي : فلم يكن على توات عامل لأي من حكام دول الشمال الإفريقي فلضُعف همّتهم وقوّتهم لم يستطيعوا ضمّها، مع علمهم بأهميّتها "فعرف إقليم توات الكثير من التقلبات والتغيرات بسبب الأنظمة المتعاقبة وقيام الدول وسقوطها فوجد أهل توات أنفسهم مضطرين لضبط الموازين الشرعية وإيجاد المخرج من المشاكل التي كانت تعيشها فوسعوا سلطة القضاة وجعلوا رؤساء القبائل أهلا للحل والعقد، فحكموا البلاد بنصوص الشّرع الثابتة وأسقطوا عن الناس الضرائب والإتاوات وتمتع شيخ القبيلة بالسلطة وكانت أحكامه ملزمة.[1]"

وما يدلّ على خُلوّها من أي عامل آنذاك وأن شيئا من أمر الحلّ والعقد كان في يد العلماء والقضاة وأعيان المنطقة، ما قاله التنلاني عبد الرحمن بن عمر في فهرسته أثناء ترجمته لشيخه المؤلّف؛ قال: "فلما كثُرت الخصومات بتوات ألحوا عليه ــ أي على شيخه المؤلِف ــ في تولية الفصل بين أهل الخصومات ولم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن، فقبل ذلك وأحسن السيرة وأظهر العدل، ولم يخف في الله لومة لائم فانقاد مُعظم الناس لحكمه من غير وجود حاكم يُجْبِرهم عليه بل هبة من الله تعالى"[2] فكان ما قاله التنلاني يدلّ على ذلك، وبهذا يكون الاستقرار السياسي نسبي بالمنطقة لأن الانقياد لهؤلاء لا يكون تاما من قِبَل جميع السكان، فإن التنلاني استثنى من مجموع الناس بعضهم وهم الذين لم يرتضوا تسليم الأمر للعلماء بقوله: "إلا نفرًا قليلين منهم ممن لهم سطوة

---

[1] ــ عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، ط2، دار الغرب : وهران 2007، ص33.

[2] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 90 .

واشمئزازاً أوّلاً ثم رجع إليه صاغراً"[1]، وكذلك ما أورده في درة الفاخرة"أنه بقي الحكم ينفذون حكم الشرع العزيز إلى سنة 1139هـ/1726م"[2] مع أنه مما ميز الوضع الأمني والاستقرار العام في توات وجود بعض القلاقل والتشغيبات من حين لآخر، ففي عام 1010هـ/1601م جاء غزو غريب من جهة الساحل، هتكوا قصر بنهمي وودغة وعزي ومكرة وفي هذه السنة وقع غلاء عظيم بجميع توات...وفي سنة1154هـ/1741م شن البرابر غرة على توات روّعوا أهلها ترويعا عظيما وتكررت إذايتهم وكبر أمرهم عند الخاصة والعامة...وفي سنة 1174هـ/1760م اغتال الغنانمة قافلة من توات وسلبوا ما في أيديهم وأرسلوهم مجردين من مالهم ومتاعهم."[3] فهذه النصوص توحي بما كان يتخلل الوضع السياسي من أعمال إجرامية وتخريبية خارجية تعود على المجتمع التواتي بالنتائج الوخيمة وتجر الوبال والتذبذب مستوى وضعه الأمني وأمانه الاقتصادي.

وأما من ناحية الوضع الاقتصادي: فقد كان مرَدُّ كل اهتمام بالإقليم راجع للعامل الاقتصادي، فموقعه الإستراتيجي جعل منه النقطة المركزية التي تتقاطع فيها أهم وأفضل الطرق التي تربط بين حواضر الشمال المصدِّرة والمستهلكة، ومراكز الجنوب المنتج للذهب والمصدّر للرقيق وغيرهما من سلع السودان الغربي، فقام هذا الاقتصاد على عوامل ومميزات خاصة، إلا أنه قد كان الأثر الكبير للوضع السياسي وما يعرفه من تقلبات على الاقتصاد والحركة والتجارية، حيث نجد أنه لما "جاء غزو غريب من جهة الساحل هتك قصر بنهمي وودغة وعزي ومكرة وقع غلاء عظيم بجميع توات"[4] فساهم في هذا الغلاء قلة العرض في السلع كما وكيفا، للخلل الذي يصيب النشاط التجاري من جراء انعدام الأمن فقد ترتفع الضرائب على التجار فتتعسر أمور تجارتهم.

---

[1] ـ نفسه، ص 90.

[2] ـ المهداوي، المصدر نفسه، ورقة 9ظ.

[3] ـ المهداوي، المصدر نفسه، ورقة 8و،10و.

[4] ـ نفسه، ورقة 9ظ.

ومن أهمّ ما شكّل اقتصاد توات عامل الزراعة، فالفلاحة أهم نشاط اقتصادي يتعاطاه سكان الإقليم، ولم تمنعهم قساوة الطبيعة وشدة حَرّها، وعدم خصوبة التربة من تطويع المنطقة، وتحويلها إلى واحات وجنات خضراء.

والحركة التجارية كانت تضرب الأسواق القارة والموسمية وأشهرها سوق بودة وتمنطيط، حيث كانت تُستقبل القوافل القادمة من الشمال شرقيه وغربيه، والمحملة إلى توات بالقمح والسمن والزيوت والشحم والسكر والصوف والأغنام، فيما كانت القوافل الجنوبية تحمل إلى أسواق توات العبيد والذهب وريش النعام والإبل.

أما سلع التبادل التجاري فهي سلع الأسواق المجاورة في الشمال و الجنوب، إذ كان يتم الاتجار "في الذهب والودع والرقيق الذين كانوا يرسلون إلى الشمال والملح والأسلحة التي كانت ترحل إلى الجنوب، فكانت هذه الأصناف تقوم بدور جوهري في الحفاظ على الهياكل الاقتصادية والسيايسة للدول التي تشتريها سواء في أوروبا أو شمال إفريقيا أو إفريقيا الغربية، فالذهب والودع كانا عملتين رئيسيتين، والرقيق كانوا يشكلون نسبة ضخمة من الأيدي العاملة والقوة العسكرية في مناطق معينة، والملح كان ضرورة غذائية وهناك أصناف تجارية أخرى للترف، مثل الأقمشة الغالية الثمن والفلفل والعاج وجوزة الكولا والمصنوعات الجلدية، ومنها كذلك ريش النعام الذي كان ينقل شمالا، والنحاس والأغذية المحفوظة والأواني الزجاجية وهذه ترسل جنوبا"[1] هذه السلع عموما، وكذلك أنواع التمور المختلفة، والحناء وبعض التوابل المصنوعات اليدوية، وقد ألمح واصف تمنطيط إلى وجود الصنائع بها، وسمى بعضها كالحدادة والنجار، وهذا مما كانت تشارك به منطقة توات في هذه الشبكة التجارية، كما عرفت توات ضرب السكة فضلاً عن بعض الصناعات اليدوية، لسد حاجات أساسية كالنسيج أو تلك التي توفر المنطقة وطبيعتها مادتها الأولية كصناعة الفخار والقِفَف والأطباق والجلود.

---

[1]- ج. هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقية الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، 1998، ص161.

ومما تدلّ عليه كتب النّوازل أنه قد "استعمل في توات كما في سائر حواضر المغرب العربي النقد بمختلف عُملاته أنذآك، حيث ورد ذكر العديد من القطع النقدية التي جرى تداوله، جاء ذكرها في كتب النوازل وأرسام ووثائق البيوع منها المثقال والدرهم والفلس والموزونة"[1]، وأبانت هذه الوثائق كذلك أن نِظام المقايضة كان يجري العمل به على نطاق واسع، وكان من جملة طبيعة العلاقات التجارية داخليا وخارجيا وكان التمر هو غالب أثمان أهل توات فيما يقتنونه من عروض.

"وجملة القول في اقتصاد توات أنه كان هشّاً، فحالة الاستقرار النسبي الذي كان يمتاز به النشاط الزراعي لم يقابله استقرار في الحركة التجارية، إذ كانت الأخيرة عرضة لهزات عنيفة تبعاً للأوضاع الأمنية في المسالك الصحراوية، وكذا التقلبات السياسية كحالة الاضطراب التي أعقبت وفاة السلطان العلوي إسماعيل بن الشريف سنة1139هـ/ 1726م، وهو ما يعني أننا أمام اقتصاد مندمج في محيطه الإقليمي سريع التأثر بما يجري حوله من تقلبات أمنية وسياسية[2]".

أما من ناحية الوضع الاجتماعي : فقد تألّف المجتمع التواتي من أربعة طبقات، كان أساس تمييز هذه الطبقات هو الأصول والسلالات التي يرجع إليها سكان توات، فالكل ينتسب إلى أصله ويعرف من أين أتى، وقد تميز بهذا المجتمع التواتي كغيره من المجتمعات الإسلامية وإن كان ابن خلدون قد أشار إلى الاختلاط الذي وقع للأنساب في الحواضر مع العجم وغيرهم، إلا أنه أقرّ بقاء ذلك في البدو ومن شابههم، فقد تَرْجَم لأحد

---

[1]- جرادي محمد، الحالة الاقتصادية لإقليم توات في القرنين 11 و12 الهجريين من خلال كتب النوازل، مجموعة أعمال ملتقى توات وحواضر المغرب الإسلامي، 14 أفريل 2009،ص 339.

[2] - جرادي محمد، نفسه، ص340.

فصول مقدمته بما يلي: "فصل في أن الصّريح من النّسب إنما يوجد للمتوحِّشين في القَفر مِن العرب ومَن في مَعناهم."[1]

يقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري فيما يخصّ طبقات ولغة أهالي توات ومذهبهم الفقهي وغيرها ما يلي: "ذِكْر سكان توات وهم أربعة أقسام: الشرفاء[2]، والعرب والمرابطون، والموالي، ولغتهم العربية والدارجة، ودينهم الإسلام وعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم مالكي وطريقتهم جنيدية، ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا يرجع لأشعة الشمس"[3]، ولم يذكر في هذا التقسيم العام الزناتة ذوي الأصول واللهجة الزناتية الذين يقطنون إقليم القورارة ويشكلون أغلبية سكانه السّاحقة، إلا أنه تعرض إليهم عند ذكره لبلادهم.

وممّا وُصف به أهل توات "أنهم من أضعف بلاد المغرب قاطبة غالب أهله ضعفاء مستضعفون، ولضعف أهله وهضم قوة النفوس كثر فيه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[4].

"تميز الإنسان التواتي إلى جانب تدينه بطباع اجتماعية فاضلة كالطيبة وكرم الضيافة وقد أشار إلى هذه الجوانب كل من زار الإقليم، فالعياشي بعد أن مرّ بالإقليم في طريقه لتأدية فريضة الحج يقول عنهم؛ بأنهم أهل تقوى وصلاح، والرحالة الألماني جير هارد رولف يصفهم بأنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين، وكذلك

---

[1] ـ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، نسخة محققة بإخراج جديد، دار الفكر: بيروت، 1424هـ/2004م، ص134 .

[2] ـ الشرفاء أو الأشراف، وهم الذين يرجع أصل نسبهم لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

[3] ـ مولاي أحمد الطاهري، المصدر نفسه، ورقة 07 و.

[4] ـ محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر نفسه، ورقة 04و.

الكومندان ديبورتر الفرنسي، فهو يذكر في تقريره أكثر من مرة تمسّك أهل توات بدينهم وكرمهم مع الغرباء وبالمسالمة مع جيرانهم"[1].

ب ــ الوضع العلمي والثقافي ببيئة وعصر المؤلف:

إن لتوات صِلة قوية بالعلم وأهله، إذ قصدها العلماء وقصد أهلها العلماء وحواضر العلم على مر العصور، فنجد أن المغيلي الذي دخلها في القرن التاسع الهجري يقول قولته المشهورة: "دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا منهم وانتفعوا منا"[2]. وهكذا وإلى عصر المؤلِّف عرفت توات الكثير من العلماء، وانتعشت فيها الحركة العلمية، وتوالت عليها أعصر الازدهار العلمي المعرفي، ولا أدلّ على ذلك إلا ما سُوِّدت به صفحات كتب التراجم من جميع أنحاء أقطار المغرب فيذكرهم الحفناوي في تعريف الخَلف، وابن مريم في البستان وصاحب سلوة الأنفاس، وأحمد بابا التمبكتي، وعبدالرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان، وصاحب كتاب فتح الشكور وما ورد في كتب تراجم التونسيين وغيرهم يشهد هذا؛ وما تركه علماء توات من أثار وتآليف وما خلّفوه من أسانيد وسلاسل علمية وخزائن غنيّة، والتأثير المحلّي والخارجي الذي أثبتته المصادر والمراجع المختلفة على حضورهم المتنوع والواسع، ومشاركتهم القوية في هذا المجال.

ولإعطاء صورة عامة تقريبية للوضع العلمي بتوات في عصر المؤلّف، ولمّا كان تواجد العلماء ومراكز بث العلم وانتشارها بأي منطقة باباً ومعياراً لمعرفة، مقدار نشاطها ومستوى نهضتها العلمية، مهّدتُ قبل دراسة الوضع العلمي بتوات في عصر المؤلّف بالإشارة إلى أهم الأعلام الذين عاصروه، وأشهر زوايا توات في عصره، وبعد ذلك فصّلت النّظر في عصر المؤلِّف، قبل سفره و بعد رجوعه لتوات.

---

[1] ــ خير الدين شترة، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أعمال ملتقى توات وحواضر المغرب، ص300.

[2] ــ الصديق حاج احمد، المرجع نفسه، ص50 .

أولا : فممن عاصر المؤلِّف:

01 ــ مولاي عبد الله الرقاني وابنه مولاي عبد الملك:

"أبوه مولاي علي بن مولاي الزّين بن سيدي محمد، كان رحمه الله من العلماء الأخيار الجامعين ما بين سرّ الظّاهر والباطن.

أسّس زاويته الشهيرة برقان بأمر خفي، التي لازالت ولقرون مضت تهتم بنشر العلم وإيواء عابري السبيل ومد يد العون لكل محتاج، توفـــي رحمه الله سنة 1148هـــ/ 1735م"[1]. وابنه مولاي عبد الملك الرقاني خليفته من بعده.

02 ــ القاضي سيد البكري بن عبد الكريم بن امحمد:

"ولد بتمنطيط 12 رمضان 1042هـــ/1632م، بعد وفاة والده بأربعين يوماً، أخذ عن سيدي محمد بن محمد بن اعلي النحوي الوقروتي، وجال في طلب العلم وقصد الجهات تولّى قضاء توات 1092هـــ/1681م، كان معروفا بالعلم، توفي 1133هـــ/ 1721م."[2]

03 ــ الشيخ الأوداوعلي الحسني الشنقيطي التواتي:

"ولد الأداوعلي بشنقيط، ثم انتقل منها لتوات وهو أول العلويين الشناقطة دخولا لها."[3]

04 ــ الشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرّقادي الكنتي:

---

[1] ــ عبد الحميد البكري، المرجع نفسه، ص 105.

[2] ــ نفسه، ص83.

[3] ــ مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية: الجزائر 2005 ، ج1/ص114.

يقول تلميذه في ترجمته: "منهم شيخنا وصاحبنا الفقيه الأديب الأريب الحليم النزيه سيدي عمر بن العلامة سيدي محمد المصـــطفى بن الفقيه الولي الصالح سيدي أحمد بن الرّقاد الكنتي، كان - رحمه الله - متواضعاً، حسن الخلق، لين العريكة، فصيحاً فقيهاً نحويًا، لغويًا، أديباً شاعراً محفوظ اللسان، وجيهاً، نبيهاً"[1].

كان مع طلبته في غاية الجد والاجتهاد في التحصيل والمذاكرة، كما وصفه التنلاني فقد كان يدرّس من الضحى إلى قرب الظهر ويُسمع صحيح البخاري مع شرح القسطلاني يقرأ أبياتاً من المتن ويتبعه بالشرح من صلاة الظهر إلى العصر ويُدّرس بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب، ويقرأ التصريح للشيخ خالد الأزهري ويراجعون ما احتاجوا إليه من الكتب.

له تحركات ورحلات عديدة، فكانت له زيارات للشيخ عمر الأكبر بتنلان وسافر لبلاد التكرور، وزار مدينة أروان.

"وفي آخر عمره توجه إلى بلاد تيدكلت لملاقاة ركب الحجيج، فدعاه أمير الحجاج أبي نعامة لصحبته للحج فأجابه، وحج وفي طريق رجوعه من الحج وصل إلى بلاد فزان وهناك أتاه أجله رحمه الله، وذلك بقريـــة زلّة التي تقع اليوم في إقليم برقة جنوب بنغازي بصحراء ليبيا، ليلة الجمعة الثالث والعشرون من ربيع الثاني1157هـــ/ 1744م"[2].

وكان دائم الإفادة والاستفادة، يأخذ عن كل من لقيه ولو كان أدنى منه، وكان جمّاعًا للكتب شراء أو نسخا، كثير التقييد، لا يملّ من نقل أجوبة العلماء، حيث جمع من ذلك ديوانا كبيرا.

05 ــ الشيخ أبي الأنوار بن عبدالكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني:

---

[1] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 136.

[2] ــ عبد الرحمن التنلاني، نفسه، ص137.

وهو ابن عم المؤلّف، فأبوَاهما شقيقان، أسّس زاويته بأولف، وبها توفي سنة 1158هـ/ 1745م.

06 ــ الفقيه الأديب محمد بن أبّ المُزمري:

"محمد بن أب بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري المخزومي مسقط رأسه قرية أولاد الحاج بأولف"[1]، من كبار فقهاء وأدباء توات نحوياً، لغوياً، تصريفيًا عروضيًا رائق الخط، شاعراً، مجيداً قال عن نفسه:

بحر الطويل

إذا سَادَ بالإقدَام عَمْرو وبالدّكَا تفرّد إياس وبالجُود حَاتـــــــمُ

فإن شعَاريْ صنْعَة الشّعْر فالذي يُنَازعُني فيـــه فَـذَالكَ الظَـــالــمُ

وقال كذلك على نفس التفعيلات:

وفزتُ بدرّ الشعر إذ غصتُ بحرَه ومثلي لنَيل الدّر من بحره أهلُ[2]

تنقل وطاف عبر كامل قطر توات، وزار علمائها وأضرحة صالحيها، ودرس ودرّس، فممن زارهم، الشيخ عمر الأكبر وأخذ عنه، والرقادي الكنتي، وقصر زاوية الشيخ المغيلي، والشيخ الأوداوعلي بقصر اعباني، وأسمع الصحيح في عدة أمكنة واستجاز وأجاز، ويوجد له في معظم مخطوطات توات تعليقات وتصحيحات بخطّه، ما يدلّ على كثرت اطلاعه لم يستقلّ ابن أب للتّدريس، وكان لا يتعرّض للفتوى، ورحل إلى سجلماسة وأخذ عن شيوخها، وكانت له رحلة لبلد السودان.

"أخذ عنه جماعة وانتفعوا به في مواطن عدة لأنه كان جوّالاً في البلاد."[3]

---

[1] ــ عبد الحميد بكري، المرجع نفسه، ص108.

[2] ــ ضيف الله بن أب، الرحلة لزيارة قبر الوالد، ورقة 33 و.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 140.

وفاة ابن أب:

"توفي رحمه الله، يوم الاثنين العاشر من جمادى الثاني، سنة ستين ومائة وألف للهجرة (1160هـ/1747م)، بمدينة تيميمون من بلاد تجورارين."[1]

مؤلفات ابن أب:

ألف التأليف النّظمية والنّثرية، في غاية الحسن منها:

منظومة عقد فيها صغرى الصغرى للشيخ السنوسي سماها اللّهنة المُعجلة في اثنين وستين بيتا، وشرحه على صغرى الصغرى سماها معونة القراء، منظومة عقد فيها سهو المقدمة الأخضرية سماها العبقري، ومنظوماته الأربع عقد فيها مقدمة بن أجروم وشرح للامية بن المجراد سماه نيل المُراد، ومنظومة في مسائل التمرين في التصريف سماها روضة النسرين وشرحها، وأرجوزة عقد فيها شافية بن الحاجب في علمي التصريف والخط وأبطأ عن تجريدها، ثم بدا له فمزّقها بعد أن جرّد منها نحو كراسين وشرحه على القصيدة الشقراطسية[2] سماها الدرع الفارسية، وشرحه على الهمزية تركه في مسودته وتكملة الخزرجية في فك دوائر البحور في إثني عشرة بيتا، وقصيدة رجزية في ألقاب الزحافات والعلل التي تدخل أجزاء التفاعيل العشرة سماها روائق الحلل، وشرحه للامية العجم، سماها نفث القلم، وتخميسه لقصيدة ما للمساكين المنسوبة لأم هانئ، وشرحه للتحفة الوردية، سماه النفحة الثردية، شرحه للمقصور والممدود لابن دريد، وشرحه للمنظومة الأولى للمقدمة الجرومية، وهما في المسودة وقصيدة فيها عشرة أبيات في القلب عارض بها أبيات الحريري في المقامات التي أولها: أسرار مالا إذا عوى الخ، وشرحها بشرحين

---

[1] ـ عبد الحميد بكري، المرجع نفسه، ص113.

[2] ـ "قصيدة لامية في السير، للشيخ محمد بن يحي بن علي الشقراطيسي، المتوفى 466هـ/1073م" حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت : دار الكتب العلمية، 1992،ج 02/ ص1339.

كبير وصغير، وقصيدة في مدحه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضمّنها أشطار من الألفية شطر من نظمه وشطر من الألفية إلى آخرها في ثمانية وخمسين بيتًا مطلعها:

بحر الرجز

صلاة رَبي لَمْ تَزَلْ مُتصِلِه على الّذي اسْتْقرّ أنّهُ الصِـــــلَه

نبيُنا الذي فَخــَارَهُ أتـــــى في النّظم والنّثر صَحيــحٌ مُثْبَتا[1]

07 ــ **عبدالكريم بن البكري**: "ولد 1096هــ/1685م، حفظ القرءان في سن مبكرة وأخذ الفقه والنحو وغيرهما عن والده، تولى قضاء توات بعد والده 1133هــ/1721م كانت سجلاته مبنية على الصلح نظرا لضعف توات، تميز بقوة حفظه"، كان يحفظ المختصر وصحيح البخاري وغيرهما من الأمهات، فقيها ولغويا بارعا، إماما في التفسير والقراءات "توفي رحمه الله 1174هــ/1760م، وقت صلاة الجمعة، ثاني عشر من ربيع الثاني."[2]

08 ــ **احمد بن هاشم العموري**:

"الرحّالة توفي في أواخر القرن الثاني عشر، قام بزيارة أجداده في قصر المستور بسالي، سنة 1113هــ/1701م، زار خلالها عدة قرى وذكر ما رأى فيها، لم تحفل المصادر التاريخية بترجمته كثيرا ولكنها سلطت الأضواء على رحلته، ككتاب أربعة قرون من التاريخ المغربي، توفي 13 رمضان 1199هــ/1785م، كما أثبت على الوجه الأول للرحلة الموجودة بخزانة أدغا."[3]

---

[1] ـ ضيف الله بن أب، المصدر نفسه، ورقة 33و.

[2] ــ عبد الحميد البكري، المرجع نفسه، ص 191.

[3] ــ عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دار دحلب، 2008، ص 22.

يذكر سبب رحلته الذي هو زيارة قصر المستور بسالي، المكان الذي يرقد فيه أجداده يقول: "طلبت من والدي الإذن بزيارة المستور البلد الذي يرقد فيه أجدادي منذ قدومهم إلى توات."[1]

09 ــ الشيخ الحاج عبد الرحيم بن محمد التواتي:

"وهو المقرئ الحافظ سيد الحاج عبد الرّحيم بن محمد التواتي ثم التّيماوي ثم التّامرتي."[2]

أحد أشهر القراء في توات في هذا العصر، عارفا بعلم التجويد حافظا للقراءات السبع من طريق الشاطبية، مجيدا متفننا متقنا للرسم والضبط، له مشاركة في الفقه.

رحل في صباه إلى فاس، قرأ على شيوخ عدة واهتم بالتجويد وأقام على ذلك سنين عديدة وزار أماكن عديدة، ثم رجع لبلده ولبث بها قليلا وعاد بعدها إلى فاس وأقام بها أكثر من عشرين سنة، وحج بعدها وزار القاهرة وأخذ عن علمائها.

وبعد رجوعه لمدينة فاس لم يقم بها إلا يسيراً حتى قدم لبلاده، وبها درّس الدرر اللوامع على مقرأ نافع على طريقة الشاطبية، ومما درسه حرز الأماني و موراد الظمآن وكان أعجوبة في حفظ عبارات شروح هذه الكتب، من تلامذته عبد الرحمن بن عمر التنلاني.

10 ــ عبدالله بن أحمد الفلاني القبلاوي:

ذكر في رحلته انه ولد عام 1118هـ/1706م، وأنه "دخل الكتّاب وهو ابن خمس سنين وفي السابع حفظ القرءان وفي التاسع حفظ القرءان برواية ورش وقالون ودرس مبادئ الفقه والعربية ببلدتهم أقبلي، وفي الرابعة عشر حفظ خليل والرسالة والعاصمية وقواعد المذهب وجمع الجوامع والجمل، وتوجه إلى قرية زاقلو 1133هـ/1721م،

---

[1] ــ مولاي احمد بن هاشم العموري، رحلته، ورقة 1و.

[2] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 157.

ودرس على سيدي عبد الرحمن بلعالم وأبو زيد التنلاني وزار عدة قرى طالبا للعلم كأدغا وأولاد أوشن."[1]

11 ــ ضيف الله بن محمد بن أب:

صاحب الرحلة الى زيارة قبر الوالد، إحدى أهم المصادر التي تخصّ أحداث وأعلام هذا العصر.

"ولد ظهر يوم السبت 16 من شوال 1122هـ/1710م، تعلم على يد والده المشهور الذي كانت الرحلة من أجل زيارة قبره، ذكر فيها شيوخه والقرى والأماكن التي زارها وأكثر فيها من الشعر والنكت والفوائد الأدبية والفقهية، برز في الشعر والنحو والعربية أنشد قصائد في فنون كثيرة، توفي أواخر القرن الثاني عشر."[2]، ومنهم الشيخ علي ابن حنيني بزاقلو، وغيرهم كثير داخل وخارج توات.

ثانيا ــ أشهر زوايا توات في هذا العصر:

ولما كانت **المؤسسات الثقافية والدينية** المتمثلة في الزوايا ؛ أحد أهمّ معايير وزن الوضع العلمي والثقافي، فإنه قد كان لبعض هؤلاء العلماء والصلحاء زوايا أسسوها أو أحيوا نشاطها، على اختلاف أنواعها التي منها: زوايا العلم باستقبال وتخريج الطلبة وأخرى للتصوّف ومَنْح الأوراد، وأخرى لاستقبال وإيواء الضيوف وعابري السبيل وربما جمعت الزاوية الواحدة كل هذه الوظائف، وظهر تأثيرها وما قامت به من دور هام في جميع قطر توات، فقد كان في هذه الزوايا العالم المعلِم لمختلف فنون العلم والقاضي الذي يفصل بين الناس، والمصلح بين الأفراد والأسر والقبائل، والشافع المقبول الشفاعة ومستقبل الضيوف وعابري السبيل، والمنظم لأمور البلد الاقتصادية والاجتماعية، من أشهر هذه الزوايا في عصر المؤلِف:

01 ــ زاوية جد المؤلّف أحمد بن يوسف:

---

[1] ــ عبد الله كروم، المرجع نفسه، ص 22.

[2] ــ عبد الله كروم، نفسه، ص 21.

وهي زاوية جد المؤلِف، والزاوية التي شهدت نشأته الأولى، وأخذ بها مبادئ العلوم أسّسها جده زاويته بتنلان، فبنى جامعها وحفر فقاقيرها وعمّر قصرها و بساتينها وجعل كل ذلك صدقة، أسسها بعد أن اعتزل بلده وخرج إلى أرض جرداء خارجة من البلاد والعمران، أجرى فيها المياه وأحياها بعدما كانت مواتا وسمّاها: "رزق الله الواسع بالنبي الشافع، وبنى حولها الدور، وجعل غرسها وماءها في سبيل الله."[1]

02 ــ زاوية مولاي عبدالله الرقاني:

مؤسسها الشيخ مولاي عبد الله الرقاني توفي 1148هـ/1735م برقان "أسّس زاويته الشهيرة بأمر خفي، لم تزل هذه الزاوية ولقرون مضت تهتم بنشر العلم وإيواء عابري السبيل ومد يد العون لكل محتاج، "خليفته فيها بعده ابنه مولاي عبد الملك الرقاني، كان رحمه الله مشهورا بالولاية معظّما عند الخاصة والعامة، عظم صيته في البلاد واشتهر فضله وسار ذكره في الأقاليم، ذا كدٍّ واجتهاد يشتغل بأوراده من صلاة الصبح إلى الضحى، لا ينام إلا قليلا قاعدا، جعل سلسلة في خشب سقف البيت في رقبته يمكن معها السجود والجلوس ولا يمكن معها الاضطجاع، حسن الصوت بالقرءان، كان ينظر القرءان في كفه يستدل بالآية بديهة ومن غير تأمل كثير البكاء رقيق القلب وكان رحمه الله يتكلم على الخواطر.

من كراماته تسخيــر الله الخلق له، ترى الناس يخدمونه ويخدمون زاويتــه من مسافة أربعيــن يوماً يهدون له الأموال العظام، فيجعلها في الزاوية وينفقها في سبيل الله.

[1] ــ أحمد بن يوسف الوانقالي التنلاني، وثيقة حبوس تنلان، مخطوطة، خزانة بن الوليد، باعبدالله.

توفي رحمه يوم السبت 12 أو 14 ليلة خلت من شوال عام 1207هـ/1792م، رحمه الله ورزقه رضوانه الأكبر"[1].

03 ــ زاوية البكريين بتمنطيط:

مؤسس العائلة البكرية بتمنطيط هوالشيخ ميمون بن عمرو بن محمد بن عمر البازي "ولد الشيخ ميمون بن عمرو بفاس، وأخذ عن علمائها كابن غازي، حل بتوات سنة 909هـ/1503م"[2] وعاصر القاضي عبد الله العصنوني وصاهره، ويعد الشيخ ميمون أول من أدخل مختصر خليل إلى توات بعد نازلة أجاب عنها مما يحفظ عن شيخه ابن غازي ولم تلق قبولا من طلبة توات في مجلس العصنوني، فعاد إلى فاس وجاء بالمختصر فاستحسنه أهل توات وعكفوا على دراسته، وكانت هذه المسالة التي دار فيها الخلاف هي أن رجلا اشترى جارية على أنها ثيب فوجدها بكرا، فأفتى الشيخ بوجوب الرّد، رواية عن شيخه ابن غازي فجاهره الطلبة بالتكذيب فقالوا إنما يكون الرد في الحالة المعاكسة، وأن الشيخ لم يستند في فتواه على كتاب معلوم، فسافر الشيخ إلى فاس ووجد الأمر مبسوطا في مختصر خليل فاشتراه بأربعين مثقالا وقدم به إلى توات، وكان أول من أدخل مختصر خليل إليها."[3]

من أحفاده العالم الجليل الشيخ أمحمد بن أبي محمد، الذي تصفه كتب التراجم التواتية أنه كان فقيهًا مقبلًا على مصنفات المذهب المالكي دراسة وتدقيقًا عالمًا في القراءات والحساب، أخذ عن علماء فاس كالعالم أبي العباس المنجور(توفي 995هـ/

---

[1] ــ محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان تكرور، تحقيق محمد الكتاني ومحمد حاجي،ط1، دار الغرب الإسلامي: بيروت 1401هـ/ 1981م، ص ص 203 205.

[2] ــ ابن عبد الكريم، المصدر نفسه، ورقة 15و.

[3] ــ ابن عبد الكريم، نفسه، ورقة 16و.

1587م)، وغيره من علماء الحضرة الفاسية ونتيجة لتقدمه في العلوم عرض عليه قضاء الجماعة التواتية فاستعفى، كانت وفاته ببلاد السودان سنة 1008هـ/1600م مخلفاً ابنه عبد الكريم الذي يعدّ من رواد الحركة العلمية في البلاد التواتية خلال القرن الـ11هـ/17م.

ولد العلامة الشيخ عبد الكريم بن أمحمد في تمنطيط في أواخر القرن العاشر الهجري، وبحسب ما هو مبسوط في رحلته أنه "أخذ القرآن ومبادئ التجويد والحساب عن والده أمحمد بن أبي محمد"[1]، "ثم ارتحل في طلب العلم لعدة أقطار وأخذ عن العديد من مشاهير علماء وقته كالعالم أبي زيد عبد الرّحمن بن سليمان بن موسى الجومي درس عنده زهاء الثلاث سنوات، كما أخذ عن العالم عبد الرحمن بن علي من لايخاف السجلماسي، وأبي زيان التلمساني، وأحمد بن معزى، كما أخذ عن الشيخ سعيد المقري كما أخذ عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري الذي لقيه في بني عباس."[2]

ولقد تبوّأ الشيخ عبد الكريم، بما أخذه عن مشايخه، مكانة علمية جعلته محلّ ثناء من معاصريه والمترجمين له، حيث شهد له الرحالة العياشي بغزارة العلم لقبه بعالم توات، وأثنى عليه صاحب جوهر المعاني فوصفه: "شيخ المشايخ الأعلام وقدوة أئمة الأنام، ورئيس المهرة وإمام البررة، الجامع بين الحقيقة والشريعة والنص والقياس"[3] كما نال تقدير واحترام العامة والخاصة فانتدب للقضاء.

لعالم توات تأليف كثيرة ومتنوعة، من أهمها على ما ذكر صاحب جوهر المعاني: غاية الأمل في إعراب الجمل على لامية ابن المجراد حاشية على مختصر اللقاني على ابن الحاجب اختصره بأمر شيخه سعيد وتحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز في أدب السفر إلى بيت الله الحرام وما يجب على المعتمر والحاج من المناسك، وما يصادفه من

---

[1] ـ نفسه، ورقة 01و.

[2] ـ المهداوي، المصدر نفسه، ورقة 02 ظ.

[3] ـ ابن عبد الكريم، المصدر نفسه، ورقة 13 و.

مزارات، وشقائق النعمان في من جاوز المائة بزمان وذكر فيه المعمرين، وسفينة النجاة بأهل المناجاة وهي قصيدة في التوسل بأولياء الله الصالحين، والرحلة في طلب العلم ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم، له العديد من المنظومات والقصائد الشعرية.

تصدّر الشيخ عبد الكريم بن أمحمد للتدريس في زاوية أجداده بتمنطيط، وتخرّج على يديه العديد من الطلبة من أهمهم، ابنه القاضي محمد بن عبد الكريم المتوفى سنة 1092هـ/1681، وابنه سيد البكري المتوفى سنة 1133هـ/1721م، والشيخ محمد بن علي الوقروتي والشيخ أحمد بن يوسف التنلاني.

04 ــ الزاوية الرقادية الكنتية:

زاوية الرقاديين من أهم الزوايا الشهيرة في توات، مؤسسها الشيخ أحمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي، المولود بواد نون سنة 968هـ/1560م، المنحدرة أسرته الرقادية الكنتية من نسل الفاتح الإسلامي والصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه "وفد سيدي أحمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي إلى توات مع القوافل التجارية حيث نزل بزاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن عومر، حيث رافق شيخها المذكور فترة فأمره بالانتقال إلى حيث مقر الزاوية حاليا، فاشتراها من أهلها وأسّس عليها مسجدًا سنة 1019هـ/ 1610م"[1]، وتصدّر فيه للتدريس والإقراء معتضدًا بالأشراف من أبناء سيدي حمو بلحاج الذين كانوا عماد هذه الزاوية وممونها الرئيسي، وبفضل نشاطه التعليمي الكبير قصد الزاوية الرقادية الكثير من الطلبة من توات وخارجها من أهمهم الشيخ سيدي أحمد القطبي

---

[1]ــ جعفري أحمد، أحفاد سيدي عقبة بن نافع ــ آل كنتة ــ وآثارهم بإقليم توات، الملتقى الدولي حول عقبة بن نافع الفهري، الجمعية الخلدونية للدراسات والأبحاث التاريخية: بسكرة، أيام 11-12-13 ديسمبر 2006، ص ص02-03.

الدمراوي، نزيل قرية أدمر القريبة من الزاوية وأحمد ومحمد ابنا الحاج أحمد الموساوي نزيل أولاد الحاج بضواحي الزاوية الرقادية، إضافة إلى الكثير من الطلبة من توات وبلاد السودان والمغرب، منهم الشريف سيدي عبد الله بن محمد البوشنتوفي المغربي نزيل قرية لحمر ببشار، والشيخ أبوعبد الله بن عبد الجبار الفيجيجي والشيخ الصديق بن عبد الله الوجدي"[1].

"توفي الشيخ سيدي أحمد الرقادي الكنتي سنة 1016هـ/1607م مخلّفا العديد من الأبناء كان أكثرهم علماء، تصدر بعضهم التدريس في الزاوية الرقادية وانتقل بعضهم إلى بلاد السودان الغربي"، وقد أحصى الشيخ الحاج أمحمد الكنتي شيخ الزاوية الحالي أن للشيخ المؤسّس ثلاث إناث وثمانية ذكران، هم السيد عمر والسيد عبد الوهاب والسيد عبد المؤمن والسيد أمحمد والسيد علي والسيد عبد القادر والسيد عبد الله والسيد محمد المصطفى"[2].

"وقد تولى الشيخ سيد علي بن أحمد الرقادي مشيخة الزاوية بعد وفاة أبيه المؤسس مواصلا مسيرة أبيه مدرساً ومربياً ومطعماً لعابري السبيل حتى وافته المنية 1128هـ/1716م، وتولى بعده على مشيخة الزاوية العديد من الشيوخ من أهمهم محمد المصطفى وابنه عمر."[3]

05ـ زاوية شيخ الرّكب النّبوي:

---

[1]ـ الكنتي الحاج أمحمد، التعريف بشخصية الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي مؤسس الزاوية الرقادية، الملتقى الثاني نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة، 20 ماي 2004.

[2]ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 19.

[3]ـ تقدمت ترجمته في ذكر أقران المؤلِّف، ص 32 .

ولد مؤسسها الشيخ أمحمد أبو نعامة بن عبدالرحمن القبلاوي 1060هـ/1650م ينّصل نسبه بعقبة بن نافع رضي الله عنه" يقال أنه أول من هيأ وأحيا المراكب والوفود إلى الحج، في توات وبلاد التكرور بعد اندثارها لسنين عديدة "[1].

05 ــ زاوية أبي الأنوار التنلاني بأولف:

انتقل أبو الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني إلى أولف، وأنشأ زاوية بمنطقة تيديكلت، اعتكف بها وقدم إليه الطلبة وظل هكذا حتى توفي بزاويته عام 1168هـ/1755م"[2].

وبجميع قطر توات زوايا أخرى كان لها نفس الدور الذي قامت به الزوايا المشهورة "كزاوية سيدي علي بن حنيني، أسسها الولي الصالح المذكور في القرن 11هـ/17م بقصر زاجلو، وزاوية الشيخ بن عمر العباسي أسسها الشيخ محمد بن عمر سنة1100هـ/1689م، بقصر بودة وتسمى اليوم زاوية الشيخ، وزاوية السي عبدالقادر بن عومر بفنوغيل أسسها الشيخ سيدي عبد القادر بن عومر، سنة 1113هـ/1701م زاوية بودة المنصور أسسها الشيخ ذو السبع حجات الجعفري، سنة 1161هـ/1748م بقصر المنصور بودة"[3]، **وغيرها من الزوايا** التي أنشئت إثر وفاة المؤلِّف أسسها تلامذته وتلامذة

---

[1] ــ أحمد جعفري، رجال في الذاكرة الوقفة الثانية الشيخ سيدي أمحمد أداوعلي، ق 12هـ، دار الغرب وهران، 2008، ص14.

[2] ــ ابن عبد الكريم، المصدر نفسه، ورقة 07 ظ.

[3] ــ أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، حياته وآثاره، الجزائر : دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2004، ص ص 47-52.

تلامذته كالونقالي والتنلاني المهداوي وابن المبروك البداوي والبلباليين، وفي أولف وأوقروت والمطارفة وغيرها.

الوضع العلمي بتوات قبل وبعد الرحلة إلى فاس:

يقول المؤلّف: "فقد كنت في حال صِغَري شَغوفاً بالعلم مُولعاً بطلَبِه مُشتغِلاً بقراءة الشيْخ خَلِيل، وألْفيّة ابن مالك، مُقبِلاً على ذلك، مُتشَوِّفاً إلى شَيْخ يَحُلّ لي ألفاظَهما ويُوقِفُني على معانِيهما، فلم يتّفِق لي ذلك؛ لِكَوْن البلد شاغرةً من العلماء"[1]، بناء على ما قرّره المؤلّف من خلوّ البلاد من العلماء الذين يُتوقف عليهم لتدريس مثل هَذين المؤلَّفَيْن الذيْن أشار إليهما، وما يعضد هذا أنه لم يكن بين شيوخ المؤلِّف ولا واحدا من توات فكل شيوخه الذين ذكرهم دَرَس عليهم بفاس، وهذا الرأي هو ما قرّره تلميذه في فهرسته بقوله "فقدم علينا في آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة وألف، فألفاني صبيًا بالمكتب لم أحفظ القرآن بعد، فوجد بلاد توات وتجوارين جيدها عاطل من العلوم، وجل طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء فضلا عن غيرها مما تَحَارُ فيه الفهوم"[2]، فمما يظهر من قوله أن جلّ طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء، يذهب بهذا مذهب المؤلّف من الانحطاط في المستوى العلمي لقطريْ توات، إذن فما ذهبا إليه يعارض ما أثبت في التمهيد السابق، فقد غادر المؤلّف توات وفيها من العلماء أمثال من سبق ذكرهم من أقرانه، وفيها من الزوايا كالتي سبق ذكرها، وهو ما يبرهن على أن توات لم تكن خالية تماما كما قصدا، فلا يمكن القول بانعدام العلماء من كامل القطر فهناك الكنتي في زاوية كنته، والبكريين بتمنطيط الذين تخرج من عندهم جدّ المؤلّف، ورحلة العموري التي كانت بتاريخ 1113هـ/ 1701م، دالّة على أحد الشخصيّات العلمية بتوات، فقد كانت اهتماماته في رحلته قيّمة ومحطات نزوله دالّة وملاحظاته هامة فعدد القصور التي زارها، وسجّل ما فيها من الأنساب، وأخبار وروايات تاريخية، فزار تاسفاوت وعزي وفنوغيل وقصر الجديد الذي

---

1 ـ فهرسة المؤلِّف، ورقة 1 و.

2 ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص87.

قال عنه "هناك طلب مني طلبة العلم أن اقرأ لهم كتاب منهاج العابدين وبدأت القراءة الأحد صباحا وأتِمَّ يوم الأربعاء مساء"[1]، وزار تماسخت وقال أن هذا القصر كان لليهود وقال عن قصر أولاد الحاج بزاوية كنتة : "هذا القصر قديم جدا يحتوي على العديد من الكتب فرأيت تاريخ الخلفاء، وتاريخ ابن السبكي وتاريخ ابن خلدون، وسجلات الفقارات لهؤلاء الناس، ويوجد لديهم مخطوط الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي مؤرَخ سنة 1040هـ/ 1630م"[2]، وتحدث عن قصر المناصير وأنه قرأ به فصولا من صحيح البخاري، ثم واصل سيره إلى أن بلغ المستور قال: "أقمت شهرا في قراءة البخاري في أرض أجدادي ثم توجهت إلى زيارة الرقاني"[3]. ومنها رحلة ضيف الله بن أب، لزيارة قبر والده من بلدته إلى تيتيمون وهي رحلة تقع في 56 ورقة، مسطرتها 30 كتابتها دقيقة رقيقة، في خزانة تمنطيط ذكر فيها القصور التي مرّ بها يقول: "قصدت بها بيان نبذة وأخبار رحلتي من بلدتي لزيارة شيخي ووالدي رحمه الله"، ذكر ما رأى من البلدان والوديان وأكثر فيها من نقل الفوائد والفرائد، وهي رحلة عظيمة القدر جليلة القيمة تدل على مستوى أدب الرحلة الذي وصل إليه إقليم توات.

فوُجود أمثال هؤلاء الأعلام، وهذه الزوايا، وأمثال هذه الرحلات تجعلنا نلتمس تعليلا لهذا الحكم، فربما قصد المؤلّف بالبلد مقاطعة تيمي التي كان يسكنها، فقد كانت آنذاك عاطلة عن العلم، خالية من كبار العلماء، فلم تكن بها زوايا لبث العلم، أو لكون هذه الزوايا ليست في المستوى الذي يرجوه من تدريس أمهات الفنون، وتخريج الطلبة، وربما ما يجعلهما يذهبان هذا الرأي هو التحول الذي عرفته البلاد في هذا المجال بعد رجوع المؤلّف من فاس.

---

[1]- مولاي احمد بن هاشم العموري، المصدر نفسه، ورقة 2و.

[2]-ن مولاي احمد بن هاشم العموري، فسه ،ورقة 2و.

[3] ـ نفسه، ورقة 3ظ.

فقد كان لقدومه لتنلان أن جعل منها قبلة لطلبة العلم ومجمعا لعلماء توات، فبث العلوم وانتشر طلبته في أطراف البلاد، يقول تلميذه "فاستنارت بنور علومه أرجاؤها وانكشفت لظهور شُموسه أقمارها فوفد عليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه وانتفعوا به كثيراً، وتخرّج عليه جماعة ولم يزل علمه إلى الآن ونرجو من الله بقاؤه إلى انقضاء الزمان"[1]

من أمثلة ذلك الجنتوري "فما إن بلغه قدوم شيخنا أبي حفص لبلادنا حتى رحل إليه فأقام عنده نحو سنة ونصف"[2] وهو أبرز تلامذته، ومن العلماء الذين زاروه في زاويته ابن أب الذي يقول عنه عبد الرحمان ابن عمر: "لقيته في صغري وأنا في المكتب بزاوية عم والدي في تنلان مر بها متوجها لبلاد تجورارين"[3]، وكذلك الكنتي حيث يقول عنه تلميذه عبد الرحمان ابن عمر: "لقيته بزاوية عَمّ والدي بتنلان، قدِمَها على شيخنا أبي حفص لخصومة بينه وبين رجل"[4]، فكثر بذلك التواصل والتزاور والتراسل بين هؤلاء الأعلام فنجد أحد كبار علماء توات هو تلميذه الجنتوري كانت بينه و بيت المؤلف مراسلات وردود في مسائل علمية، وما كان بينه وبين عبد الرحمن بن عمر كذلك، وأمثلة ذلك كثيرة واردة في مخطوط غنية المقتصد السائل في ما حل بتوات من المسائل[5]، فكان بذلك

---

[1] ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص87.

[2] ـ عبد الرحمن التنلاني،نفسه، ص 91 .

[3] ـ نفسه، ص 139.

[4] ـ نفسه، ص136.

[5] ـ"غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من المسائل" جمعها الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي، وهو من تلامذة الشيخ عبد الرحمن التنلاني وابنه محمد، وهي نوازل ضخمة مجموعة فتاوى ومرسلات علماء توات، أمثال الشيخ أبو حفص عمر، والجنتوري وعبدالرحمن بن عمر التواتي، ومحمد بن

تأثير المؤلّف في تغيير الوضع العلمي في عصره كتأثيره في إخراج العالم الذي قال:"لو لم ألقَه ما ذهبت و لا جئت"، وميّز هذا العصر ما أسّس فيه من الزوايا، وإحياء ما خمد نشاطه منها، وما ألّف فيه من تآليف مسّت معظم فنون العلم التي امتلأت بها خزائن هؤلاء الأعلام، وتوارثتها الأجيال، والمراسلات والمناظرات والإجازات، فأجيزوا وأجازوا، وتعدى نشاطهم إلى بلاد السودان والمغرب الأقصى والجزائر وتونس وغيرها.

فقاد المؤلِّف نهضة توات العلمية التي شملت أرجاء توات وجدّدَ ربطها بسلاسل وأسانيد العلماء، كما ربطها من قبله بن عبدالكريم المغيلى، والعصنوني في القرن التاسع وبعدهما عالم توات البكري في القرن العاشر الهجري، وبعد المؤلّف وبفضل حركته العلمية حدث نوع من الاستقلالية الفقهية لمدرسة توات، وبُنيت بها مرجعية فقهية علمية ثابتة الأصول متينة القواعد، انفردت بفروع وأحكام متأصلة خاصة بها، وأقييسة واجتهادات أمّلتْها على مستنبطيها بيئتهم الخاصة بهم.

المبحث الرابع: رحلة المؤلف إلى فاس.

1 ــ خروجه من توات ــ الدواعي والأسباب ــ.

العالم الزجلوي، والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم، والشيخ محمد بن عبد الكريم الحاجب وبحسب ما جاء في الغنية أن المشائخ الأربعة الأخيرة كانوا يمثلون مجلس شورى القاضي عبد الحق بن عبد الكريم، وكان الأخير يبعث إليهم بنسخ من القضايا المشكلة فيجيبون عليها ويتولى هو الترجيح واختيار الرأي الاصوب، عدد أوراقها 500 ورقة، لها نسخ في بعض الخزائن كخزانة بن الوليد بقصر باعبدالله، وخزانة كوسام، وخزانة مولاي على قريشي، أولاد إبراهيم أدرار وأخرى في خزانة آل بن عبد الكبير بقصر المطارفة.

لقد كان الداعي الأول لرحلته هو شخصيته المتميزة والراغبة في طلب العلم يقول عن نفسه: "فقد كنت في حال صِغَري شَغوفاً بالعلم مُولعاً بطلَبه، مُشتغِلاً بقراءة الشيْخ خَلِيل، وألْفيّة ابن مالك، مُقبلاً على ذلك، مُتشَوِّفاً إلى شَيْخٍ يَحُلّ لي ألفاظَهما ويُوقِفُني على معانِيهما"[1] ولأنه لم يجده في توات على حدّ قوله: "فلم يتّفِق لي ذلك لِكَوْن البلد شاغرةً من العلماء"[2]، كان خروجه من توات نحو فاس بتاريخ1117هـ/1705م وعلى اعتبارات كان توجهه نحو فاس فزيادة على وجود جامعة القرويين بها منذ قرون فإنها تميزت بشاطها العلمي القوي في هذا العصر، فتميزت فاس بهذا عن مراكز الشمال وبكونها كذلك قريبة من توات فقد كانت قبلة الطلبة من توات فعرفت عدّة أعلام من توات قبله كشيخه البرباعي وزميله التامرتي، فعلى هذا الأساس توجه نحو فاس.

خرج المؤلِف من توات وعمره تسع عشرة سنة، وهو سن يتوافق فيه مع طالب العلم اليوم الذي ينجح في امتحان الباكالوريا من أول مشاركة له في المسابقة دون أن يكون هذا الطالب قد خَفَقَ في سنوات إحدى الأطوار الدراسية.

2 ــ إقامة المؤلف بفاس وطلبه العلم.

أقام المؤلِف بفاس ثلاثة عشر سنة، طالبا فيها للعلم ومدرّسا له، فمنذ وصوله إليها اشتغل بالقراءة كما ذكر عن نفسه، فبدأ أوّلا بالقرءان الكريم، وبعده اتجه إلى كافة العلوم التي عرفت في عصره، واتصل بمعظم وأشهر شيوخ فاس في ذلك الوقت، وكانت له تحركات خارج فاس؛ فقد اتجه نحو مدينة مكناسة الزيتون وأخذ عمن ألفاه بها من العلماء وذكر من لقيه منهم ولم يأخذ عنه.

---

[1] ــ فهرسة المؤلِّف، ورقة 1ظ.

[2] ــ نفسه، ورقة 1ظ.

واستقر به المقام في هذه المدّة كلها بالمدرسة المصباحية إذ كانت مقر سكناه، مما يدل على أن الإقامة كانت متوفرة للطلبة الغرباء أمثاله.

إن ما أوْرَدَه في فهرسته من المناقشات في المسائل العلمية التي جرت بينه وبين شيوخه، لتمنحنا صورة عن نشاطه وعلو همته في الطلب في هذه المدّة، ودقة فهمه في العلوم كذلك، فقد كانت هذه التساؤلات التي طرحها على شيوخه وحقق فيها بنفسه بمثابة البحوث التي تقدم لطلبة الجامعات اليوم للدّلالة على الكفاءة والمقدرة العلمية.

وللمدة التي قضاه بفاس الكفاية التامة في تكوينه العلمي والاستفادة من المناهج التعليمية، وطرق التدريس التي انتهجها شيوخه، فكان بعدها على استعداد لسياسة وتسيير زاويته بتوات، وبث وتدريس العلوم الذي بدأه من هناك، وسيأتي ذكر العلوم التي درسها ودرّسها في مبحث ذكر نشاطه الدراسي والتدريسي.

3 ــ تصدُّرُ المؤلف للتدريس بجامع القرويين والمدرسة المصباحية.

وقد تأتّى للمؤلّف أن يَتبوّأ كرسي التدريس بفاس وفي جامعتها المشهورة جامعة القرويين ومدرستها المصباحية، كما أثبت ذلك هو بنفسه وتلميذه عبد الرحمن بن عمر في فهرسته، فقال هو عن نفسه: "وكنت مع ذلك في أثناء هذه المدّة التي أقَمْتُ فيها بمدينة فاس، أقرئ الطّلبة وأدرِّس لهم في الفقه وغيره، فكنت أقرئهم ألفيّة ابن مالك مراراً مرّة بالمدرسة المِصبَاحيّة، لأني كنت ساكناً فيها في أكثر المدّة التي أقمتها بمدينة فاس، ومرّة في جامع القرويّين"[1]، وقال تلميذه: "وكان في أثناء تلك المُدة يُقْرئ هو أيضا الطلبة بالمدرسة المصباحية، محلَّ إقامته"[2]، وكان لتدريسه بها التمهيد للتدريس بالقرويين، وظهر منه خلال هذه المرحلة الهامة صفات طالب العلم والتمكن فيه وسمات التواضع والأخلاق الكريمة مع الطلبة وغيرهم، فاتسعت الحلقة بازدياد عدد الطلبة يقول تلميذه عبد الرحمن بن عمر: "ولما أشتهر أمره وظهر حاله وفاح طيبه طلب منه الإقراء بجامع القرويين

---

[1] ــ فهرسة المؤلِّف، ورقة 13 و.

[2] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص86 .

فأقرأ به مدة جالساً على الأرض، ثم إن الطلبة لما كبرت الحلقة وضعف عن إبلاغ أقصاها نصبوا له كرسيًا ليجلس عليه"[1] ولكنه لم يحقق لهم مطلبهم، وجلس بجانب الكرسي المنصوب، وكان فعله دالاً على تواضعه وحكمته، كأنه كان يرى مالا يراه الطلبة، فألحّوا عليه في الجلوس عليه وشكوه عُذرهم ولكنه أبى ذلك، ولما جاء لموضعه على العادة من غده احتال الطلبة عليه ليصلوا إلى مرادهم يتوصلون بها لمُرادهم فلم يتركوا له موضعا يجلس فيه إلا موضع الكرسي، فلما نظر ولم ير موضعًا يجلس فيه إلا الكرسي جلس عليه، يقول التنلاني: "فأخبرني بعض أهل المجلس أنه لما جلس عليه لم يزل لونه يحمّر ويصفّر حتى انفضّ المجلس حياءً منه وتواضعاً رحمه الله، وتكاثرت الطلبة على مجلسه واتسعت حلقته حتى لم يبق في الجامع حلقة أعظم منها وذلك ومعظم أشياخه أحياء، مِنّة من الله تعالى لحسن نيته ونصحه لعباده"[2].

وازداد نشاط الشيخ، وتضاعف ما يبذله من جهد، وتميز فيما يلقيه من دروس بمحفوظاته، وتنويع المباحثات مع الطلبة، فنال بذلك حسن ظنهم، ويشير تلميذه إلى "أن الطلبة يكلفونه بحفظ عبارات الشروح التي يحضرونها في المجلس ويباحثون فيها فاحتمل تلك المشقة فكان لا ينام من الليل إلا قليلا، ولقد حدثني عنه شيخنا أبو زيد[3] رحمهما الله أنه قد كان يتكلف حفظ عبارة الحطّاب فربما كان في الدرس نحو من أربع عشرة ورقة من حاشيته بالقالب الكبير فيحفظ جميع ذلك ويمليه في المجلس والطلبة بأيديهم نسخ منه وأقام مدة في تدريس خطبة الرسالة شهرين لتكليفهم إياه إملاء ما ذكره شروحهما وحواشيهما من الأبحاث والتنبيهات، وتلك عادته رحمه الله في تدريسه في جميع الفنون

---

[1] ـ عبد الرحمن التنلاني، نفسه، ص87.

[2] ـ نفسه، ص87.

[3] ـ يقصد أبا زيد عبد الرحمن الجنتوري، أبرز تلامذة المؤلِّف .

يعتني بحفظ عبارة الشرح الذي يطالع في ذلك الفن وربما نقلها بالمعنى ويبحث مع مؤلفه ولا يسلم منه غالبا"[1].

ولكن لم تخلو طريق المؤلِف في طلب العلم من العراقيل والمضايقات، فقد واجهته بعد تصدّره للتدريس مشاكل لا ندري ما سببها إن لم نقل الحسد والأنانية، فلما رأوا ما لاقاه من قبول وإقبال، حزّ ذلك في نفوس مُنافسيه من أهل فاس، فقد أورد ضيف الله بن أب في رحلته أن السيّد الحاج خالد روى لهم حكاية سيدي عمر بفاس وأنه حضرها ونصها: "أن الشيخ سيدي عمر كان يدرس العلم على كرسي بالقرويين وكان في مجلسه نحو ثلاثمائة طالب ثم إن قاضي الجامع وهو سيدي علي[2] بن العلامة سيدي عبد الواحد البوعناني[3] غار منه فبعث إليه أحد أعوانه فقال له: "قال لك القاضي لا تقرئ في الجامع

---

[1] ـ عبد الرحمن التنلاني،نفسه، ص87.

[2] ـ"أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن أبي عنان الشريف الحسني، تقلد القضاء والخطبة والإمامة بالقرويين، بعد أن سعى من أجل عزل القاضي محمد العربي بردلة، وكان يقبض الهدية على الحكم، ويحكم بغير المشهور، ويقيل المستحق للحبس، وله أخبار يستحي من ذكرها، توفي بفاس 1153/ 1740م، بعد أن عزل مرارا" محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ط5، دار الغرب الإسلامي: بيروت 1417هـ/ 1996،ج5/ ص 2118.

[3] ـ "أبو محمد عبد الواحد بن علي أبي عنان الشريف الحسني، ولي قضاء مدينة تازة والخطبة والإمامة بها، كان عفا الله عنا وعنه يقبض الهدايا ويقضي بغير المشهور ويوافق الرؤساء، له أخبار يستحي من

فقال له سيدي عمر قل له أن المساجد لله وإني أدرّس العلم لله لا اقبض عليه كراء ولا أزاحمك في قضائك ولا احباسك، إنما أورثني الله العلم فكنت أبثه في صدور الرجال، ثم رجع الرسول إلى القاضي فأخبره، فأمره القاضي ثانية بالرجوع إلى سيدي عمر، فقام له الطلبة وأوجعوه ضربا فمنهم الضارب بلوحه ومنهم الضارب بيده وغير ذلك، فلما وصل الخبر إلى القاضي بما وقع لرسوله عزم على المسير إلى مجلس سيدي عمر فلم يتركه أصحابه الذين يقرؤن عنده، وقالوا له إن قدمت لمجلسه فان الطلبة يكسرون عليك الوقار فلم يمش له."[1]

وقد بقي المؤلّف يدرّس إلى غاية خروجه من فاس، فقد قال راوي الحكاية "أن طلبة فاس من حين خرج عنهم ما وجدوا مثله."[2]

4 ــ رجوع المؤلف إلى توات ــ الدواعي والأسباب ــ

وبعد أن تحصل المؤلّف على مقصوده ومرغوبه من العلم، ونال الإجازات والشهادات العليا من طرف شيوخه، وأكرمه الله بتربّص في المحل الذي درس فيه وأمام شيوخه، أصبح جاهزا ومتأهبا للرحيل وإن لم يكن رغبته، ولكنه حصّل وحَصَل على ما جاء من أجله، ثم إنّ بلده ومسقط رأسه وزاوية جده بحاجة إليه.

وبعد ما لاقى المؤلِّف من المشاكل والعراقيل، خاصة بعد تصدّره للتدريس في جامع القرويين ما يجعله يسعى من أجل الرحيل وإن لم يُدعى إليه، وقد كان السبب في هذه المضايقة الحسد والغيرة وحب الذّات، التي قد تواجه بعض الغرباء الذين يكون لهم ظهور وتفوّق في بلدان غيرهم فيرون من بعض أهل تلك البلاد الذين يتصفون بصفات الضعف أو الأنانية ما يجعلهم حسادا لغيرهم، والمؤلّف واجه بعض هذا.

يذكرها، توفي 1151 هـ/ 1738م، معزولا عن القضاء" موسوعة أعلام المغرب، ج5/ص2109.

[1] ــ ضيف الله بن أب، المصدر نفسه، ورقة 32 و.

[2] ــ نفسه، ورقة 32 و.

يكون بعض ما ساعد في رجوع المؤلّف إلى بلاده، فقد كان هذا الرجوع عقبها لأن الطلبة لما فارقوه قالوا أنهم لم يجدوا بعده مثله.

وكان السبب الحاسم في رجوعه هو ذهاب أخيه الحاج عبد الرحمن إليه فقد جاء في فهرسة تلميذه "أن أخاه وشقيقه ومُفاوضه السيد الحاج عبد الرحمن سافر إليه ورحّله بعد الامتناع من ذلك، فقدم علينا في آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة وألف"[1].

فكان رجوعه برغبة أخيه الشديدة وتفاوضه معه من أجل ذلك، بحيث يتضح من النص أن المؤلّف امتنع ولم يوافق على ما أتى من أجله أخوه الشقيق، وبعد التفاوض امتثل ما أمره به وقفل وإياه راجعا.

المبحث الخامس: نشاط المؤلف بتوات وذكر وفاته.

1 ــ نشاط المؤلف التدريسي بتوات:

أ– العلوم التي درّسَها.

وبعد رجوع المؤلّف إلى توات، باشر في مهمته المنوطة به، فبعد مرحلة النفير جاءت مرحلة الإنذار، فتصدى للتدريس وبث العلوم ونشرها، واستقبال طلاب العلم والسهر على تسيير شؤونهم "ففُصد من جميع جهات توات. وعكف الناس عليه وتفرد للقراءة وتصدى للإقراء واشتهر"[2].

يقول تلميذه:" فدرّس جميع الفنون المتداولة ــ ماعدا التفسيرــ في الحديث والأصلين والفقه والمعاني والبيان والبديع، والنحو واللغة، والمنطق والفرائض و الهيئة"[3].

ومن الكتب والمرويات التي درّسها، الصحيحين وشمائل الترمذي[1]، والشفاء للقاضي عياض، والجامع الصغير للسيوطي في الحديث والسيرة، وجمع الجوامع لابن السبكي في

---

[1] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 87.

[2] ــ بن الوليد، المصدر نفسه، ورقة 07 ظ.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، نفسه، ص88 .

الأصول، والرسالة والمختصر والمرشد المعين بشروحها في الفقه والأجرومية وشرح خالد الأزهري عليها، وكذلك ألفية ابن مالك وكذلك لامية الأفعال في النحو والتصريف وتلخيص المفتاح علوم البلاغة، والسلم في المنطق ومختصر السنوسي فيه، و تأليف للشيخ ابن عبد الكريم فيه، وفي علم الكلام درّس الصغرى والكبرى للسنوسي وغيرها.

ب– مجلس المؤلف العلمي وطريقة التدريس.

وصف لنا تلميذه بن عمر الطريقة والكيفية التي اعتمدها شيخه في التدريس، وهي طريقة تدل على سعة وقوة حفظ صاحبها وسرعة استحضاره، وكثرة اطلاعه، وتمكنه من العلوم وعلو كعبه في غالب فنونها، ما يجعله ينتقد ويباحث الفحول، فقد كان كما قال واصفه: "عادته رحمه الله في تدريسه في جميع الفنون، أنه يعتني بحفظ عبارة الشرح الذي يطالع في ذلك الفن، وربما نقلها بالمعنى ويبحث مع مؤلفه ولا يسلم منه غالبا."[2]

وكان ينتقد على أمثال القسطلاني في تدريسه لصحيح البخاري، والمناوي في تدريسه للجامع الصغير، والشهاب الخفاجي في تدريسه لشفاء القاضي عياض، وعلى الشيخ السنوسي في تدريس عقائده، والجلال المحلى في تدريسه جمع الجوامع، والشيخ عبد الباقي الزرقاني في تدريس مختصر خليل وهو أكثر انتقادا له فقلّ أن يُسلم منه في مجلس من مجالسه وعلى خالد الأزهري في الأجرومية، والمكودي في شرح الألفية.

---

[1] ـ "الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية، للإمام الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى279هـ/892م" حاجي خليفة كشف الظنون، ج 02/ ص1059.

[2] ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 89.

أما معاملته مع طلبته وعلاقته بهم أثناء التدريس فكانت حازمة، والصرامة تحسم الأمر معهم، فالشيخ قد يكون موقفه بعض الأحيان قاسيا مع الطلبة فكما ذكر تلميذه أنه "كان رحمه الله يضْجَرُ من متباحثته للطلبة لاسيما من لا يحسنها منهم فتارة ينتهره وأخرى يسكت عنه ولا يجيبه."[1]

وأما الكمّ المعلوماتي فقد كانت نسبته غير كبيرة الى ذلك الحدّ، من حيث حجم وقت التدريس، والكتب التي تدرس خلال اليوم الواحد، ولذلك وكما يصفه تلميذه: "أنه كان رحمه الله قليل الإقراء لا يدرّس غالبا إلا مرة في اليوم درساً واحداً في كتاب واحد ويتخلّف عن المجلس لخفيف عذر مع ذلك عظُم نفعه وانتشر علمه لصلاحه وحسن نيته."[2]

2 ــ تولي المؤلف قضاء الجماعة بتوات.

تدّل المصادر التاريخية لأقليم توات، ومراجع وبحوث المعاصرين أن المؤلّف تولى قضاء توات "عام 1133هـ/1721م، وذلك بعد وفاة قاضي توات الشيخ سيدي البكري"[3] ومما يدل عليه كلام تلميذه أنه تولاه بعد عام 1139هـ/1726م، بأنه ابتلي في آخر عمره، فتولاه وهو راغب عنه، ولو لم ير أنه قد لزمَه لمَا تولاه، يقول تلميذه : "وابتلي في آخر عمره بالقضاء كالمكره عليه، لمّا لم يجد من يقوم مقامه في العلم، بعد أن دعي إليه غير مرة فأستعفي فأعفي"[4]. ومما يدل على أنه كان يفصل بين الناس ــ لأن بعض المصادر تقول بأن عبد الكريم بن البكري تولى القضاء بعد أبيه المتوفي 1133هـ/ 1721م ــ هو قول تلميذ المؤلِف في أول ملاقاة له مع شيخه الكنتي: "لقيته بزاوية عَمّ

---

[1] ــ نفسه ، ص 89.

[2] ــ نفسه ، ص 89.

[3] ــ بن الوليد، المصدر نفسه، ورقة 15و.

[4] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 89.

والدي بتنلان، قدِمَها على شيخنا أبي حفص لخصومة بينه وبين رجل"[1]، وربما كان بتوات في هذا الوقت قاضيان كما يدل على ذلك كتب تراجم التواتيين.

وكان ذلك ــ أي توليه القضاء ــ أنه قد كثرت الخصومات بتوات فألحّوا عليه في تولية الفصل بين أهل الخصومات ولم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن، فقبل ذلك "وأحسن السيرة وأظهر العدل، ولم يخف في الله لومة لائم، فانقاد مُعظم الناس لحكمه من غير وجود حاكم يُجْبِرهم عليه بل هبة من الله تعالى، إلا نفرًا قليلين منهم ممن لهم سطوة وإشْمَازاً أولا ثم رجع إليه صاغراً، وإذا رأى الشيخ ــ رحمه الله ــ منهم بعض ذلك احتجب عنهم وأمتنع من الخروج إليهم فيستشفعون إليه ويتذلّلون فيقبل شفاعتهم ويرجع لعادته فعل ذلك مراراً، فتوفي رحمه الله في آخر المَرّات وهو مُحتجب عنهم."[2]

فيتضح من هذا أن الصرامة هي صفة المؤلّف، فقد صاحبته في مهنة القضاء" فكان بذلك كبير القدر وافر الحرمة، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان يغسل الأرسام التي لاحق فيها لأحد ولم يقدر أحد على منازعته، وكان كثيرا ما ينشد قول الشاعر: بحر الطويل

على قدر تقوى الله تأتي المواهب وتأتي على قدر الذنوب المصائب"[3]

3 ــ وفاة المؤلف رحمه الله.

ومال في آخر عمره لطريقة الصوفية، وأخذها عنه جماعة وكانوا يزورنه كل خميس فيخرج إليهم ويجلس لتعليمهم وتذكيرهم وتربيتهم فظهرت بركته عليهم.

وجاء في خاتمة المخطوط بقلم تلميذه عبدالرحمن بن عمر قوله: "توفي مؤلّف هذه الرحلة شيخنا الإمام العلامة أبو حفص سيدي عمر بن سيدي الحاج عبدالقادر التواتي ــ برد الله ضريحه ــ عيشة يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ربيع الأول سنة اثنين

---

[1] ــ نفسه، ص132.

[2] ــ عبد الرحمن التنلاني،نفسه، ص 90.

[3] ــ بن الوليد، المصدر نفسه، ورقة 07ظ.

وخمسين ومائة وألف" (1152هـ/ 1739م)، وهو ما أثبته في فهرسته، واتفق عليه جميع من ترجموا للمؤلِّف توفي وعمره أربع وخمسون سنة "ودفن بمجلسه الذي كان يدرِّس فيه، وضريحه مشهور يزار ويتبرك به"[1].

4 ــ أثار المؤلف:

أ – تلامذة المؤلف:

"لما افتعم صدر المؤلّف بالعلوم وحصل على الشهادات العليا من أكابر العلماء انتقل لبلده تنلان وتصدّر للتّدريس والقضاء، فانتفع من علمه رجال لا يحصون كثرة بل صار الأب الأعلى لبقايا العلماء التواتية"[2]، من أشهرهم:

01 ــ الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري:

"هو الإمام العالم العلامة المحقق النّظار الفهّامة المتُفنن أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه إبراهيم بن العلامة المشارك سيدي عبد الرحمن"[3] أصله من بلاد تِطّافْ من قرى بلدية تامست، انتقل سلفه منها لعين صالح من بلاد تدكلت، ومنها انتقل جد المذكور لجَنْتُور من بلاد تجورارين واستوطنها.

كان رحمه الله من العلماء العاملين المحققين، ملازما للقراءة والإقراء والمطالعة والتأليف والتقييد مدة عمره من نشأته إلى وفاته.

أخذ أول أمره ببلده عن والده، وعن ابن عمه الفقيه عبد العالي بن أحمد بن عبد الرحمن، وكانت له رحلة لمدينة فاس فردّه أهله منها.

---

[1] ــ سيد اعمر عبد العزيز، المرجع نفسه، ص87.

[2] ــ سيد اعمر عبد العزيز، نفسه، ص87.

[3] - ترجم له المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 09 ظ، و ضيف الله بن أب، رحلته، ورقة 34 و.

فاتصل بالشيخ أبي حفص عمر مباشرة بعد رجوعه لبلاده، فرحل إليه وأقام عنده نحو سنة ونصف وقرأ عليه ولازمه، وانتفع به وهو أجَلّ من أخذ عنه في بلاد توات، ثم رجع لبلده وأقام بها مدة ثم رحل إليه ثانيا وأقام عنده نحو ستة أشهر.

فكان أثره عليه عظيما، حيث يقرّر الجنتوري في إجازته لتلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني، مبينا هذا التأثير الكبير لشيخه عليه بقوله : "وأخذت الفقه أيضًا، سماعاً وإجازةً مُطلقة كتابة ومشافهة عن شيخنا الحافظ الفقيه الجامع بين المنقول والمعقول الضارب في كل فن بأوفر نصيب الذي لو لم ألقه ما ذهبت و لاجيت، أبي حفص سيدي عمر بن سيدي عبد القادر ــ أدام الله بقاءه ــ وعَمّ النَفع به لكل وارد وصادر.[1]"

وأجازه أبا حفص المذكور أجازه إجازة عامة وخاصة.

لقد دلّ ما تركه الجنتوري من تآليف وإجازات، وما كان له من نشاط في طلب العلم وبثّه، وما كان له من رحلات في سبيله، على علّو همّته وقوة عزيمته ووفور علمه فقد كان كما وصفه تلميذه وهو بحق كذلك: "كان ــ رحمه الله ــ أعلم من لقيته بالأصول والقواعد الفقهية، فاق في ذلك شيخه أبا حفص المذكور، فضلاً عن غيره، عارفاً باستخراج الفروع والنوازل منها وبردها إليها، وقد قال لي يوما وددت أني وجدت طالباً حاذقاً أقرئه مختصر الشيخ خليل على أن أسند كل مسألة منه إلى أصلها، وانتهت إليه الرياسة في الفتوى والتدريس في صقعي توات وتجورا رين بعد وفاة شيخنا أبي حفص.[2]"

ودرّس الجنتوري في التفسير الحديث وأصول الفقه وفروعه وعلم الكلام، وعلم الفرائض والمنطق والحساب والنحو، وتخرّج عليه جماعة إلا أنه لم يجد ببلاده من الطلبة من يتلقّن عليه علم المعقول الذي كان يغلب عليه، لغلبة العجمة عليهم.

---

[1] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص93.

[2] ــ نفسه، ص127.

ويقول ضيف الله بن أب في رحلته عن درجة هذا العالم ومكانته: "حدثنا السيد الحاج خالد، أن والدي رحمه الله قال أن السيد الحاج عبد الرحمن الجنتوري أقوى من شيخه سيدي عمر التنلاني وأكثر منه علماً وإنه لو حضره لقَرَأ عليه."[1]

ألّف ــ رحمه الله ــ تآليف كثيرة[2]، نظمًا ونثراً منها:

"شرحه على المختصر إبتداه من النكاح، وحاشية منها ما يتعلق بكلام المؤلّف ومنها ما يتعلق بكلام شارحه الشيخ عبد الباقي الزرقاني، وكان شديد النّكير عليه، حتى كان ينسبه في بعض المواضع لخرق الإجماع، وكان يطيل النفَس فيما خالف فيه قضاة وقته ومفتوه مقتضى المذاهب، ثم أنه ابتدأه من أول المختصر شرحًا اقتصر فيه غالبًا على إسناد مسائله لأصولها مع الإشارة إلى البحث مع الشارح المذكور حيث احتيج إليه، ومع ذلك لم يكمل ولم يخرج من مسودت، ومنظومتان في علم الكلام رائية ولامية، ضمنهما محصل كلام السنوسي في عقائده وشروحها وهما في غاية الإفادة قرأتهما معا عليه إلا أنه ــ رحمه الله ــ لم يتقن فن العروض والقوافي، فلذلك يوجد فيهما من عيوبهما كثير، وقد أذن لي ــ رحمه الله ــ في إصلاح ما ظهر لي من ذلك فيهما فأصلحت ما أمكنني ومنها شرحاه عليهما وهو أيضا في غاية الإفادة، أكثر فيهما النقل من كلام الإمام المحقق أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي في حاشيته على الكبرى وهما مما يستدل به على مكانته في ذلك الفن.

ومنظومته في قضاء الدين، سماها معونة الغريم، مفيدة ضمّنها مسائل لا توجد مجموعة في غيرها و شرحه عليها، ومنها منظومة في التصوف ضمنها من التصوف من نقاية السيوطي وخاتمة جمع الجوامع، وأخبرت أنه نظم قصيدة في الفرائض.

"توفي ــ رحمه الله ــ اصفرار يوم الأحد الثالث من جمادى الأولى سنة ستين ومائة وألف (1160هـ/1747م) وكان ــ رحمه الله ــ ملازمًا للتدريس مدة عمره إلا ما

---

[1] ــ ضيف الله بن أب، المصدر نفسه، ورقة 32 و.

[2] ــ عدد هذه التآليف تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني، المصدر نفسه، ص 129 .

عرض له من السفر والمرض"[1]. وفي رحلة ضيف الله بن أب "أن الشيخ عبد الرحمن الجتتوري، توفي يوم الاثنين 5 جمادى الأولى"[2] من نفس السنة.

02 ــ **الشيخ عبد الرّحمن بن عمر التواتي التنلاني** :

"ولد أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف، التواتي سنة1121هـ/ 1709م بتنلان"[3]، فجدّ المؤلّف الشيخ أحمد بن يوسف الوانقالي التنلاني، وهو عم والد عبد الرحمن بن عمر.

دراسة عبد الرّحمن بن عمر وشيوخه:

قال عن نفسه: "وكنت منة من الله ممن ألهمه لطلبه وعلق همته بحمله وكتبه"[4]، فكان لعبد الرحمن بن عمر رحلة طويلة مع العلم وأهله منذ سنه المبكر، وكان شديد التعلق بأهل العلم، فكان له بذلك جملة من الشيوخ المختلفة أوطانهم، وكان جماعاً للإجازات والأسانيد في مختلف العلوم كما يدل على ذلك فهرسه. من شيوخه أستاذه الأول أبو حفص السيد عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني، وهو أول من ترجم له من شيوخه في فهرسه.

فقرأ عليه بعض صحيح البخاري قراءة بحث، وقرأ عليه شمائل الترمذي بقراءته والشفاء للقاضي عياض بقراءتي أيضا، وصدراً من الجامع الصغير للسيوطي، وقرأ عليه جمع الجوامع لابن السبكي وحضر معظم تدريسه في الرسالة والمختصر مراراً والمرشد المعين وقرأ عليه الأجرومية وشرح خالد الأزهري عليها، وكذلك ألفية ابن مالك، وكذلك لامية الأفعال في التصريف لابن مالك.

---

[1] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص130 .

[2] ــ ضيف الله بن أب، المصدر السابق، ورقة 33 و.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، نفسه، ص28 .

[4] ــ نفسه، ص 81.

وقرأ عليه تلخيص المفتاح، وقرأت عليه السلم في المنطق وحضر اقرأه لمختصر السنوسي فيه، وكذلك تأليف للشيخ ابن عبد الكريم فيه، وحضر إقراءه للصغرى والكبرى وقرأ عليه بردة المديح.

تميز الشيخ عبد الرحمن بن عمر بصفات خلقية شهد له بها الجميع حتى تغنى به بعض الشعراء في أشعارهم فكان رحمه الله متواضعاً، فسخر كل وقته للعلم والاجتهاد والتدريس والمطالعة والعبادة وصحبة العلماء، فكان من شيوخه :

أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه سيدي إبراهيم الجنتوري: رحل معه إلى بلاده ودرس عليه المختصر وما بقي من الألفية، وقرأ عليه الحديثين الأولين من الأربعين النووية والجزأيْن الأولين من مختصر القلصادي في علم الحساب وغيرها.

وأقام عنده نحو سنة وأربعة أشهر، ثم رجع لبلاده تنلان، وأقام فيها نحو خمسة أشهر، ثم رحل إليه مرة أخرى وأقام عنده سنة، أكمل عليه فيها المختصر وسمع منه صحيح البخاري وكذلك الشفا، استجَازه فأجابه لما طلبه منه وأجازه بإجازتين، ونص الإجازتين وارد في فهرسة عبد الرحمن التنلاني.

ومن شيوخه **عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي**: شيخ الزاوية الكنتية، ذكره ثالث شيوخه وكان يحبه كثيرا، حيث رحل إليه ومكث عنده، ودرس ودرّس عنده، ولم يستطع مفارقته وصاحبه في رحلاته، أثنى عليه في فهرسه حيث وصفه بالولاية والتواضع وحسن الخلق ولين العريكة والتفرس في فنون الفقه واللغة والشعر.

ومن المشائخ الذين التقاهم في تنلان، اللغوي **أبي عبد الله محمد بن أب المزمري** الذي مرّ بالزّاوية متوجّهاً إلى تيجورارين سنة 1151 هـ/1738م، حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض.

ومنهم أستاذه المقرئ الحافظ **والحاج عبد الرّحيم بن محمد التواتي التيماوي التامرتي**، أخذ عنه التجويد وأحكام التلاوة.

وفي أروان التقى بشيخه **أحمد بن صالح السوقي التكروري**: درس على يديه بعض المصنفات اللغوية مثل الخزرجية في علم العروض، وقد اختار لذلك وقت القيلولة

لانشغاله بقية اليوم مع الطلبة الذين كانوا يتلقَوْن الدروس عنه بلغات عدة لاختلاط أجناسهم، من عرب وتكرور وتوارق.

وفي سنة 1168هـ /1754م رحل إلى سجلماسة، لأخذ علوم القراءات والتجويد عن شيوخها حيث لقي هناك الشيخ صالح بن محمد الغماري، كما حصل له اللقاء مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي.

والتقى بأحمد الأمين الغلاوي التواتي الشنقيطي، الذي هو شيخ شيخه عبد الرحمن الجنتوري وكان لقاءهما في زاوية أقبلي فطلب منه الإجازة، والتقى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن على الدرعي حيث أخذ عنه الصحيحين وشفاء القاضي عياض والجامع الصغير للسيوطي وبعض المتون واستجازه في كل ذلك.

تصدّر الشيخ عبد الرّحمن التواتي للإفتاء في الديار التواتية، فكان المرجع فيما ينزل من نوازل.

قال فيه محمد بن عبد الكريم التمنطيطي على الشيخ عبد الرحمن التواتي: "شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ، العلامة الفهامة، علم الأعلام ومرشد الإسلام، أبو زيد كان ــ رحمه الله ــ عالماً، ثاقب الذهن، ذا وقار وديانة، انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية"[1]

وقال عنه المهداوي في الدرة الفاخرة: "عالم العصر من أهل قيام الليل، كان من غرائب الدهر تقدم في جميع فنونه وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه صالحا مجتهدا، نوازليا عجيبا، فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان"[2].

له تأليف ومراسلا ت وفتاوى و تقاريظ في فنون متنوعة منها:

---

[1] ــ بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر نفسه، ورقة 38و، سيد اعمر، المرجع نفسه، ص99.

[2] ــ المهداوي، المصدر نفسه، ورقة 6ظ.

أرجوزة في الفلك، وأرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص ومجموعة تقاييد وفتاوى جمعها الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي في كتابيه الجامع، وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني، ورحلة حجازية، ومختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون، وفهرسته التي ترجم فيها لشيوخه الذين تتلمذ عليهم.

"وفي يوم الأحد 29 صفر1189هـ/1775م، توفي الشيخ عبد الرحمن التواتي بالقاهرة، ودفن الشيخ في مقبرة أبي عبد الله المنوفي وصلى عليه جميع من في الركب إضافة إلى ألوف من المصلّين"[1]. انتهت ترجمة ثاني أشهر تلامذة المؤلّف.

03 ــ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم المريني:

"عالم علامة، كان ماهرا في فنون العلم، طويل الباع، ذا عارضة قوية في العلم والبيان، كثير الصمت إلا عن ذكر الله، كان أحد شيوخ الشورى الأربعة في الأصقاع التواتية، له محاورات ومرجعات مع عبد الرحمن بن عمر أسفرت عن وفور علمه وذلك مبسوط في غنية الشورى أخذ عن السيد عمر الأكبر التنلاني وغيره، وأخذ عنه الجم الغفير، ولد 1123هـ /1711م، وتوفي 1192هـ/1778م"[2].

04 ــ ابنا المؤلّف: الحسن الشاذلي[3] المتوفي بفاس، وأخوه إدريس المتوفى 1182هـ/ 1768م بتوات.

05 ــ الشيخ محمد بلعالم بن احميدان الزجلاوي:

ولد بقصر زاجلو و نشأ وتعلّم بها، ثم بعد ذلك انتقل إلى مجلس الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، فأخذ عنه الفقه والنحو والتفسير والمنطق. قال عنه صاحب الدرة

---

[1] ــ المهداوي، المصدر نفسه، ورقة 02و.

[2] ــ سيد اعمر عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 133.

[3] ــ تقدمت ترجمته في مبحث ذكر أبناء المؤلِّف، ص04.

الفاخرة: كان رحمه الله أحد الأعلام وأحد المجتهدين في عصره كان عالما بالفرائض عليه مدار الفتوى ترك رخمه الله تأليف مفيدة منها:

"شرحه على مختصر خليل، ونوازله التي تعتبر واحدة من جملة النوازل التي أثرت أدب النوازل في المنطقة، وألفيته في غريب القرءان وهي من الأعمال التي تميز بها في المنطقة"[1]، وغيرهم ممن وردت أسماؤهم فقط، "كالعالم السيد بوبكر بن المحجوب بن بومدين التمنطيطي، والسيد عبدالرحمن بن عمر بن خالد من أولاد سعيد قورارة والعالم إسماعيل بن محمد الجوزي، كما ينسب إليه تلامذة تلامذته خصوصا الجنتوري وعبد الرحمن بن عمر التنلاني"[2]، فالمؤلِف أبو العلم، ومحيي علوم الدين بتوات.

ب ــ مؤلَّفات الشيخ عمر الأكبر.

لم يكن مترجَمُنا ممن أهَمّهم التأليف، ولكن لماذا لم تكن له تآليف؟ ربما رأى ما رآه ابن خلدون من أن كثرة التآليف تعدّ عائقا عن التحصيل، أو لأنه من أولئك الذين عندهم تأليف القلوب والرجال أولى من تأليف الكتب وتسويد الصفحات، أو لأنه اشتغل بأمور صرفته عن التأليف فالتدريس والقضاء وتسيير شؤون الأسرة والزاوية والسهر على شؤون الطلبة، كلها من مهامه.

فلم يكن له رحمه الله من التآليف سوى "فهرسة ذكر فيها شيوخه وما أخذه عنهم، وله تقييدات على مواضع من المختصر وطُرر وأبحاث في بعض كتبه تدل على غزارة علمه وثقوب ذهنه"[3]، ومنها كذلك مجموعة فتاوى عبارة عن أسئلة وأجوبة جمعها بن الوليد بعنوان نوازل الشيخ سيد عمر التنلاني وهي موجودة في خزانته، وله تقاريظ شعرا ونثرا ومراسلات موجودة في بعض المؤلفات مثل رحلة ضيف الله ابن أب.

---

[1] ــ عبد الحميد البكري، المرجع نفسه، ص125.

[2] ــ الحاج عبد القادر بن الوليد، تراجم علماء تنلان، محاضرة، ألقيت بمناسبة اليوم الثقافي لزيارة الونقالي، بخزانة بن الوليد باعبدالله.

[3] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص90.

ألّف هذه الفهرسة لأنها ثمرة جهد يجب أن لا يُهمل، فتأليفه لها أمرا مُهمّا وهادفا، له علاقة بماضٍ ومستقبل، ولم يؤلِف في العلوم مع قدرته على ذلك، ولكنه ألّف الرجال الذين بدورهم يؤلّفون الرجال والكتب.

ج ــ الزوايا.

لم يصف سيد اعمر في كتابه قطف الزهرات المؤلِف، بمحيي علوم الدين بتوات وأنه أبو العلماء التواتيين من بعده اعتباطاً، فقد كان أبو حفص عمر كذلك، فهو كما قال فيه أجلّ وأبرز تلامذته عموما الجنتوري حيث يقول: "شيخنا الحافظ الفقيه الجامع بين المنقول والمعقول الضارب في كل فن بأوفر نصيب، الذي لو لم ألقه ما ذهبت و لاجيت أبي حفص سيدي عمر بن سيدي عبد القادرــ أدام الله بقاءه ــ وعَمّ النَفع به لكل وارد وصادر"[1]، فقد كان تأثيره وأثره على توات عموما، كما هو مع الجنتوري خصوصا فكان برَوحته تلك الى فاس بمثابة النائب عن جميع من تتلمذوا عليه ومن تتلمذوا على تلامذته.

فما تُؤسّس وما أحْيي من زوايا على إثر حركته العلمية، كالزاوية المهداوية بمهدية لعمر الأصغر بن عبد الرحمن التنلاني، وزاوية محمد بن عبد الله الونقالي بأولاد ونقال وزوايا البلباليين بملوكة وكوسام، والجعفري ببودة، وغيرها مما لم يشتهر ذكره، يعود فضله على المؤلّف.

5 ــ ثناء العلماء على المؤلف.

أثنى العلماء من تلامذة المؤلّف وغيرهم على الشيخ أبي حفص عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني، فوصفوا علمَه وأدبه وأخلاقه و مهابته وقوة شخصيته، فمما وُصف به:

"أنه كان رحمه الله عالماً عاملاً حافظاً، ثاقبَ الذِهن فصيح اللّسان، مع عفة ووقار وهيبة، تهابُه الولاة فمَن دونهم، لا يكاد يُراجع في مجلسه لهيبته مع انبساطه وكثرة تبسمه وإيراد الحكايات المضحكة فيه، لولا ذلك لأذهل أهله عن فهم عبارته، ولقد حدثني بعض

[1] ــ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص 98 .

من أثق به ــ وقد كان يجالس الولاة ويُداعبهم فَضلا عن غيرهم ويفِد علَى الملوك ويتجاسر على مخاطبتهم ــ أنه ما رأى قط أهيَب منه رحمه الله."[1]

وقد أثنى عليه تلميذه الجنتوري لما رجع من حجته سأله تلميذه عبدالرحمن بن عمر عن حال من لقي من العلماء فقال له: "اختبرت علماء القاهرة والحرمين فلم ألقى فيهم من يصل إصبع رجل شيخنا أبي حفص إلا واحدًا في علم الحديث لقيته بمكة. [2]"

ومما قيل فيه: "العالم العلامة أحد الأعلام والايمة المجتهدين في المذهب، له ترجيحات، من غرائب الدهر، لم يكن في عصره من يستحضر الفروع ببلدنا مثله، كبير القدر وافر الحرمة، اشتهرت عليه كرامات."[3]

---

[1] ــ نفسه، ص 82.

[2] ــ نفسه، ص131.

[3] ــ بن الوليد،، المصدر نفسه، ورقة 07 ظ.

الفصل الثاني: المخطوط.

المبحث الأول: عنوان المخطوط المحقق ونِسبَتُه لصاحبه.

أما عنوان المخطوط، فقد ذكر ابن الشيخ المؤلّف الحسن الشاذلي على حاشية ظهر الورقة 10 ما يلي: "لم يذكر في الفهرسة سنة وفاة أبي العباس أحمد بن مبارك، لأن موته تأخرت عن موت صاحب الفهرسة وكتب بعدها: "ابن مؤلِف الفهرسة الحسن الشاذلي بن عمر كان الله له بمنه"، فسمّاها بالفهرسة.

وأثبت عبد الرحمن بن عمر ذلك بقوله: "وله رحمه الله فهرسة ذكر فيها شيوخه وما أخذه عنهم"[1].

مع أن ما أثبت على غلاف المخطوط هو: رحلة عمر بن عبد القادر التواتي إلى سجلماسة، وفي الدعاء الذي ختمت به نسخة المخطوط قوله: "بحرمة الصالحين العالمين والعاملين المذكورين في هذه الرحلة."[2]

وسماها عبد الرحمن بن عمر في خاتمة النسخة الأصلية بالرحلة في قوله "توفي مؤلِف هذه الرحلة"، وسبق أنه سماها في فهرسته بالفهرسة؛ وتسميتها بالفهرسة أولى وأصح، لأنه الأنسب والأوفق لمحتوى ومادة المخطوط، أما تسميتها بالرحلة فهو أمر غلط

---

[1] ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه، ص90.

[2] ـ فهرسة المؤلف، ورقة 13ظ.

ممن سماها به، وكان ذلك منهم لأنهم ربما لم يعيروا اهتماما للتفرقة بينهما، أو بناء على قول المؤلِف في أول تأليفه: "توجّهَتْ هِمّتي للسّفر لسجلماسة أو لمدينة فاس."[1]

"مع أن تدوين بعض الرحلات اكتسى صبغة فهرسية كما هو معروف، حيث نجد صاحبها في بعض الأحيان يطنب في الحديث عن العلماء الذين اتصل بهم والدروس التي حضرها والشيوخ الذين أجازوه، كرحلة القلصادي الأندلسي"[2] إلا أن فهرسة عمر التتلاني لا تحتمل هذا القياس، فأصلها ليس سردا لأحداث ووقائع رحلة تخللتها بعض مقومات الفهرس، ولكنها في الأصل عبارة عن فهرس بكل معناه الاصطلاحي.

وأما صِحّة نسبته لعمر الأكبر، فقد أثبتت هذه النصوص السابقة وغيرها مما ورد في كتب تراجم التواتيين ذلك بما لا مجال للشك فيه.

المبحث الثاني: محتوى المخطوط الفهرس المحقق.

احتوى المخطوط على ما يدل أنه فهرس، وكلمة فهرس ترادف كلمة مشيخة التي كان الأوائل يطلقونها على الجزء الذي يجمع فيه المحدث شيوخه ومروياته، وترادف كلمة معجم التي استعملت بعدها، وأهل الأندلس ترادفه عندهم كلمة برنامج، وأصبح اسمه بعد هذا في الشرق ثبَت وفي المغرب فهرس، ويوجد كذلك في هذا المجال مصطلح أخر له العلاقة المباشرة بالفهرس، إذ قد يكون السبب في تأليفه وتجد بعض الفهارس تتصدر به وهو الاستدعاء أو ما يسمى بالاستجازة، ويقصد بهما طلب الإجازة، وقد جعل البعض الاستدعاء والفهرس شيئا واحدا، ولكنهما متباينان، فالفهرس يحمل المرويات وطرق الروايات ومناهجها، وتراجم الشيوخ، والأسانيد ونصوص الإجازات، وأحداث الرحلة لطلب العلم، وربما احتوت على مسائل علمية ونقاشات وفوائد أدبية وغيرها، "بينما لا نجد الاستدعاء كذلك فهو مجرد وعاء يتضمن طلب الإجازة ونصوص الإجازات، وقد يضيف إليه صاحبه تعليقات مختصرة في التعريف بالشيوخ المجيزين، فوضعه ونسقه وترتيبه

---

[1]- نفسه، ورقة01ظ.

[2]- أبو محمد عبد الحق بن عطية، الفهرس، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط2، دار الغرب: بيروت، 1983، ص42.

يختلف عن كتب الفهارس والبرامج اختلافا تاما، مع أنه من الممكن أن نعبر عن الاستدعاء بالفهرس في حالات نادرة[1]".

"ومهما تعددت دوافع اختلاف هذه التسميات سواء كانت لغوية أو موضوعية، فإنها تلتقي جميعها في كونها مؤلفات تضم الأشياخ والمؤلفين، وما أخذه التلاميذ من الروايات وما قرأوهم على أساتذتهم وتناولوه وأخبروا به إلى آخر أساليب التحمل الشائعة بين العلماء ومتلقي العلم ومرتادي مدارسه، حرص معظم هؤلاء على ملاقاة الشيوخ والأخذ عنهم في بلدانهم وخارجها فقام الكثير منهم برحلات[2]" وبعد هذا نتعرض لما تألفت منه مادة هذا المخطوط:

1 - ذِكر فضل طلب العلم والحث عليه.

2- ذكَر مشايخه وكل الكتب التي قرأها وأُجيز فيها من كل العلوم التي درسها مرتبة كالآتي: القرآن وعلومه ثم العربية نحواً وصرفاً ثم الأصول ثم المنطق وعلم الكلام والفقه والحديث وعلومه والتفسير والتصوف وعلم التوقيت وعلم الحساب، ويصف مجالس العلماء الذين أخذ عنهم وكيفية التدريس، كما يقول في شيخه المسناوي: "يُحقّق المسائل فإذا شَرَع في تدريس كتابٍ وإقرائه فإنه يَعتني بتفكيك عباراته وبَسْطِها، ويتكلم مع شروحه ويَبحثُ معهم، كمختصر الشيْخ خليل وغيره"[3] وكما يقول في شيخه أبي العباس بن مبارك السجلماسي: "يُطيل في المناظرة لا يكاد ينقطع، مُتَفنِّناً جامعاً بين المعقول

---

[1]- محمد بن عمر بن رشيد، استدعاءات الإجازة، تحقيق عبد اللطيف الجيلاني، ط1، دار أبي رقراق: الرباط، 2007، ص200.

[2]- هاني صبحي العمد، كتب البرامج والفهارس الأندلسية، ط1، المركز التقني للخدمات المطبعية: عمان الأردن، 1993،ص 14.

[3] – فهرسة المؤلِّف، ورقة 03 ظ.

والمنقول والدِّراية أغلب عليه من الرِّواية، وأكثر دروسه في العلم المعقول يُكثر من الحكايات في مجلسه... واسع الصدر مع الطلبة، يباحثونه في مجلسه ويَتْبُتُ لمباحثتهم ولا يضْجَر منها، يُطيل النَّفَس معهم في ذلك، وربّما مَضَى وقت الدّرس وهو مع الباحث في مسألة."[1]

3 - فيه تراجم لثمانية شيوخ، أورد مع معظمها مسألة علمية ناقشها مع صاحب الترجمة وتحقيقه فيها وجمعه لأقوال العلماء؛ فمثلاً لما ترجم لأبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي، حقق في مسألة الذبح لغير الله وفصّل فيها تفصيلاً مطوّلاً، وفي ترجمته لأبي عبد الله العربي بن أحمد بردلة، حقق في مسألة كلامية وهي تأثير القدرة للفاعل المختار وغيرها...

4 - ذكَر نشاطه العلمي وتدريسه في فاس بالقرويين والمصباحية، وكيف تبوأ الجلوس على أحد كراسي القرويين، وكيف وصف بأن الطّلبة كانوا يزدحمون على مجلسه في التّدريس ويرغبون فيه،عن غيره ولتواضعه قال "لا لكَوْني أفقَه من غَيري؛ بل غَيْري أفقَه منّي وأحْسن، ولكن لكَوني كُنْت أوضّحُ لهم المسائل وأفهِّمُها وأبيّنُها لهم جَهدي بعبارة سهلة، وأختار الفَهْم والبيان لهم، على تحسين العبارة والتأنُّق فيها" وذكر العلوم والكتب التي درسها، منها مختصر الشيْخ خليل وصُغرى الشيْخ السّنوسي والعقيدة الكبرى له وشمائل الترمذي وغيرها.

5 - ذكَر سلسلته في الفقه إلى الإمام مالك، وسلسلته في التصوف سلسلة الأنوار، بعد أن أورد فضلها في العلم والدين، وذكر في كل طبقة من طبقاتها واحدا أو اثنين أو ثلاث وهذا آخر ما جاء في المخطوط.

المبحث الثالث: منهج وأسلوب تأليف فهرس عمر الأكبر.

نَسَج المؤلِّف فهرسه وفق طريقة بدأها بذكر سبب رحلته التي كانت من أجل طلب العلم، وفضل هذا العمل في الدين والدنيا، وبهذا يكون قد مهّد وقدّم لما هو مقبل عليه

---

[1] ـ نفسه، ورقة 10 ظ.

وبعدها شرع في ذكر العلوم التي درسها ومروياته وسماعاته في كل منها، وذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم ذلك بالتفصيل، وفق ترتيبٍ لهذه العلوم على حسب ما أخذ الأول فالأول إذ لم يكن ترتيبه عشوائيا، بدءا بتجويد القرءان وبعده النحو والصرف والبيان والبديع والعروض، وبعده علم أصول الفقه ثم المنطق ثم علم الكلام ثم الفقه ثم علم الحديث ثم التفسير ثم التصوف، وأخيرا علمي التوقيت والحساب، وبعدها ترجَم لأهم شيوخه، بتراجم متفاوتة ورتبهم حسب درجتهم والأكثر أخذا وملازمة له منهم، فلم يرتبهم حسب سنة الوفاة فربما قدم من توفي آخرا عن من توفي قبل، وخلال هذه التراجم أورد مسائل تدل على علاقة الشيوخ بطلابهم، والمستوى العلمي الذي كانوا عليه، ونوّع فنونها فقهية وكلامية ونحوية ومنطقية وتصوفية، ثم ذكر نشاطه التدريسي بفاس بعد ذلك، وأخيرا أورد سلسلتيه الفقهية والصوفية اللتين ختم الفهرس بهما وتقديمه لذلك بذكر أهمية وفضل السند في الدين، فيكون بهذا قد عزّز المؤلّف فهرسه بأهم مقومات الفهرس، وكان أسلوبه ولغته واضحة في جميع فهرسه، فلا ركاكة ولا حشو ولا تكرار، ومن أدبيات المخطوط المحقَّق أن المؤلِف ذهب مذهب أهل عصره في تحلية شيوخه بألقاب وأوصاف المدح والثناء عليهم والإكثار من ذلك. وكما هو شائع فإن طرق المؤلّفين في هذا المجال متنوعة فمنهم من يترجم أولا لشيوخه ويصفهم ومجالسهم وفق ترتيب يبتدئ فيه بأبيه أو أول شيوخه أو اختصاصاتهم أو حسب الحروف الهجائية وبعدها يعرض لمروياته عنهم ومنهم من يبتدئ بذكر المرويات حسب فنونها أو مرتبة ترتيبا هجائيا، ويثني بعدها بذكر الشيوخ "ومال بعض المغاربة إلى نظم فهارسهم منهم الشيخ الطيب بن محمد الفاسي توفي1113هـ/1701م، نظم فهرسه في قصيدة بلغت مائة وثمانية وستون بيتا[1]" وبما أن فهرس ابن غازي الفاسي التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد "من أهم فهارس المتأخرين وأصلها الذي تعتمده، إذ هو آخر صدى للتجاوب بين الأندلس

[1]- ابن عطية، فهرسته، ص41.

والمغرب"[1]، فإنه ومن خلال المقارنة بينها نجد صدى فهرسة ابن غازي في فهرسة عمر التنلاني، ففي القسم الثاني من فهرسة ابن غازي "نجده يترجم لأشياخه ويسمي مؤلفاتهم ومروياتهم، ويصف مجالسهم ويسجل أحاديهم ومكاتباتهم، وما يلفت النظر فيه هو ما يخلعه ابن غازي من ألقاب وأوصاف ونعوت على من يترجم له كأن يقول له العالم العلم المفتي المشاور الحجة الأثرة، ويصف المجالس ويحدد الحضور والغياب عن الدرس ويحدد قدر استفادته من شيوخه ونوع القراءة عليهم"[2] ولكل ما سبق نجد صورة واضحة له في فهرسة عمر التنلاني.

ولم تكن طريقة عمر التنلاني في بناء هذا الفهرس على طريقة أحد الفهارس حرفيا إلا ما يوجد من التشابه في الشكل العام للفهرس مع فهرس بن خير الاشبيلي حيث شابهه في عرض الكتب والمرويات حسب العلوم التي أخذ، وترجم بعدها لشيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم، وأما فهارس علماء القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، فلم يكن هذا الفهرس على منوالها، فقد جاء فهرس الروداني صلة الخلف بموصول السلف كله مرتب حسب المرويات التي أخذها مرتبة على الحروف الهجائية، وتقدمها بذكر أسانيد الكتب المروية إلى أصحابها، ولم يترجم لشيوخه ولا لغيرهم، ومن أشهر فهارس هذا القرن كذلك فهرسة عبد القادر الفاسي، التي ذكر فيها مروياته، ورتبها حسب العلوم، ذاكرا لكل كتابٍ رَوَاه سَنَده إلى صاحبه، ولم يترجم فيه لأشياخه ولا لغيرهم فالتنلاني جمع في فهرسه طرق مختلف أصحاب الفهارس، ونستنتج كذلك بعد هذه المقارنة أن أقرب الفهارس شبها بفهرس عمر التنلاني هو فهرس ابن غازي إلى حد كبير، فقد ابتدأ بذكر مروياته في كل علم، وذكر عمن روى هذا الكتاب مرتبة حسب أخذه للعلوم، وذكر أنه تحصّل على إجازات من شيوخه ولكنه لم يوردها في فهرسه وترجم بعدها لشيوخه الذين أخذ عنهم وعرّف بهم، واحتوى فهرسه على فوائد ومسائل علمية في الفقه والنحو والمنطق والتصوف، وختمها بذكر السند العام له في الفقه والتصوف، فكان من أهم ما

---

[1]- هاني صبحي العمد، المرجع نفسه، ص 158.

[2]- نفسه، ص ص 161 163.

خالفوه فيه هو ذكر أسانيد المرويات إلى أصحابها وإيراد الإجازات، وزاد هو على بعضهم بإيراد المسائل العلمية والفوائد، وعن بعضهم بترجمته لأهم شيوخه.

وخلو الفهرس من نصوص الإجازات التي يمنحها الشيوخ وأسانيد الكتب إلى أصحابها مما يؤخذ عليه، وكذلك مجيئه نصه قطعة واحدة من أوله إلى آخره بلا عناوين وعدم إفصاح المؤلّف عن السبب الذي جعله يؤلّف هذا الفهرس مما يؤخذ عليه أيضا مع أن الفهرس يُعْرِب عن السبب في تألفيه ضمنيا وعموما، ومما يؤخذ عليه كذلك خلوه من بعض فنون العلم التي ربما لم يدرسها المؤلّف منها التاريخ والجغرافيا وكتب الأنساب مع أن هذا الأمر لا يعم جميع الفهارس "وخلو هذه الفهارس والبرامج من كتب التاريخ والجغرافية وغيرهما من العلوم، يسبب في الاعتقاد بأن التاريخ وغيره من هذه العلوم لم يكن لها مكان رسمي في الحلقات العامة للدرس.[1]"

المبحث الرابع: قيمة الفهرس المحقق وأهميته العلمية والتاريخية.

باعتبار أن الفهارس من أهم المصادر وأغزرها لتحرير تاريخ العلم والوقوف على جهود رجاله، وتمِدنا بصور صادقة لحياتهم على اختلاف مناحيها، يكتسي الفهرس المحقّق قيمة وأهمية علمية وتاريخية، من حيث كونه يربط بين إقليم توات، وأهم حواضر العلم ببلاد المغرب في هذا العصر، ولكونه فهرس شيوخ قائد نهضة توات العلمية ورائدها في هذا العصر، فلابد أن يُسند وأن يُضيف مَن أخذوا عنه إلى من أخذ هو عنهم، فهذا الفهرس بمثابة الشهادة والدليل والبيّنة له ولهم ولمن بعدهم، فهو وثيقة وسند لأهل توات في العلم، وهو نص يدل ويشير إلى عصر مؤلّفه وبيئته التي درس بها، إذ يحمل تراجم لعلماء فاس ومكناسة الزيتون في ذلك العصر وأهم أوصافهم، و طرق تدريسهم ووصف مجالسهم العلمية، وهو بهذا يوفر مثله مثل الفهارس الأخرى معطيات بوادر لحركة نقدية مجالها أساليب التدريس وطرقه، ونقد الرجال والكشف عن مستواهم ورصد تحركات العلماء وإظهار مقدار التحصيل ومدته وغيرها من مجالات البحث.

---

[1]- هاني صبحي، المرجع نفسه، ص53.

إن رحلة التنلاني إلى فاس من أجل طلب العلم وملاقاة الشيوخ ــ باعتبار قرب فاس من توات، وكونها منارة للعلم في المغرب الأقصى، وقبلة لطلبة توات وغيرهم ــ وتأليفه فهرسه ليذكر لنا طريقة وكيفية استفادته مما استفاد وممن استفاد، والأسلوب الذي تلقّى على منواله ما تلقاه من علوم، سهّل علينا بهذا الاطلاع المزدوج على بيئتين علميتين ثقافيتين في عصر واحد، من حيث أوضاعهما السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية، إذ صوّر لنا الوضع العلمي وعلاقته بالسياسة وسلطة الحكم في بيئة الأساتذة، فأوقفنا نص المخطوط على ما ساد فاس في هذا العصر من طرق التلقي والتدريس مثل اعتماد مؤلّف في تدريس فن من الفنون ومنح الإجازة فيه "لأن طرق إجازة الكتب العلمية سارت جنبا إلى جنب مع رواية الحديث، فقد ارتبطت بالأسانيد هي كذلك[1]" ويكون تدريسه بإيراد ما أورده الشارحون عليه وتوسيع مجال الدراسة بالبحث والتحقيق بالتفهيم والتبسيط وتفريع المسائل وتأصيلها وحل المقفلات وطرح الأسئلة والإشكالات بالمباحثة والمذاكرة، وهذه الطريقة لها شروطها حتى تتم الفائدة المرجوة منها فمثلا "على الطالب أن لا يشتغل بما أشكل حتى يتم الكتاب، لأنه إذا اشتغل بالإشكال كان مانعا له من الختم، وختم الكتاب أصلا من أصول العلم، ومن لم يختم كتاب في علم لم يحصل له فهمه، ولا يحل له أن يقرئه[2]" وكثيرا ما نجد المؤلّف ينعت قرآته على شيوخه بقوله: "قرأتُه عليه مراراً قراءة بحث وتحقيق[3]" ويقول واصفا لشيخه المسناوي في تدريسه لكتاب في أي فن: "يُبيِّنُ مُقفله ويُوضِّح مُجمله ويقيّد مطلقَه، وينبّه على ما فيه من خطأ وغفلةٍ، ويبحث معه كثيراً، وهذه سيرته رحمه الله في جميع الكتب التي يُقرئُها للطّلبة[4]" ويقول واصفا لشيخه بن رحال المعداني واصفا تعامله مع الطلبة ومع تدريسه الكتب بقوله: "يمازح الطّلبة ويصابرهم في المُباحثة، ومن تكلّم منهم في مجلس الإقراء ببحث أنصَت له، وأجابه على مقتضى بحثه

---

[1]ـ هاني صبحي، نفسه، ص12.

[2]ـ الرصاع، المصدر نفسه، ص 136

[3]ـ فهرسة المؤلّف، ورقة 1ظ،2و، 2ظ.

[4]ـ نفسه، ورقة 3ظ.

إن أمكنَ، ويُباحث الشروحَ والحواشي، ويَنْتَقِد على الفُحول[1]" ويصف شيخه بردلة بقوله: "كان قليل الإقراء مُغلق العبارة قلمُه أفصح من لسانه[2]" فهذه النصوص وغيرها تعطينا صورة واضحة لما كان عليه الوضع العلمي بفاس. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن المؤلف نقل طريقة التدريس وتأليف الفهارس إلى بيئته توات فكان يدرس إحدى المؤلّفات في فن من الفنون ويباحث ويدارس الطلبة ويلقون عليه الأسئلة، يقول تلميذه في فهرسته التي اقتدى في تأليفه لها بفهرسة شيخه واصفا لطريقة تدريسه:" عادته رحمه الله في تدريسه في جميع الفنون أنه يعتني بحفظ عبارة الشرح الذي يطالع في ذلك الفن، وربما نقلها بالمعنى ويبحث مع مؤلفه ولا يسلم منه غالبا."[3]، ويقول كذلك: "أنه كان رحمه الله قليل الإقراء لا يدرّس غالبا إلا مرة في اليوم درساً واحداً في كتاب واحد، ويتخلّف عن المجلس لخفيف عذر مع ذلك عظُم نفعه وانتشر علمه لصلاحه وحسن نيته."[4]، وهذه الطريقة في التدريس ومنح الإجازة ظلت في تطور إلى عهد متأخر خاصة في المغرب وأشار إلى ذلك بوضوح تام ما حدث في مجال التدريس لديهم "حيث انتقلت فكرة الإجازة مثلا عن إجازة الكتب إلى إجازة البرامج والمشيخات والمعاجم وهو أمر طريف ومتجدد يحمل في طياته معارف شتى، ويحمّل التلميذ مسؤولية الإجازة وضرورة حمايتها واحترامها، كما يحمل الشيخ تبعات هذه الإجازة التي تعدل مكتبة لا كتابا واحدا[5]"وسادت هذه الطريقة إلى ما بعد هذا العصر في كلا البيئتين، كما شخص هذا الكتاني في فهرس فهارسه، إلى أن غلبت عليها طرق ومناهج التعليم الحديثة والمعاصرة، ومع سيطرة هذه الأخيرة؛ إلا أنه بقي في كلا البيئتين بعض المدارس الخاصة والزوايا محافظة على

---

[1] ـ نفسه ، ورقة 6و.

[2] ـ نفسه ، ورقة 7ظ.

[3] ـ عبد الرحمن التنلاني، المصدر نفسه ، ص 89.

[4] ـ نفسه ، ص89.

[5] ـ صبحي هاني، المرجع نفسه ، ص51.

الطريقة الأولى، فتعنى بتدريس كتاب في فن من الفنون، وتكراره مرارا وبعد طول زمان يحصل للطالب التمكن والإدراك فيُمنح الإجازة مسندة إلى أصولها.

وجعلنا الفهرس المحقق نسلط الضوء على علاقة السياسة ونظام الحكم بالعلم وأهله، لأن السياسة قد تخدم العلم وتسهِّل سبل رفع مستواه، وقد تكون وبالا على العلم وأهله، وكان على هذا العهد المغرب الأقصى بيد الملوك الأشراف العلويين الذين عُرفوا بخدمة العلم والمساهمة في تطوير حقله، وبذلوا في ذلك الجهد المتنوع، فمنهم الرشيد بن الشريف، الذي كان يحضر دروس الحسن اليوسي الإمام الحافظ المؤلّف وقد طلب الرشيد اليوسي لقصره ليقرأ عليه فامتنع، وقال: العلم يؤتى ولا يأتي فاستجاب له وذهب إليه ليحضر دروسه في القرويين، ولد الرشيد سنة 1040هـ/ 1630م، ومات سنة 1082هـ/1671م.

ومنهم الملك المولى إسماعيل الذي بويع سنة 1082هـ/1671م، المتوفى سنة 1139هـ/1726م، وهو الذي عاصره المؤلّف، فمما قيل في وصفه:"كان اعتناؤه بالمدارس ومجازاة المحصّلين من طلبة العلم بعد الاختبار والامتحان، بمنح المناصب الشرعية وغيرها، وكان يستدعي للسمر معه أعيان العلماء والمفكرين، وكان يقدر العلماء ويعلي شأنهم ويصلهم بضافي الصلات، قال صاحب نشر المثاني: جدد الناس في أيامه للعلوم عهدا، فكانت أسواق العلوم بدولته عامرة، واعتناؤه بجمع الكتب وبذل النفيس من أجل تحصيلها أمر طارت به الركبان[1]"

فعرفت القرويين في عصر المؤلّف نشاطا قويا، وأعلاما كبارا متمكنين، فالطلبة كثيرون والشيوخ مجدين ومجتهدين، يقول في شيخه البرباعي: مُواظباً على تجويد القرءان للطّلبة بجامع القَرَوِيّين من الضّحى إلى العصْر لا يلهيه شيء عن ذلك، إلى أن

---

[1]- عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية: الرباط، 1356هـ/1937م ص، 31.

توفيّ ومنهم من يعمل بمداخيل ومنهم من لا يتحصل على أي مقابل، ومع هذا نجد أن السياسة ورجالها يخرجون عن الجادة مع بعض العلماء، فيعطوننا صورة تمهيدية لما سيؤول إليه الوضع من تقدم المفضول على الفاضل والأفضل، إذ يعمل الحسد والتباغض والدس والتآمر التي تحاك من البعض ضد البعض عمله، ومثال ذلك ما مر في ترجمة المؤلّف بمبحث دواعي رجوعه إلى توات، إذ رأينا طريقة وصول قاضي القرويين وخطيبه البوعناني إلى هذا المنصب، وكيف كان يسعى وراء الإمام بردلة أحد أبرز شيوخ المؤلّف.

رسّخ فهرس عمر التنلاني إحدى طرق التواصل العلمي وأساليب تحصيله في توات وكانت أساساً لمن ألّف بعده في توات في مجال الفهارس، وهو تلميذه عبد الرحمن بن عمر إذ لم يظهر في توات بعده فهرسٌ غيره.

المبحث الخامس: وصف نسختي المخطوط المحقق.

1 ــ التعريف بالنسخة الأم (أ).

وجدت هذه النسخة الأم (أ) بمكتبة الأستاذ الحاج أحمد الصديق، أستاذ بجامعة أدرار غير مفهرسة.

ناسخها: مما تثبته القرائن والدلائل الواضحة أن هذه نسخة أصلية وناسخها المؤلِّف بنفسه، إذ بَرْهَن على ذلك:

أن ما كُتب في خاتمتها بخط تلميذه وما استفتحت به كذلك، وهذا الخط مغاير تماما لما كتب به نص المخطوط كاملا، ولم يذكر تلميذه أنه هو من كتبها، فهذا ما يجعلنا نتساءل: مَن كتبها؟

فتفسر لنا التقييدات التي وضعها المؤلّف بنفسه على حواشي النسخة وهي بنفس الخط الذي كتبت به النسخة كقوله: "وأنا ابن تسع عشرة سنة"[1]، وهذه التقييدات عارية عن إثبات من نسخها بل تدّل على أنّها موضوعة أولاً ولم تنسخ، ولو نقلها ناسخ عنه لأثبت

[1] ــ فهرسة المؤلف، ورقة 09 ظ.

ذلك كما في النسخة الفرعية، حيث يثبّت أمثال هذه التقييدات ويعقبها بقوله: على يد ناسخها ــ فلان بن فلان ــ من خط مؤلفها بدون واسطة.

ولابنه الحسن الشاذلي تقييدات على حواشيها، خطُها مغاير لخط كتابة نص النسخة الأصلية، وهو ما يدل على أنه تملّكها من بعده.

وفي النسخة الفرعية ما يثبت هذا؛ حيث نجد أن ناسخها أثبت نسخه، لنص المخطوط من خط يد مؤلّفها بلا واسطة. ثم أتى بعدها بالزيادة المضافة في أخر هذه النسخة بخط تلميذه، وأعقبها بإثبات من نقلها عنه فقال: "وكتب من خط عبد الرحمن بن عمر بلا واسطة، إذن فقد أثبَت ناسخ هذه النسخة نقلا عن المؤلّف ونقلا عن تلميذه فكان لابد أن يكون مصدره الذي نقل منه هو نسخة مكتوبة بيد المؤلّف، يعقبها ذكر صاحب الرحلة وذكر وفاته بخط تلميذه، فكانت هذه النسخة.

لا يوجد بها تاريخ نسخ، كما أنها لم تصرح بناسخها، عدد أوراقها ثلاثة عشر ورقة مقياسها الطول 22 سم /العرض 18سم، فأوراقها من الحجم الكبير، متوسط مسطرتها 24 سطرا في الورقة، متوسط عدد كلمات السطر13، نوع خطها مغربي صحراوي، قريب من السوداني الذي يتميز بكبر حروفه.

وصفها: أما من حيث الأخطاء الكتابية والتصحيف والسقط والتصويبات وغيرها فكل من هذه النقائص وجودها نسبي، والتعارض بينهما طفيف وغير مؤثر في المعنى بها حواشي متنوعة وفوائد علمية وتواريخ وشروح كلمات أو تتمة ناقص كبيت شعري مثلا، أو توضيح كلمة غامضة في نص المخطوط، ويشكل الكلمات والأسماء التي تحتاج لذلك، بها التعقيبة، وأوراقها سالمة من العيوب، إلا أنها غير متماسكة ومتآكلة أطراف الأوراق مع سلامة نص النسخة وحواشيها، ولا يوجد عليها تمليك ولا إجازة ولا بيع منتهية بدعاء وتوسل وابتهال، ولكونها أصلية رمزت لها بـــ (أ).

2 ــ التعريف بالنسخة الفرعية (ب).

مكان وجودها: توجد هذه النسخة في خزانة بن الوليد الحاج الوليد، بقصر باعبدالله بلدية تيمي أدرار، المشرف على هذه الخزانة ابنه الأستاذ الحاج عبد القادر بن الوليد.

ناسخها: محمد بن محمد عبدالرحمن بن محمد بن عز الدين، نسخها من خط يد المؤلِف ولم تترجم له المؤلفات التواتية.

تاريخ النسخ : ضحى يوم الأربعاء 17 ذي القعدة الحرام عام 1242هـ/1826م، عدد أوراقها: خمسة عشر ورقة، ومتوسط مسطرتها21 سطرا، ومقياسها الطول21,5 سم/ العرض15,5سم، فهي كذلك من الحجم الكبير، متوسط عدد الكلمات في السطر13، نوع الخط مغربي متمشرق.

وصفها: جاءت كتابة كلمات هذه النسخة متداخلة ومتقاربة جدا، حتى أنه ربما كتب أول الكلمة على آخر التي قبلها، وأما من حيث الأخطاء الكتابية والتصحيف والسّقط والتصويبات وغيرها، فكل من هذه النقائص وجودها نسبي، مع وجود بعض التّداركات لبعض الكلمات التي سقطت إما بين السطور أو على الحاشية مع وجود إشارة تدل على هذا التدارك، وأما التعارض والاختلاف بينهما فطفيف وغير مؤثر في المعنى، وبها نفس حواشي النسخة الأم وزيادات متنوعة وفوائد علمية وتواريخ وشروح لكلمات أو تتمة ناقص، أو توضيح غامض، وتوجد بها كذلك التعقيبة، وهي أوضح وأسرع في القراءة من النسخة (أ)، سالمة من العيوب المادية فلا توجد بها خروم ولا تآكل، إلا ما كان من ضياع إحدى أوراقها وهي الورقة رقم 08، وهذه النسخة ضمن مجموع في أوراق عارية معها قصيدة للأوداوعلي وشرح لمحمد بن عثمان الفلاني على حزب البحر، بخزانة أولاد بن المبروك البداوي بقصر بودة، وبما أنها وجدت عند بن الوليد فرمزها المناسب (ب).

وفي ملاحق البحث: الملحق(5) هو صورة لوجه الورقة الأولى من النسخة(ب)، وفي ملحق(6) صورة لظهر الورقة الأخيرة للنسخة (أ).

بسم الله الرّحمن الرّحيم، صلّى الله على سيّدنا محمّد وءاله وصحبه وسلّمَ تَسليماً.

قال الشَّيْخُ الإمامُ، العالمُ العلامة، أحيدُ دهره، وفريدُ عصره، الجامعُ بين الحقيقة والشريعة، شيخُنا أبو حفص سيّدي عمر بن سيّدي الحاج عبد القادر التوّاتي، بَرّدَ الله ضريحَه، وأسكنه من الفردوس الأعلى فسيحَه، بمنّه وفضله ءامين[1]:

[مقدمة المؤلِّف]

الحمدُ لله الذي شرَّف العلم وجعل له أهلاً، والصّلاةُ والسّلام على مَن طاب فرْعاً وأصْلاً، وعلى ءاله الأطهار، وصحابته الأخيار، وبعد :

فقد كنت في حال صِغَري شَغوفاً بالعلم مُولعاً بطلبه، مُشتغِلاً بقراءة الشيْخ خَلِيل و(ألفيّة ابن مالك)، مُقبِلاً على ذلك، مُتشَوِّفاً إلى شَيْخٍ يَحُلّ لي ألفاظَهما، ويُوقِفُني على معانِيهما، فلم يتّفِق لي ذلك؛ لِكَوْن البلد شاغرةً من العلماء[2]، إلى أن شَرَح الله صدري وتوجّهَتْ هِمّتي للسّفر لسجلماسة، أولمدينة فاس قصداً لذلك، فثَنَيْتُ عِنانَ عزمي، وصَرَفْتُ لذلك وِجْهَتي.

وقد وَرَد في فضل طلب العِلم أحاديث كثيرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ففي (صحيح البخاري) عنه صلّى الله عليه وسلّم: «من سَلَك طريقاً يطلُبُ به علماً، سهّلَ الله له طريقاً إلى الجَنّة[3]» وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أفضل الأعمال طلب العِلم»[1] وقال

---

[1] ـ هذه المقدمة لتلميذ المؤلف عبد الرحمن بن عمر، وهي والوجه الأول من النسخة الأم بخط التلميذ كما أثبت ذلك.

[2] ـ سبق التحدث عن قضية خُلُّو بلاد توات من العلماء في هذا العصر، في مبحث دراسة بيئة وعصر المؤلِّف، ص26.

[3] ـ رواه أبُو عبد اللَّه مُحمد بْن إِسْمَاعيل بن إِبْراهِيم البخَاريُّ، الجامع الصحيح ، باب الْعِلمِ قَبْل

عليه السّلام: « إنّ الملائكة لتضَع أجنحتَها لطالب العِلم رضىً بما يطلُب[2]» إلى غير ذلك من الأحاديث.

فسافرتُ لطلب العِلم من تَوات لمدينة فاس، سنة سبْع عشْرة ومائة وألف، وأقمْت فيها مُشتغِلاً بالقراءة والإقراء إلى آخر سنة تسْعٍ وعشرين ومائة وألف[3]، نحو ثلاث عشرة سنة، وحين وَصلْت إليْها اشتغلْت بالقراءة.

[العلوم التي درسها ومروياته فيها]

[تجويد القرءان]

فقرأتُ القرءان على الأستاذ الشهير، الولي الصالح، المُتَبَرَّك به؛ أبي عبد الله سيّدي محمد السّالم بن سيّدي محمد البَرْبَاعي[1]، وكان رحمه الله بالمدرسة المصباحيّة[2] من مدينة فاس، مُواظباً على تجويد القرءان للطّلبة بجامع القَرَوِيّين[3] من الضّحى إلى العصْر لا يلهيه

الْقَوْل والعمل، دار الفكر: بيروت 1401هـ / 1981م .ج1/ص119 .

[1] ـ أخرجه المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير بلفظ آخر وقال له شواهد تقوّيه، رقم الحديث: 1240 ،ج2/ص36.

[2] ـ أخرجه في كنز العمال قال: "عن الطيالسي عن صفوان بن عسال ، وورد بألفاظ أخرى يقوي بعضها بعضا" علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح بكري حياني وصفوة السقا ، ط5 ، مؤسسة الرسالة : بيروت، 1405هـ/ 1985م رقم الحديث 28747، ج10/ص147.

[3] ـ يوافق تاريخ خروجه سنة :1705م ، و تاريخ رجوعه سنة : 1715م.

شيء عن ذلك، إلى أن توفيّ[4] بعد العشرين ومائة وألف[5]، ودُفن داخل باب الفُتوح[1] من المدينة المذكورة.

---

[1] ـ محمد السّالم بن محمد "التواتي ثم التيماوي ثم البرباعي" عبدالرحمن بن عمر، الفهرسة، ص82 ، فهو من بَرْبَع التابعة لبلدية تيمي دائرة أدرار، وهو أحد شيوخ المؤلّف، توفي بعد 1120هـ/1708م، كان يدرس بالقرويين القرءان وتجويده.

[2] ـ"أمر ببنائها السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني، جوف جامع القرويين، تعرف بهذا الاسم لأن أبو الضياء مصباح بن عبد الله اليصلوتي أول من تصدى للدرس بها فنسبت إليه" أحمد الناصري ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب :الدار البيضاء ،1954م ، ج4/ص111.

[3] ـ للتعرف على كل ما يتصل بهذا الجامع وما يميزه من طرق التدريس ومناهج المدرسين، وكراسيهم ، وما قد عُرفوا به منذ تأسيسه به حتى عادتهم في لباسهم، الإطلاع على الحاج أحمد بن شقرون، أرجوزة عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، مطبعة فضالة المغرب، 1414هـ/ 1994م.

[4] ـ سقط من النسخة (أ)| برد الله ضريحه| وثبتت في النسخة (ب).

[5] ـ يوافق عام: 1708م.

[دراسة العربية النحو والصَّرف]

ثمّ توجّهْت للعربيّة ، فقرأت (مقدّمة ابن أجَرّوم[2]) على الأديب سيّدي محمد العربي بن الأستاذ أبي عبد الله مَحمد بن مَقْلبٍ الفاسي[3]، وقرأتها أيضاً قراءة بحثٍ وتحقيقٍ على

---

[1] ـ "الفتوح بن دوسان هو الذي بنى باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلي وبه عرفت الآن" ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور : الرباط، 1972م، ص112.

[2] ـ "محمد بن محمد بن داوود الصِّنهاجي أبو عبد الله، المعروف بابن أجرّوم ،بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة، ومعناه بالبربرية الفقير الصوفي، صاحب المقدمة المشهورة بالجرومية، نحوي من أهل فاس، مولده 672هـ /1273م، له مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها والغالب عليه النحو، توفي في صفر الخير 723هـ/1323م، ودفن داخل باب الجديد بفاس" عبدالرحمن السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2،دار الفكر: بيروت، 1499هـ/1979م، ص238.

[3] ـ "أبو عبد الله محمد العربي بن محمد بن مقلب الفاسي، فقية محقق من أصحاب سيدي عبد القادر الفاسي، أحد الكبراء ديناً وخشية أخذ عنه طلبة فاس القراءات السبع ،كان من أولياء الله ، توفي 1129هـ /1716م" موسوعة أعلام المغرب، ج5/ ص1961.

الأستاذ النّحوي سيّدي/1ظ/أحمد السّقاط[1] بشرحها الشيْخ خالــد الأزهري[2]، مع حاشية أبي بكر الشنواني[3] عليه، وسرَدْتُ عليه كثيراً منها ممّا أشْكَلَ عليَّ فهْمُه، وكان رحمه الله مُولعاً بها، وكنت أُباحثُه كثيراً في مواضع منها، قرأتها عليه مراراً.

---

[1] ـ لم أجد له ترجمة.

[2] ـ "خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين ، يعرف بالوقاد: نحوي من أهل مصر،له المقدمة الازهرية في علم العربية ، و موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، و شرح الآجرومية وغيرها توفي 905هـ/1499م" خير الدين الزركلي الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ، ط15، دار العلم للملايين : بيروت ، 2002م ج2/ص297 ، وعمر رضا كحالة معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، ط1، مؤسسة الرسالة : بيروت 1414هـ/1993م ج4/ص96.

[3] ـ "أبو بكر بن إسماعيل شمس الدين الشنواني ، فريد عصره في جميع الفنون ، أخذ عن العبادي وابن حجر المكي ومحمد الرملي وغيرهم، وعنه علي الحلبي والشهاب الخفاجي وغيرهم ،له مؤلفات منها حاشية على الشذور وأخرى على شرح الأجرومية وشرح ديباجة خليل ، توفي1019هـ /1610م" مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها : القاهرة 1349هـ / 1930م، ص289.

وقرأت (ألفيّة ابن مالك) على جماعة من الأيمّة، كالعلّامة النّحْوي، أبي عبد الله سيّدي مهدي بن عبد السّلام الحُلْو الفاسي[1]، وكالعالم المتفنّن، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن عبد الله السّجلماسي[2] المُجاور في الحرمين، وكالأستاذ النّحوي سيّدي أحمد السّقاط المذكور أوّلاً وكالعالم النّحوي، سيّدي عبد السّلام الهرّوشي[3] وكالفقيه المشارك، سيّدي إدريس المشّاط الفاسي[4]، وقرأت شيئاً من (توضيح ابن هشام على ألفيّة ابن مالك) على الإمام العلّامة المتفنّن النّحوي سيّدي مَحمد بن عبد السّلام بنّاني الفاسي[5]، قرأت عليه إلى قريبٍ من الاستثناء.

وقرأت (لامية الأفعال) على الأستاذ سيّدي أحمد السقّاط المذكور، وقرأت (جُمل المجراد) عليه أيضاً.

---

[1] ـ لم أجد له ترجمة.

[2] ـ "أبوعبد الله محمد بن عبد الله الفاسي المدني المالكي السجلماسي المعروف بالمغربي كان حافظاً متفننا، مشاركاً في العلوم أصله من سجلماسة واستوطن فاس، رحل إلى المشرق واستوطن المدينة وبها توفي سنة 1144- 1145هـ/1732م" فهرسة المؤلِّف،ص146.

[3] ـ لم أجد له ترجمة.

[3] ـ "إدريس بن مهدي المشاط المنافي، توفي1142هـ/1729م، ولي قضاء تادلا وخطبة مسجد الأندلس" موسوعة أعلام المغرب،ج5/ ص2024.

[5] ـ"أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الفاسي، ولد بفاس سنة 1083هـ/1672م، توفي بفاس 1163هـ/1749م، له شرح على لامية الزقاق، والاكتفاء للكلاعي، ورحلة سماها فضل الحرمين، وله عدة فهارس" شجرة النور، ص353.

وقرأت شيئاً من (مُغني اللّبيب) لابن هشام، على الإمام العالم العلّامة المحقق النّحوي بإجماع أهل وقته المُتفَنّن الصُّوفيّ، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن زكري[1]، وحضرت بعضاً

من (التّسهيل) على الفقيه المشارك سيّدي مَحمد بن حمدون بنّاني[2].

[علم العَروض]

وقرأت (الخَزْرَجيّة) في علم العَروض على الفقيه الزاهد العامل، سيّدي محمد الطّيب بن سيّدي عبد الرّحمن بن القاضي الفاسي[3]، وعلى الفقيه المشارك سيّدي إدريس المشّاط السّابق ذكره.

---

[1] ـ "أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكري: فقيه مالكي، من أهل فاس له مؤلفات عديدة ومفيدة منها :حاشية على الجامع الصحيح للبخاري، وشرح النصيحة والحكم والشمائل وقواعد زروق وغيرها، توفي1144هـ / 1731م" شجرة النور،ص 335، وموسوعة أعلام المغرب، ج5/ ص2033.

[2] ـ "مَحمد بن حمدون بنّاني يعرف بالمحوجب لأنه كان أقرن الحاجبين ، المدرس المفتي النوازلي ممن سُلِّم له قلم الفتوى بفاس، توفي أول ليلة السبت عشر من ذي الحجة متم أربعين ومائة وألف"موسوعة أعلام المغرب، ج5/ص2003.

[3] ـ" الفقيه الصالح البركة الأنور، أبو محمد الطيب ،كان مولَعا بتقييد المسائل المهمات ملتقطا أشتات الفضائل ، حمل الناس عنه القرءان وانتفعوا به ، توفي ثامن رمضان بفاس عام 1124هـ/1712م" موسوعة أعلام المغرب، ج5/ص1945.

[علم المعاني والبيان]

وأخذت علم المعاني والبيان، عن العلّامة المتفنّن سيّدي مَحمد بن عبد السّلام بنّاني السابق ذكره، قرأت عليه(تلخيص المفتاح) مرتين قراءة بحثٍ وتحقيق.

[علم أصول الفقه]

وأخذت علم الأصول عن جماعة من الأيمّة، كالفقيه المُحقّق المُشارك الأستاذ المتفنِّن

أبي العبّاس سيّدي أحمد بن مبارك السّجلماسي[1]، قرأت عليه (جمْع الجوامع) لابن السّبكي وكالفقيه العدْل المُحقّق الأصوليّ، سيّدي مَحمد بن محمد ميّارة الفاسي[2]، قرأت عليــه جمْع الجوامع أيضاً لابن السّبكي مع شرحه للمحلّى[3]، قراءة بحثٍ وتحقيق، وكان رحمه الله يُكثِر من/2و/ النُّقول خلال قراءته للكتاب المذكور، ويَعتَني بشرحه المذكور،

---

[1] ـ "أبو العباس أحمد بن المبارك السجلماسي اللمطي البكري الصديقي، العلامة النحرير محدث مفسر له تآليف عديدة منها : شرح جمع الجوامع ، رد التشديد في مسألة التقليد، وتأليف في دلالة العام على بعض أفراده وغيرها ، توفي 1155هـ/1742م " شجرة النور ص 352 ، و موسوعة أعلام المغرب، ج6/ ص2134.

[2] ـ" أبو عبد الله المعروف بميارة الصغير ، عالم نحرير وعمدة محقق، أخذ عن عبدالقادر الفاسي، وعنه بن زكري ،توفي 1144هـ/ 1731م" شجرة النور، ص335.

[3] ـ"شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول لجلال الدين محمد بن محمد المحلى المصري ،توفى 864هـ" حاجي خليفة ،كشف الظنون ج/ 01/ص 595.

ويفكّك ما انْغَلَق من عبارته، وينقل كلام أرباب الحَوَاشي عليه؛ كابن أبي شريف[1]، وشيخ الإسلام زكريّاء واللقّاني والعبّادي[2] في(الآيات البيّنات)، وكالإمام الأجلّ الفقيه العلّامة البارع المُحقّق المُتفنّن المشارك في العلوم شيْخ الشّيوخ، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن أحمد المَسناوي الدِّلائي[3]، برّد الله ضريحَه، قرأت عليه كثيراً من(لُبّ الأصول) للشيْخ زكريّاء.

---

[1] ـ"ابن أبي شريف(822 / 906 هـ = 1419 / 1501م)، محمد بن محمد بن أبي بكر بن على بن أبي شريف المقدسي، عالم بالأصول فقهاء الشافعية، له تصانيف منها: الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع في أصول الفقه" أعلام الزركلي، ج7/ص53 .

[2] ـ" ابن قاسم (... - 992 هـ / ... - 1584م) أحمد بن قاسم الصباغ ، العبادي ثم المصري الشافعي الازهري، شهاب الدين، له حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه ، سماها الآيات البينات مجلدان، و شرح الورقات لإمام الحرمين توفي بمكة مجاورا" أعلام الزركلي، ج1/ص198.

[3] ـ" محمد بن أحمد الدلائي، البكري المالكي، المعروف بالمسناوي أبو عبد الله المتوفى في شوال سنة 1136هـ/1723م، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، خاتمة المحققين وشيخ الجماعة، أخذ عن والده عبد القادر الفاسي، أخذ عنه اليفرني وميارة الصغير وأحمد بن مبارك له تأليف كثيرة ومتنوعة، وأجوبة وتقاييد مفيدة في شتى العلوم، أفردت لترجمته التآليف" شجرة النور،ص 333.

[علم المنطق]

وأخذت عِلم المَنطق[1] عن جماعة، كالإمام العلّامة شيْخ الشيوخ، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن أحمد المَسناوي المُتقدم ذكره، قرأت عليه(مختصر الشيخ السّنوسي[2] في المَنطق) قراءة بحث وتحقيق، وعليه حصّلْتُ كثيراً من مسائله وتحقيقاته، وكالفقيه أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن عبدالله السّجلماسي، قرأت عليه (مُختصر الشيْخ السّنوسيّ في المَنطق) أيضاً ، وقرأتُ عليه أيضاً (أرْجوزة السُّلّم) في المَنطق مراراً، وكالفقيه المشارك سيّدي إدريس المشّاط الفاسي المتقدم ذكرُه، قرأت عليه (أرْجوزة السُّلّم).

[علم الكلام]

---

[1] ـ"يقال له علم الميزان وهو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها، وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول أو النفع فيه" أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان: بيروت، 1998م ،ص937.

[2] ـ"محمد بن يوسف السنوسي ، من مشائخ المائة التاسعة ، وتوفي على رأسها ، فكان من جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة ، تأليفه دلت على تحقيقه ، منها عقائده الخمس وشروحاتها ، من أفضل ما ألّف في الإسلام وهي المقدمة والصغرى وصغرى الصغرى الصغرى والوسطى والكبرى،وشرح قصيدة الجزائري،ومكمل إكمال الإكمال في شرح مسلم، وغيرها كثير في مختلف الفنون الشفشاوني، دوحة الناشر ، ص121.

وقرأت عِلم الكلام، على الفقيه الأجلّ أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن عبد الله السّجلماسي، قرأتُ عليه(المقدّمة الصّغرى) للشَّيْخ السّنوسي مراراً، وقرأتُ عليه أيضاً (العقيدة الكُبرى) للشيخ السّنوسي، وعلى الفقيه المُحَقّق المشارك المتفنّن أبي العبّاس سيّدي أحمد بن مبارك السّجلماسي السّابق ذكره، قرأت عليه (الصُّغرى) للشيخ السّنوسي قراءة بحثٍ وتحقيق، وقرأتها أيضاً على العالِم العلّامة الدّرّاك الفهّامة النّحوي، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن زكري الفاسي المتقدِّم ذكرُه.

[دراستُه الفقه]

وأخذت الفقه عن جماعة من الأيمّة الذين أدركتهم بمدينة فاس من الفاسيّين وغيرهم فقرأت (الرّسالة) على شيْخ الشّيوخ الإمام أبي عبد الله سيّدي مُحمد بن أحمد المَسنَاوي الدّلائي، أسكنه الله بحبوحَ جنّته، وقرأتها أيضاً على العلّامة النّحوي المتفنّن الصّوفي، أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن زكري.

وقرأت (مُختصرالشيخ خليل) على الإمام الأجَلّ الفقيه العلّامة المشارك/2ظ/المتفنّن حافظ مذهب مالك في زمانه بالمغرب، أبي علي سيّدي الحسن بن رحّال المَعْداني[1]، برّد الله ضريحه، وأسْكَنَه من الجنّة فسيحَه، قرأتُه عليه مراراً، قراءة بحث وتحقيق، وقرأته أيضاً على شيْخ الشّيوخ الإمام الفقيه أبي عبد الله سيّدي مُحمد بن أحمد المَسناوي الدِّلائي المتقدم ذكره، وحصّلت على هَذيْن الشّيْخَيْن من المسائل الفِقهيّة والفوائد العلميّة

---

[1]ـ "أبـــوعلي الحسن بن أحمد بن علي التدلاوي ثم المعداني بن رحال، المغربي المالكي ، ويدعى بصاعقة العلوم ، كان فقيهاً ، علامة حافظًا للمذهب كثير الإطلاع على مسائله، مشاركاً في الفنون مداوماً على قراءة مختصر خليل، يضرب أوله بأخره، توفي بمكناس1140هـ/ 1727 م" شجرة النور، ص334.

والتحقيقات البديعيّة في الفقه وغيره ما لم أُحصِّله على غيرهما؛ لكَوْني لازَمْتُهما أكثر من غيرهما، رحمةُ الله على جميعهم بل أكثر المسائل التي حصّلتها منهما.

وقرأت أرجوزة ابن عاصم[1] (تُحفة الحكّام)، على هذيْن الشيْخين؛ قرأتــه كلُّه على الأوّل منهما أبي علي سيّدي الحسن، وقرأت أكثرَه على الثاني شيْخُ الشّيوخ أبي عبد الله وقرأت (لاميّة الزقّاق)[2] على الأول منهما أبي عليّ، وقرأت شيْئاً من (مختصر ابن الحاجب)[3] الفقهي على الثّاني، وقرأت أيضاً النّصف الثاني من (مختصر الشيخ خليل)

---

[1] ـ"محمد بن محمد بن محمد بن عاصم ، أبوبكر القاضي ، المتوفى سنة 829هـ / 1426م ، له تحفة الأحكام في نكت العقود والأحكام تشتهر بالعاصمية ، وهي قصيد رجزي تقع في 668 بيتا" علي محمد إبراهيم ، اصطلاح المذهب عند المالكية، دبي : دار البحوث الإسلامية ، 2000، ص465 .

[2] ـ"لامية الأحكام ،وهي في علم الأقضية شهيرة في أحكام فقهية في مسائل جرى بها العمل بفاس ، لأبي الحسن علي بن قاسم الزقاق الزقاق الفاسي، توفي عن سن عالية سنة 912هـ/1506م" شجرة النور، ص 274.

[3] ـ"عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي الأصل، ولد بأسنا من الصعيد 570 أو571هـ/ 1174م، المقرئ النحوي الفقيه المالكي الأصولي، صاحب التأليف المنقحة، أخذ بعض القراءات عن الشاطبي وقرأ بالسبع على أبي الجود وسمع البوصيري،برع في الأصول والعربية، درس بجامع دمشق بزاوية المالكية، له في الفقه مختصر وفي

على العالم المتفنّن المشارك أبي العبّاس سيّدي أحمد بن مبارك السّجلماسي، إلاّ أيّاماً مرضْتُ فيها فتخلّفتُ عن حضور مجلسه فيه وقرأت أيضاً بعضاً من المختصر على العلاّمة المُحقّق الفقيه المُسنِد القاضي الأعْدَل أبي عبد الله سيّدي محمد العربي بن أحمد بُرْدَلة[1] وقرأت أيضاً بعضَه على الفقيه سيّدي مَحمد المشّاط الفاسي[2]، وقرأت (المُرشِد المُعين) منظومة ابن عاشر، على شَيْخ الشُّيوخ أبي عبد الله سيّدي مُحمد بن أحمد المَسْنَاوي.

[علم الحديث]

وأخذت الحديث عن جماعة ، كالإمام العلامة شيْخ الشيوخ أبي عبد الله سيّدي مُحمد بن أحمد المَسناوي، قرأت عليه (البخاري) إلاّ شيئاً منه ، وقرأت عليه بعضاً من (الأربعين النّوَويّة)، وقرأت عليه كثيراً من (ألفية العراقي) في اصطِلاح المُحدِّثين، وأخذت أيضاً (صحيح البُخاري) عن الفقيه العلاّمة أبي علي سيّدي الحسَن بن رحّال

الأصول مختصر،وله في النحو الكافية والوافية، وله في الصرف الشافية، حدث عنه المنذري والدمياطي، توفي بالأسكندرية سادس عشر شوال 646هـ/ 1249م" السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ص134.

[1] ـ"أبو عبدالله محمد العربي بن أحمد بُردلة ، إمام فاس وفقيهها، شيخ الجماعة قاضيها العادل وخاتمة المحققين،أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، وعنه المسناوي ومحمد بن عبدالسلام بناني توفي 1133هـ/1627م، له تآليف كثيرة متنوعة ومفيدة" شجرة النور،ص332 ومعجم المؤلفين، ج6/ص276.

[2] ـ لم أجد له ترجمة.

كثيراً منه قراءة والباقي إجازةً[1]، وأخذت عنه(صحيح مسلم) بعضه قراءة، وبعضه إجازة وسمعت أيضاً بعضاً من(البخاري) على العلّامة سيّدي مَحمد بن زكري، وعلى أبي العبّاس سيّدي أحمد بن مبارك السّجلماسي وعلى الفقيه/3و/ المُحَدِّث سيّدي علي الحُرَيْشي الفاسي[2]، وقرأت (شمائل الترمذيّ) على الفقيه الأجلّ سيّدي مَحمد بن عبد السّلام بنّاني، وعلى الفقيه الحافظ سيّدي مَحمد بن عبدالله السّجلماسي.

[علم التفسير]

---

[1] ـ "الإجازة في اللغة طي المسافة وإعطاء الإذن، وحقيقتها الإذن في الرواية لفظا أو كتابة ،أركانها المجيز والمجاز له ولفظ الإجازة ولا يشترط القبول فيها، وهي عندهم خمسة : أجازة معين لمعين ، إجازة معين في غير معين كأجزتك مسموعاتي، والصحيح جواز= =الرواية بهذين و وجوب العمل بهما ، وإجازة العموم كجميع المسلمين ، وإجازة المعدوم ، وإجازة المجاز ؛ والثلاثة مختلف فيها" محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف مصطلحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج ، ط1 ، مكتبة لبنان : بيروت 1996م ، ج1/ ص99 .

[2] ـ"أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي،ولد بفاس ودرس على علمائها مثل عبد القادر الفاسي وأبي سالم العياشي وأبي علي اليوسي، جاور بالمدينة المنورة، ومات بها سنة 1144 هـ/1732م، وعند حجي توفي 1145هـ" موسوعة أعلام المغرب، ج5 /ص2005.

وأخذت كثيراً من التفسير، عن شيْخ الشُّيوخ العلّامة أبي عبد الله سيّدي مَحمد بن أحمد المَسْنَاوي، وسمعت مواضع منه على الشّيْخ العلّامة الفقيه المُتَفَنِّن أبي عليّ سيّدي الحسن بن رحّال المَعْدَاني والباقي إجازة.

[علم التصوّف]

وسمعت بعضاً من(حِكَم ابن عَطاء[1])، على العلّامة الصّوفيّ سيّدي مَحمد بن زكري.

[علم التّوقيت]

---

[1] ـ "هو أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الأسكندري المالكي الشاذلي، صحب الشيخ أبا العباس المرسي وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، قال الذهبي كانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل وكانت عليه سيما الخير، مزج كلام القوم بأثار السلف وفنون العلوم فكثر أتباعه،كان فقيها عالما ينكر على الصوفية ثم جذبته العناية فصحب شيخ الشيوخ المرسي، من تصانيفه لطائف المنن والحكم، توفي رحمه الله نصف جمادى الأخرة سنة 709هـ/1309مودفن بالقرافة" عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرناؤوطان، ط1، دار ابن كثير: دمشق بيروت، 1413هـ/1992م، مج8/ص36.

وقرأت (المُقنِع مُختصَر أبي مَقْرع)[1] في علم التوقيت[2]، على الفقيه الأستاذ سيّــدي
مَحمد بن عيسى[3]، وعلى الفقيــه سيّدي مَسعود جمّوع الفاسي[1]، وقرأت (رَوضة الأزهار في عِلم وَقت اللّيل والنّهار)[2]، على سيّدي أحمد بن شنّوف[3] المُنجِّم ولكن لم أتحصّل عليه منها على طائل.

---

[1] ـ "أبو عبد الله محمد بن علي البطوئي ، المعروف بأبي مقرع عاش في القرن الثامن الهجري ، له أرجوزة في علم التوقيت" محمد العربي فهارس الخزانة الحسنية بالرباط ، الخطابي: الرباط ،1405هـ/1985م ، ص189.

[2] ـ هو علم يتعرف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها، منفعته معرفة أوقات العبادة ونواحي جهتها، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ومقادير الأظلال والارتفعات، وانحراف البلدان وسموتها، من المصنفات المشهورة: جامع المبادئ والغايات في علم الميقات لابن علي حسن بن علي المراكشي"موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ،ص942.

[3] ـ "سيدي محمد المدعو بن عيسى لا نعرف له لقبا سواه ،من قرية ميسور مشاركا في كثير من العلوم، انتفع عليه كثير من طلبة فـــاس تدريسه في البيان والنحو والمنطق والتوقيت، أخـــــــذ عن مشائخ فاس كعبدالسلام بن الطيب القادري، توفي قرب وجدة عام 1150ه / 1737م " شجرة النور، ج5/ ص2079.

[علم الحساب]

وقرأت (القلصادي)[4] في علم الحساب على غير واحد، كالفقيه الأستاذ سيّدي مَحمد بن عيسى المتقدّم.

---

[1] ـ"مسعود بن محمد جموع ، أبو الفضل(.../ 1119 هـ =... /1707 م)، مقرئ نحوى ، من العلماء بالسيرة النبوية ، من فقهاء المالكية أصله من سجلماسة ، ومولده ومنشؤه بفاس، انتقل إلى سلا سنة 1118هـ/1706م وتوفى بها ، كان عاكفا على التدريس والتأليف والنسخ، خطه جيد، له نفائس الدرر من أخبار سيد البشر و شرح السلم في المنطق و حواش على الألفية وغيرها" شجرة النور، ص 327، وأعلام الزركلي، ج7/ ص220.

[2] ـ"أرجوزة في الميقات لأبي زيد عبدالرحمن محمد الباجوري بن أبي غالب المعروف بالجادري ، المديوني الموقت في القرويين ، توفي سنة 839 هـ/ 1435م" محمد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الحسنية بالرباط ،ج2/ ص287 ، معجم المؤلفين، ج2/ص106.

[3] ـ لم أجد له ترجمة .

[4] ـ "علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن، الشهير بالقلصادي : عالم بالحساب، فرضي فقيه مالكي ،

[ذكر ما أخذ وعمَّن أخذ بمكناسة الزيتون]

وسمعت بعضاً من(الشِّفاء) للقاضي عياض، على الفقيه العلاّمة سيّدي سعيد العُمَيْري[1]، لقيتُه بمدينة مَكناسَة الزيتون، وسمعت عليه أيضاً هنالك بعضاً من التّفسير وأما العلاّمة الفقيه المحقق الإمام القاضي الأعْدل بمدينة مَكناسة الزيتون أبو مَدْين سيّدي محمد بن الحسين السّنوسي[2]، والفقيه الأجلّ العلاّمة ذو التآليف الشّهيرة، سيّدي أحمد بن يعقوب[3] فلم يَتّفق لي الأخذُ عنهما، مع أنّي لقيتُهما بالمدينة المذكورة.

توفى سنة 891 هـ/ 1486م ، من أئمة الأندلس ، أصله من بسطة وبها تفقه ، وانتقل إلى غرناطة فاستوطنها ، ورحل إلى المشرق، وتوفي بباجة تونس، من تآليفه: شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة و بغية المبتدي وغنية المنتهي و قانون الحساب" شجرة النور، ص261 .

[1] ـ"أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري، المحقق الفهامة المعقولي، التادلي الأصل المكناسي وفاة وقرارا ، قرأ على شيوخ الزاوية البكرية كسيدي الحسن بن مسعود اليوسي توفي سنة 1141هـ/ 1736م" موسوعة أعلام المغرب، ج5/ ص1963.

[2] ـ"سيدي محمد بن الحسين أبو مدين السوسي ،الفقيه العلامة القاضي الأعدل بمكناسة الزيتون وخطيب جامعها ، توفي 1120هـ/ 1708م ، دفن بروضة سيدي عبد الله " موسوعة أعلام المغرب، ج5/ص1937.

[3] ـ"أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي أخذ عن أعلام منهم محمد بن عبد الله السوسي، درّس بقصبة فزانة ،من تآليفه شروح على مختصر السنوسي في المنطق والسلم، وجمل الخونجي ولامية الأفعال وحاشية على المحلى

فهؤلاء الشّيوخ من الفاسيّين وغيرهم هم الذين لَقِيْتهم وأخذتُ عنهم.

[تَرَاجُمِه لأهم شيوخه]

[ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد المَسْنَاوي]

أما الفقيه العلّامة شيْخ الشّيوخ، أبو عبد الله سيّدي مُحمد بن أحمد المَسناوي فكان رحمه الله فاضلاً عالماً زاهداً محققاً مشاركاً في الفنون، حَسَن العبارة والبيان عند الإقراء فصيح اللسان، يُحقّق المسائل، فإذا شَرَع في تدريس كتابٍ وإقرائه فإنه يَعتني بتفكيك عباراته وبَسْطِها، ويتكلم مع شروحه ويَبحثُ معهم كمختصر الشيْخ خليل وغيره، وكان يَعتني رحمه الله عند تدريسه لمختصر الشيْخ خليل بشروحه؛ كالشيْخ بَهْرام[1]، والحطّاب[2] والمُواق[3]، والتّتائي[4]، والشَّيْخ علي الأجهوري[5]/3ظ/ والزرقاني[6] وغيرهم، ويضيف إليهم (توضيح الشيْخ خليل) لمختصر ابن الحاجب، ويكثر اعتناؤه بالزّرقاني، فكان يُبيِّنُ مُقفله

وغيرها، توفي بها ثاني رجب عام 1128هـ/1716م" شجرة النور، ص331.

[1] ـ تاج الدين بهرام بن عبد الله، توفي 805 هـ/1408م ،شجرة النور، ص 239 .

[2] ـ محمد بن محمد الحطاب المكي، توفي 954هـ/1547م، شجرة النور ، ص270.

[3] ـ محمد بن يوسف العبدري المواق، توفي 897هـ/1491م، شجرة النور ، ص229.

[4] ـ أبو عبدالله شمس الدين محمد بن ابراهيم التتائي، توفي 942 هـ/1535م، شجرة النور ، ص272.

[5] ـ علي نور الدين الأجهوري بن زين العابدين، توفي 1066هـ/1652م، شجرة النور، ص280.

[6] ـ أبو محمد عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، توفي 1099هـ/1685م، شجرة النور، ص304.

ويُوضِّح مُجمله، ويقيّد مطلقَه، وينبّه على ما فيه من خطأ وغفلةٍ، ويبحث معه كثيراً، وهذه سيرته رحمه الله في جميع الكتب التي يُقرئُها للطّلبة، فتحصلُ لهم بسبب ذلك فوائدٌ كثيرة وأبحاثٌ نفيسة جليلة، غير أنّه رحمه الله كان يَكرَهُ التّطويلَ معه في المُباحثة ولا يَثبُتُ لها.

[مناقشة فقهية في الذبح لغير الله مع شيخه]

وحين كنّا نقرأ (مختصرَ الشيْخ خليل)، على شيْخنا الإمام أبي علي سيّدي الحَسَن بن رحّال، وكان رحمه الله يُكثر المُباحثة مع الشّروح وغيرهم، وربّما عارَضَ بعض الفروق التي يذكرونها، دَفعاً لِما عَسَاه يُتَوهَّمُ من المعارَضة بين المسائل، كان من ذلك أنّه إذا مرّ على قوْله في باب الذّكاة: « وذِبحٍ لصَنمٍ[1]» الخ يبحث في الفَرْق بينه وبين ما ذُبح لعيسى ولأيّ شيء كان الأوّل: وهو ما ذُبح لصَنَم، يَحْرُم أكلُه، والثّاني: وهو ما ذُبح لصليب أو عيسى يُكرَه فقط، مع أنّ كلَّ واحد منهما ذُكِر عليه اسم غير الله ويَستَشْكِل الفرق الذي ذكَره الشيخ عليّ الأجهوري وغيره، وأطال في ذلك فتكلّمَتُ في ذلك مع شيخنا أبي عبد الله سيّدي مَحمد المَسْنَاوي، وفاوَضْتُه في المسألة بعد أيّام، فلَم يُجبْني بمُقْنِعٍ.

[تحقيق المؤلّف في المسألة]

فحملني ذلك على أن قيّدتُ[2] في المسألة كلاماً أكثرُه من مَفَادَات شيْخنا الإمام أبي عليّ سيّدي الحسن المذكور.

---

[1] ـ خليل بن إسحاق، مختصر العلامة خليل ،مع إضافات الشيخ أحمد طاهر الزواوي،تصحيح محمد محمد تامر،كلية دار العلوم ،ص 94.

[2] ـ"القيد أو التقييد ما جيء به لجمع أو لمنع أو لبيان الواقع" الفتح المبين في تعريف مصطلحات الفقهاء والأصليين ، محمد إبراهيم الحفناوي ط2 ، دار السلام: القاهرة ، 1428هـ/2007 م، ص 263 .

ونصُ ذلك الكلام، قوْلُه أي الزّرقاني في شرح مختصر خليل: « فلا يُنافي ذكرُ اسمَ الله عليه[1]» الخ، هذا الذي أشار له هذا الشّارح من الفرق بين ما ذُبح لصَنم وما ذُبح لصَليب أو عِيسى وهو أنّما ذُبح لصنم ذُكر عليه اسم الصّنم، وما ذُبح لصليبٍ أو عيسى ذُكر عليه اسم الله ، فلذلك كُره فقط ــ غير ظاهرــ لأن ما ذُبح لصليبٍ أو عيسى ، ذُكر عليه اسم غير الله أيضاً، قال في (المدونة : كره مالك أكْلَ ما ذبَحه أهلُ الكتاب لكنائسهم أولأعيَادهم من غير تحريم ابن القاسم: وكذا ما سمّوا عليه المسيح، ولا أرى أنْ يُؤكَلَ ابن المُواز: كره مالك أكْلَ ذلك وليس بالمُحَرّم، إنما المُحرّم ما ذُبح للأصنام.[2]» إنتهى على نقل المُواق.

وقال اللّخمي[3] في (تَبْصِرته): « واختُلِف في شُحوم أهل الكتاب ، فقال مالك فيما أهِلّ

---

[1] ــ شرح مختصر خليل، عبد الباقي الزرقاني، مطبعة محمد أفندي مصطفى: مصر ، ج3/ ص3.

[2] ــ التاج والإكليل لمختصر خليل ، محمد بن يوسف بن أبي القاسم المواق ، ط 3 ، دار الفكر ، 1412هـ / 1992م ،ج3/ ص212.

[3] ــ"أبو الحسن علي بن محمد الربعي من أيمة المالكية الحفاظ، أخذ عن بن محرز والتونسي، ألّف كتاب التبصرة على المدونة ، له فيه اختيارات خرج بها عن المذهب، توفي 478 هـ/1085م" القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ، ط1، دار الكتب العلمية : بيروت، 1998، ج8/ص109.

به لغير الله فذبَحوه لأعيادهم أو لكنائسهم، قال/4و/ في كتاب محمد[1] أو لعيسى أو لميكائل قال: أكرَهُه ولا أحرّمُه ، قال ابن حبيب: وما ذُبح للصّليب بمنزلة ما ذُبح للكنيسة لابأس به، وعلى هذا يجوز ما ذُبح لعيسى أو للصّليب أو لميكائل | قال ابن شهاب |[2]: فيما ذُبح لأعيادٍ تسمّى بها مثل أبي قدّيس حلال لابأس به، وقد أحلّ الله طعام الذين أوتوا الكتاب وقد علِم أنّهم يفعلون ذلك، وقد كرّه ذلك مالك، لقوله سبحانه ﴿ وما أُهِلّ به لغير الله[3]﴾ خِيفَة أن يكون مُراداً بالآية، ولم يُحرِّمه لعموم قوله تعالى ﴿ وطعامُ الذين أوتُوا الكتاب[4]﴾ الآية، وأنْ يكون المُراد غير الكِتَابيّ، والصّحيح أنّه حلال والمُراد بما أُهِلَّ لغير الله بـــه

ما ذُبح على النُّصُب[5] والأصنَام، وهي ذبائح المُشركين، قال أصْبَغ في (ثمانية أبي زيْد)[1]: وما ذُبح على النُّصُب، هي الأصنام التي كانوا يعبدون في الجاهليّة ، قال : وأهل الكتاب

---

[1] ـ "إذا أطلق لفظ محمد في الفقه المالكي فهو محمد بن المواز ، كما جاء في حاشية العدوي على الخرشي ، توفي 269هـ /882م ،صاحب كتاب الموازية ، من أجلّ أمهات الفقه المالكي" الحفناوي، الفتح المبين، مرجع سابق، ص95.

[2] ـ ساقطة من النسخة (ب).

[3] ـ سورة البقرة، الآية 183.

[4] ـ سورة المائدة، الآية 8.

[5] ـ "النّصب: بالضم من نصب ج أنصاب، الشئ المنصوب كعلامة توضع عند حدود أو غاية ما. النصب التذكاري ما رفع من حجارة أو تماثيل تخليدا للذكرى ، أو العبادة، ومنه (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) ،النصب: حجارة حول الكعبة كان أهل الجاهلية يذبحون عليها لغير الله" معجم لغة الفقهاء ،

ليسوا أصحاب أصنام، وأمّا ما ذبَحه أهلُ الكتاب فلا يُراعَى ذلك فيهم ، وقد جعل الله فيهم حُرْمة فأجاز مُناكحتَهم وذبائحَهم لتعلُّقِهم بشيء من الحقّ ؛ وهو الكتاب الذي أُنزل عليهم ولو كانوا كافرين، ولو كان يَحرُم ما ذُبح باسم المسيح ؛ لم يَجُز أن يُؤكَل شـــيء من ذبائحِهم، إلاّ أن يُسْأَلَ: هل سمّى المسيح أو ذبَح للكنيسة؟ بل لا يجوز وإن أخبر أنّه لم يُسمّ المسيح، لأنّه غير صادِق، وإذا لم يَجِب ذلك حلّت ذبائحَهم كيف كانت»انتهى.

وقال في (التّوضيْح)، في قوْل ابن الحاجب: « وما ذُبح لعَيْد أو لكنيسة كُره بخلاف ما ذُبح للأصنَام[2]»، ما نصّه: « قوله لعيد أو لكنيسة، يريد أو لعيسى أو جبريل، بل زاد بن حبيب أو لصليبٍ، ابن المواز: لأن مالكاً خاف أن يكون داخِلاً في قوله تعالى﴿ وما أُهِلَّ به[3]﴾ الآية، ولم يُحَرّمه ؛ لعُموم قوله تعالى﴿ وطعامُ الذين أوتوا الكتاب[4]﴾ الآية

محمد قلعجي ، الطبعة الثانية ، دار النفائس :بيروت، 1408 هـ/1988م ، ج1/ ص481.

[1] ـ"عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن يحي أبو زيد القرطبي،فقيه ثقة أخذ عن يحي بن يحي وأصبغ ،له ثمانية كتب في سؤال المدنيين تعرف بالثمانية ، توفي 258هـ" ترتيب المدارك، ج4/ص257.

[2] ـ توضيح مختصر ابن الحاجب المسمى: جامع الأمهات ، الشارح خليل بن إسحاق صاحب المختصر الفقهي المشهور ، تم تحقيقه من قِبَل عدة باحثين في جامعة أم القرى السعودية، ولا يتم استعماله إلا بالوقوف عليه مباشرة.

[3] ـ سورة المائدة، الآية 8.

[4] ـ سورة المائدة، الآية 8.

والكراهة ظاهر المذهب، وقال سحنون وابن لبابة[1]: هو حرام، ورأى أنّه مما أُهِلّ به لغير الله وأجازه بن وهبٍ من غير كراهة، "ورءاه"[2] من طعامهم، وأما الذّبح للأصنام فلا خلاف في المذهب في تحريمه، نقله ابن عبد السّلام، لأنّه ممّا أُهِلّ به لغير الله.» انتهى

وقال ابن عرفة[3]: « وفيما ذُكر عليه اسم المسيح الكراهة والإباحة لابن الحارث[4] عن رواية ابن القاسم مع رواية أشهب، وعنه قائلا: أباح الله ذبائحهم لنا وعلِم ما يفعلون

---

[1] ـ "أبوعبدالله محمد بن يحي القرطبي ، القاضي أخذ عن عمه ، حافظ للمذهب ،عالم بالشروط ،له المنتحبة في الشروط، توفي 330هـ/ 941م ، وقيل 331هـ/942م " ترتيب المدارك ، ج6/ص86 .

[2] ـ وردت "ورأيه " في (ب) .

[3] ـ" محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، أبو عبد الله : إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره مولده ووفاته فيها ، وكنيته : جمال الدين تولى إمامة الجامع الاعظم سنة 750 هـ/1349م، من كتبه: المختصر الكبير في فقه المالكية لم ينسج أحد على منواله، والمختصر الشامل في التوحيد،و مختصر الفرائض و المبسوط في الفقه سبعة مجلدات والحدود في التعاريف الفقهية" محمد بن جعفر الكتاني سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، تحقيق محمد حمزة بن علي 1426هـ 2005م ،ج2/ص116، أعلام الزركلي، ج7/ ص43.

[4] ـ"أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي، فقيه حافظ أخذ عن ابن اللباد ، له أصول الفتيا على مذهب مالك ، توفي بقرطبة عام

وروى الباجي[1] ومحمد وابن حبيب/4ظ/ كراهة الجميع، وما ذُبح للصّليب من غير تحريم ابن حبيب لأنّه تعظيمٌ لشركهم، وقال ابن القاسم فيما بيع من وصيّة نصرانيّ لكنيسة، لا يحِلّ شِراؤه، ومشتريه رَجُل سوء، ابن حارث : ما ذبحوه للأصنام أو النُّصُب حرام اتّفَاقاً[2] التّونسيّ[3]: الظّاهر أنّ ما ذُبح للصّليب كذلك، إلاّ أن يكون ما ذبح للأصنام لا يُقصَد به ذكاة » انتهى.

وقال في (بداية الحفيد) ما نصّه: « وأمّا المسألة الثّالثة: وهي ما إذا لم يعلم أنّ أهل الكتاب سمّوا الله تعالى على الذّبيحة. فقال الجمهور[4]: تُؤكَل، وهو مرويّ عن عليّ ولست اذكر في هذا الوقت فيه اختلافاً، ويَتطرّقُ إليه الاحتمال، بأن يُقَال أنّ الأصل أنْ لا يُؤكل

361هـ/971م ، وقيل 364هـ/972م" شجرة النور ، ص94 .

[1] ـ "أبو الوليد الباجي، توفي 460هـ/1067م" ترتيب المدارك ، ج2/ص71.

[2] ـ "المراد بلفظ الاتفاق اتفاق علماء المذهب، والمراد بلفظ الإجماع اتفاق جميع العلماء من المالكية وغيرهم" الحفناوي الفتح المبين، ص 108.

[3] ـ"أبو إسحاق النظار إبراهيم بن حسن بن إسحاق المعافري، أخذ عن أبي بكر بن عبدالرحمن وأبو عمران الفاسي،كان مجاب الدعوة، له تعاليق حسنة متنافس فيها على المدونة والموازية، توفي 443هـ/1051م" ترتيب المدارك، ج8/ص58، وشجرة النور، ص108.

[4] ـ "إذا ورد لفظ الجمهور في الكتب التي تعنى بالخلاف داخل المذهب فالمراد به جلّ الرواة عن مالك،وإذا ورد في الكتب التي تعني بالخلاف خارجه ، فالمراد بها الأئمة الأربعة" الحفناوي، الفتح المبين، ص109.

من تَذْكيتهم إلاّ ما كان على شروط الإسلام، فإذا قيل على هذا أن التّسمية من شروطه وجَب ألاّ تُؤكل ذبائحهم للشكّ في ذلك، وأمّا إذا علِم أنّهم ذبحوا ذلك لكنائسهم أو لأعيادهم فإنّ من العلماء مَن كَرّهه وهو قول مالك ، ومنهم مَن "أباحَه"[1] وهو قول أشْهَب، ومنهم مَن حرّمه وهو قول الشّافعي.

وسبَب اختلافهم تعارُض[2] عُمومي[3] الكِتاب في هذا الباب، وذلك أنّ قولـه تعالـى ﴿ وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم[1]﴾ يُحتَمل أن يكون مُخَصِّصاً[2] لقولـه تعالـى﴿ وما

---

[1] ـ وردت بلفظ "أجازه" في (ب) .

[2] ـ"التعارض ويسمى أيضا المعارضة والتناقض عند الأصوليين،وهوكون الدليلين بحيث يقتضي احدهما ثبوت أمر وانتفاء الآخر في محل واحد في زمن واحد ، يشترط تساويهما في القوة ، ولهذا قيل المعارضة تَقَابُل الحجتين المتساويتين على وجه لا يمكن الجمع بينهما ، ثم التعارض لا يقع بين القطعيْن لامتناع وقوع المتنافيين ، ولا يتصور الترجيح فلا يكون إلا بين ظنيين" موسوعة مصطلحات الفنون ج1/ص473 .

[3] ـ "العام : كَون اللفظ مَوضوعا بالوضع الواحد لكثير غير محصور ، مستغرق جميع ما يصلح له ، فقوله موضوعا بالوضع الواحد
يخرج المشترك لكونه بأوضاع الجمع المنكر ، ولكثير يخرج ما يوضع لكثير كزيد وعمرو، وقوله غير محصور يخرج أسماء العدد فإن المائة وضعت وضعا واحدا لكثير وهو مستغرق جميع ما يصلح له ، لكن الكثير محصور" علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم

أُهِلَّ به لغيْر الله[3]﴾ ويُحتَمَل أن يكون قوله تعالى﴿ وما أُهِلَّ به لغيْر الله ﴾ مُخصِّصاً لقوله تعالى﴿ وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم ﴾ إذْ كلٌّ واحِد منهم يَصِحُّ أن يُستَثنى من الأخر؛ فمن جعل قولَه تعالى﴿ وما أُهِلَّ به لغير الله ﴾ مُخصِّصا لقوله تعالى ﴿ وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم ﴾ قال لا يجوز ما أُهِلّ به للكنَائس والأعياد، ومَن عكَس الأمر قال يجوز[4]» انتهى.

وقال في (الشّامِل): « وفي شَحْم اليهود، وما ذُبح لعيْد أو كنيسة أو صليبٍ أو اسم المسيح ثلاثةٌ؛ مَشهوروها[5] يُكرَه » إنتهى.

الابياري، ط1، دار الكتاب العربي : بيروت ، 1405هـ/1985م ، ص188.

[1]ـ سورة المائدة الآية 4.

[2]ـ "الخاص: هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الإنفراد؛ المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ عينا كان أو عرضا، وبانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى ، وإنما قيده بالإنفراد ليتميز عن المشترك" التعريفات، ص 128.

[3]ـ سورة المائدة، الآية 8.

[4] ـ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تنقيح وتصحيح خالد العطار، طبعة جديدة منقحة ، دار الفكر: بيروت، 1415 هـ/ 1995 م، ج1/ص263 .

[5]ـ "قال ابن بشير اختلف العلماء من المراد بلفظ المشهور على قولين: أحدهما أنه ما قوي دليله، والآخر ما كثر قائله، والصحيح أنه ما قوي دليله ، و حكى الدسوقي ثلاثة أقوال : الأول ما قوي دليله فيكون

فهذه نصوصٌ صريحة، في أنّ ما ذُبح لصليب أو عيسى، ذُكر عليه اسم غير الله وقدِ استَشْكَل التونسيّ الفرقَ بينهما، وأشار إلى الجواب بقوله: إلا أن يكون ما ذُبح الخ كما سبَق في كلام ابن عرَفة.

وإيضاحُه قول ابن غازي[1] في (تَكْميله): « قال أبو إسحاق النّظّار: وأما ما ذُبح للأصنام فقال في كتاب محمد إنّه مُحرّم ، لقوله تعالى﴿ وما ذُبح على النُّصُب[2] ﴾ وأما ما ذُبح للكنائس ، أو لعيسى عليه السّلام ، أو للصّليب ، أو لمن مَضى من أحبارهم ، فإنّه

بمعنى الراجح ، والثاني ما كثر قائله وهو المعتمد والثالث رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة" الحفناوي، الفتح المبين، ص113 .

[1] ـ" أبو عبدالله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي الفاسي شيخ الجماعة ، الحافظ الحجة رحل إليه الناس، أخذ عن أيمة منهم القوري والورياغلي ، وأخذ عنه من لا يعد كثرة منهم عبد الواحد الونشريسي وسقين واليسيتني ، تولى رئاسة الفتيا بفاس والإمامة بجامع القرويين،غزير العلم والرواية، له تآليف كثيرة منها: تكميل التقييد وتحليل التقييد كتابان على المدونة، كمّل به تقييد أبو الحسن الصغير ومنية الحساب وفهرسة وغيرها كثير ، توفي جمادى الأولى 919هـ /1513م" التنبكتي أحمد بابا نيل الابتهاج بتطريز الديباج ضبط حواشيه عبد الله الكندري، ط1، دار ابن حزم، 2002، ج2/ص271، والشفشاوني ، دوحة الناشر، ص 46 ، وشجرة النور، ص276.

[2] ـ سورة المائدة، الآية 3.

يُضَاهي ما أُهِلَّ به لغير الله تعالى مما ذُبح للأصنام ، ولكن لم يَبْلغ به /5و/ مالك التّحْريم ، لأن الله تعالى أحلّ لنا طعامهم وهو أعلم بما يفعلون . قال أبو إسحاق: ذكرَ تحريمَ ما ذُبح للأصنام ، ثم ذكر ما ذُبح للصّليب فلم يُحرّمه ، و ظاهر الأمر أنهما سواء إلاّ أن يكون ما ذُبح للأصنام لا تُقصَد به الذّكَاة فيكون حرَاماً علينا كما قال ، وأمّا ما ذبحوه لكنائسهم وأعيادهم فإنّما كرّهه لأنّهم قَصَدوا التعظيمَ ، وهم يأكلونه ويَقصِدون به الذّكَاة » إنتهى.

وفرّق الحطّاب بيْنهما، بأنّ ما ذُبح للأصنام يُقصَد به التبرُّك والتَّقرُّب إليْها، فلذلك حُرِّمَ وما ذُبح لصَليب أو عيسى ونحوه، إنّما يُقصَد به انتفاعُها بذلك فلذلك كُره، والله أعلم إنتهى.

وأخذاً من فرع نقله عن ابن عرفة ونصُّه: « فرع ــ قال ابن عرَفة: ابن حبيب عن ابن شهاب لا ينبغي الذّبح لعوا مر[1] الجانّ لنهْيه صلّى الله عليه وسلّم عن الذّبح للجانّ قلت إن قُصِدِ به اختصاصُها بانتفاعها بالمذبوح كُره ، فإن قُصد به التقرُّب إليْها حُرِّمَ[2]» إنتهى.

وفي ما فرّق به الحطّاب نظرٌ من وَجهيْن:

---

[1] ــ"دارٌ مَعْمورة يسكنها الجن ، وعُمَّارُ البيوت سُكّانُها من الجن، وفي حديث قتل الحيّات : إنّ لهذه البيوت عَوامِرَ فإذا رأيتم منها شيئاً فحَرِّجُوا عليها ثلاثاً والعَوامِرُ الحيّات التي تكون في البيوت واحدها عامِرٌ وعامرة" لسان العرب ، ابن منظور، تحقيق عامر أحمد، ط1 دار الكتب العلمية : ببروت ، 1423هـ/2005م ، ج3/ص564.

[2] ــ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، محمد بن عبد الرحمن الحطاب ، ط 3 ، دار الفكر ،1412 هـ/1992 م ، ج3/ص213.

أحدهما ــ أنّ الذّابح في كلام ابن عرفة مسلّم، وكلامه إنّما هو في حُرمة الذّبح وكراهته كما هو ظاهر، ولا يَلْزَم من حُرمة الذّبح أو كراهته حُرمة المذبوح أو كراهته كما لا يَخفى ، والذّابح في مسْألتِنا كافر.

الثّانـــي ــ أنّ الموضوع في مسألة ابن عرفة واحد؛ وهو الذّبح لعوامر الجانّ فيظهَر قصْدُ الذّابح الانتفاع تارةً ، والتّقرّب أُخرى ، والموضوع في مسألتنا مُختلِف ، وهو الذّبح لصليب أو لعيسى مثلاً و الذبح لصنم ؛ فلا يَظهر قَصْرُ قَصْدِ التبرّك والتقرّب على الذّبح للأصنام ، وقَصْرُ قَصْدِ الانتفاع على الذّبح لصليب أو عيسى، لأنه قد يُعكس ذلك فيُقصَد انتفاع الصّنَم بالذّبح، ويُقصَد التبرّك والتقرّب بالذّبح لصليب أو عيسى، بل هو الذي يَظهَر من فعل النّصَارى لأنهم يعتقدون أُلوهيّة عيسى، فيَتقرّبون إليه بالذّبح، وقد أشار سيّدي عبد الواحد بن عاشر إلى البحث مع الحطّاب.

ولا تصحّ التّفرقة أيضاً بأنّ ما ذُبح لصَنَم ذابحُه مشْرك فلذلك حُرِّم ، وما ذُبح لصليب أو عيسى ذابحُه كِتابيٌّ فلذلك/5ظ/ كُره، لأنّ المسألة مفروضة في ذَبْح الكِتابيّ وأمّا ذبيحة المُشرك فهي حرامٌ مطلقاً من غير تفصيل، فالتّفصيل إنّما هو في ذبيحة الكِتابيّ كما يظهر من كلام خليل وصرّح به شروحُه، وهو نصّ اللّخمي قال: « ذبائح أهل الكتاب تؤكل بثلاثة شروط ، أنْ يكون المُذكَّى مِلْكاً لهم وما يجوز لهم أكلُه ، ولم يُهلّوا به لغير الله » انتهى. فالشّرْط الأوّل في كلامه هو قول خليل: وذِبْح لنفسه ، والثّاني هو قوله: مُستحلَّة ومفهوم الثّالث هو قوله: وذِبْح لصنم، ولا يُقال أهل الكتاب ليْسوا أصحاب أصنام، إنّما الأصنام للمشركين، لأنّا نقول لا مانع من كَوْن أهل الكتاب قد يكون لهم صَنم، كما يدلّ لذلك قول ابن عطيّة[1] في تفسير الآية: « وقوله ﴿ وما أُهلَّ به لغيْر الله[1]﴾

---

[1] ــ "ابن عطية (481 / 542 هـ = 1088 / 1148م) ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحـــاربي ، من محـــارب قيـس الغرناطي أبو محمد : مفسر فقيه ، عارف بالأحكام والحديث ، له شعر، ولي قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين وتوفي

يَعني ما ذُبح لغيْر الله تعالى وقُصد به صنَم أو بَشَر من النّاس، كما كانت العرب تفعل وكذلك النّصارى، وعادة الذّابح أنْ يُسمّي مَقصوده ويَصيح به، فذلك إهلالٌ له[2]»انتهى والنّصارى من أهل الكتاب، وأقربُ ما يُفرّق به بيْن المسألتين ما ذكره أبو إسحاق التونسيّ فيما سبَق والله أعلم.

وتُوفيّ رحمه الله في شوّال، سنة ستّ وثلاثين ومائة وألف.[3]

[ترجمة شيخه أبي علي الحسن بن رحّال المَعْدَاني]

وأمّا الفقيه الحافظ العلاّمة الإمام الأجلّ أبوعلي سيّدي الحَسَن بن رحّال المَعدَاني فكان رحمه الله فقيهاً علاّمة، حافظاً للمذهب، كثير الاطِّلاع على مسائله والاستحضار لها مشارك في الفنون، مداوِماً على قراءة (مختصر الشيْخ خليل) كثير الاستحضار له يضرب أوّله بآخره، واسِع الصّدر، حَسَن الخُلُق، يمازح الطّلبة ويصابرهم في المُباحثة ومن تكلّم منهم في مجلس الإقراء ببحث أنصَت له، وأجابه على مقتضى بحثه إن أمكنَ ويُباحث شروحَه وحواشيه، ويَنْتَقِد على الفُحول منهم كالإمام الحطّاب، و الأجهوري

بلورقة له : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، في عشر مجلدات ، وبرنامج ذكر فيه مروياته وأسماء شيوخه" أعلام الزركلي، ج3/ص282 .

[1] ـ سورة البقرة الآية 183 ، والتفسير الوارد هو لآية (وما أهلّ لغير الله به) سورة المائدة، الآية 3.

[2] ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد ط1، دار الكتب العلمية : بيروت، 1413هـ/1993م ، ج2/ص240.

[3] ـ يوافق عام : 1723م.

والشيْخ أحمد الزّرقاني[1] وغيرهم، وله حاشية كبيرة على (مختصر الشيْخ خليل) وشرحه للخُرَشي، تدلّ على كثرة إطّلاعه وسعة حفظه، أكثَرَ فيها من النُّقُول الصّحيحة والأبْحاث النّفيسة مع الشّارح المذكور وغيره كالأجهوري، وكان رحمه الله يُباحِث هؤلاء المتأخرين من الشّروح كثيراً في تقرير[2] كلام المؤلِّف، ويَعْترض/6و/عليهم.

[مناقشة فقهية في مسألة الحَضَانة والحَاضِن]

وقد قرّر مرّة قوْل المؤلّف في الحضانة: «وللحاضن قبضُ نفقته، والسُّكنى بالاجتهاد[3]» تقريراً حَسَناً بما يُعضِّده من النّقول، وأعترض تقرير الزّرقاني ومَتْبوعه فلأجل ذلك قيّدتُ في المسألة ما نصُّه:

قوله والسُّكنى بالاجتهاد: يعني أنّ الحاضنة لها على أبي المحضون السّكنى أي للمحضون، وأمّا لها فعليها كِرَاء ما يَنوبُها لا على الأب، هذا هو المشهور وهو مَذهب المُدَوّنة، وقوله بالاجتهاد: أي إذا مررنا على المشهو، من أنّ ما يَنُوب الوَلد من السُّكنى على الأب، وما يَنُوب الأمّ عليها، فإنّ ذلك يكون بالاجتهاد عند سحنون، أي يجتهد الحاكم فيما يَنُوب الحاضِنة والمَحْضُون من كراء المَسْكن، فما يَنُوب الحاضِنة عليها، وما يَنُوب المَحضُون على الأب، كذا نقل الشيْخ عبد الرّحمن الأجْهُوري[4] عن أبي الحَسن، وقال يحي

---

[1] ـ "أحمد بن محمد الزرقاني المالكي ، كان حيا 965هـ / 1558م ، له حاشية على قواعد الإعراب لابن هشام " معجم المؤلفين، ج1 / ص264.

[2] ـ "التقرير: مصدر قرر الثبوت والرسوخ ، ج تقارير الموافقة ومنه: التقريرات التي تثبت على الحواش" محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء ج1/ص140.

[3] ـ خليل، المختصر، ص 173.

[4] ـ"أبو زيد عبد الرحمن بن علي الأجهوري الفقيه أثنى عليه الشعراني في طبقاته ، أخذ عن الفيشي واللقانيين ،تخرج به جماعة منهم البدر القرافي ، له

بن عمر[1]: على قدر الجَماجم، أيّ فإن كان المحضون واحد فعليه النّصف وعلى الحاضنة النّصف، وإن كان اثنيْن فعليهما الثُّلثان وعليها الثّلث وهكذا فكلام سحنون ويحي بن عمر، ليس مُخالفا للمدوّنة كما سيأتي، وإن كان المُصنِّف شَهّر قوْل سحنون، كما أشار له بقوله بالاجتهاد، أيّ لا على الجماجم خلافاً ليحي بن عمر.

قال المَتيطيّ[2]: « ويَلزم الأب كراءَ مَسكنه: أي ولده المحضون، على مذهب المُدَوَّنة وعليه العمل، وقال ابن القاسم وابن وَهْب لا سُكنى على الأب. وقال في (الدِّمياطيّة)[3]:

حاشية على المختصر ، توفي 957 هـ/1550م " شجرة النور، ص 280.

[1] ـ "يحي بن عمر بن يوسف البلوي الكناني المالكي ،فقيه محدث حافظ من أهل جيان،سكن القيروان ،واستوطن سوسة،من تآليفه : اختلاف ابن القاسم وأشهب ، والسراط ، والرد على الشافعي ، والميزان ، والنظر إلى الله عز وجل ، مولده 213 هـ/ 828 م ووفاته 289 هـ /901 م" ترتيب المدارك ، ج1/ص330 ، ومعجم المؤلفين ، ج4/ص108.

[2] ـ "أبو الحسن علي بن عبدالله المتيطي الأنصاري،فقيه موثّق أخذ عن أبي الحجاج وعبدالله بن القاضي ،ولي القضاء، له كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام يعرف بالمتيطية ، توفي 570هـ/1174م" شجرة النور، ص163، واصطلاح المذهب،ص337.

[3] ـ" تأليف لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الدمياطي ، روى عن مالك وتفقه بكبار أصحابه كابن وهب وابن

عليه من السّكنى بقدر مَناب الولد. قال يحي بن عمر: والتّوزيع على الجماجم. وقال سحنون: على قدر ما يرى الحاكم وروى أيضاً لاشيء على المرأة إذا كان أبوه مُوسراً» صحّ منه. فما في (الدّمياطيّة) قريب ممّا في (المُدَوَّنة)، وعليه فرّع قوْليْ سحنون ويحي بن عمر وسيأتي ذلك عن (التّوضيح) أيضاً.

وقال في (الجواهر)[1]: « الفصل الثالث ــ في المستحَقّ للمحضون الفقير، على أبيه المَلي وذلك ما يأكله ويشربه ويفتقر إليه من غُسل ومُؤَنٍ، والرّجوع في تقدير ذلك إلى العوائد كما تقدّم، والنّظر في قدْر يُسْر الأب وعُسرهِ ، ويَلزم/6ظ/ إخدامُه إذا كان يليق بمثله وقيل لا تلزم الخدمة، وكذا الخلاف في السُّكنى والمشهور وجوبها للحاجة إليها ورأى في الشّاذ[2] أنها تبع ، ويتفرّع عن المشهور فرعان:

الأول ــ هل تلزم أجرة جميع المنزل أو ما يَنُوب الولد في ذلك قولان.

القاسم ، له مؤلفات ، توفي 226هـ / 840م" شجرة النور، ص59 .

[1]ــ عنوان الكتاب كاملا : " كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، لأبي محمد عبد الله بن نجم ابن شاس الجذامي جلال الدين السعدي المصري، الإمام شيخ المالكية ، توفي غازيا بثغر دمياط جمادى الآخرة أو في رجب 610هـ/1213م وقيل616هـ/1219م " محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط1 ، مؤسسة الرسالة : بيروت 1409هـ/1988م ،ج22/ص98. شجرة النور،ص165.

[2] ــ"الشاذ :ج شذاذ وشواذ،ما خالف القاعدة أو القياس أو المألوف،القول الشاذ:القول الذي خالف فيه صاحبه أقوال سائر الفقهاء" محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ج1/ص255.

الفرع الثاني ــ وهو مرتب على الأول، إذا قلنا الواجب ما يَنُوب الولد فهل بقدر الانتفاع، أو على عدد الرّؤوس، فيه قولان أيضاً » صحّ منه.

وقال في (التوضيح): « قال في (المقدمات): ومَن رأى أن ذلك ــ أي الحضانة ــ من حقّها لم ير لها سُكنى، ومَن رأى أن ذلك من حقّ المَحضون، رأى لها كراء المَسْكن على الأب خليل، وفيه نَظَر، لأن المشهور أن الحقّ للحاضنة والمشهور أنّ على الأب السُّكنى |وهو مَذهب (المُدَوَّنة) خلافاً لابن وهب وعلى المشهور فقال سحنون: تكون السُّكنى على حسب الاجتهاد ونحوه لابن القاسم في(الدّمياطيّة)، وهو قريب مما في (المدوّنة) وقال يحي بن عمر: على قدر الجماجم وروى لاشيء على المرأة ما كان الأب مُوسراً وقيل أنها على المُوسِر من الأب والحاضنة، و حكى ابن بشير[1] قولاً بأنّه لاشيء على الأم من السّكنى ورأى اللّخمي أنّ الأب إن كان في مَسكن يملكه أو بكراء، ولو كان ولده معه لم يُزَد عليه في الكراء إلاّ شيء عليه، لأنه في مندوحة[2] عن دفع الأجرة في سكناه وإن كان يُزاد عليه في الكراء أو عليها هي لأجل الولد، فعليه الأقلّ مما يزاد عليه أوعليها لأجله فإن كان ما يزاد عليها أقل أخَذتْه لأنه القدر الذي أضرّ بها، وإن

---

[1] ــ "أبو عبد الله محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل، روى عن مالك وعنه جماعة،قاضي الجماعة بقرطبة، توفي 198هـ / 813م " شجرة النور، ص63 .

[2] ــ "المندوحة : بفتح فسكون المتسع من الارض والفسحة ، ومنه ليس له مندوحة من الأمر ، أي: ليس له منه فسحة أو رخصة.."
محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ج1/ص464.

كان ما يُزاد عليه أقلّ عَزَمَه لأنّه مما لم يكن له بدٌّ لو كان عنده، وفي (الطّرر)[1] : ولا سكنى للرّضيع على أبيه مدّة الرّضاع، فإذا خرج من الرّضاعة كان عليه أن يسكنه خليل، ولا أظنهم يختلفون في الرّضيع»انتهى كلام (التوضيح).

ونص كلام (الطّرر) لابن عات على نقل شيْخنا أبي علي حفظه الله: «ولا سكنى للرّضيع على أبيه مدّة الرّضاع، حتى يخرج من الرّضاع، وحينئذ تكون عليه السُّكنى، لأن مَسْكَن الرّضيع مدّة الرّضاع، إنما هو حجر أمّه في الغالب، وقيل له كراء ما يَنُوبُه من المَسْكن الذي سكنه مع أمّه، ذكره/7و/ ابن سهل[2]»انتهى.

وقال ابن عرفة: « اللّخمي للأم الحاضنة الفقيرة النّفقة على ولدها اليتيم ، فإن كانت مُوسِرة فقال مالك لا نَفَقة لها ، وقال مرّة هي لها إن قامت عليهم ، وقال أيضاً تنفق بقدر حضانتها إن كان لابد لّهم من حاضن، فجعل لها في هذا القول الأجرة دون النّفقة، وأرى إن تأيّمَت لأجلهم، وهي القائمة بأمرهم، كان لها النّفقة، وإن زادت على الأجرة، لأنها لو تزوّجَت أتى من ينفق عليها، وإن لم تتأيّم لأجلهم|[3] وهي القائمة بأمرهم، كانت لها الأجرة

---

[1]ـ عنوان الكتاب كاملا : "الطرر على الوثائق المجموعة لابن فتوح ، لصاحبه أحمد بن هارون بن عات توفي 609هـ/1212م" اصطلاح المذهب، ص342.

[2]ـ "أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي القرطبي ، أخذ عن ابن عتاب وابن القطان ، ولي القضاء ، كان يحفظ المدونة والمستخرجة ، له الإعلام بنوازل الحكام ، توفي 486 هـ/1093م" ترتيب المدارك ، ج8/ص182.

[3] ـ مابين الخطين ساقط من نسخة (ب) بقدر ورقة ، وهي الورقة 08 .

وإن كانت دون نفقتها، وإن كان لهم مَن يخدمهم أو استأجرت من يخدمهم وإنما هي ناظرة لهم فلا شيء لها.

وفي أجرة سكنى الولد أربعة: فيها على الأب السُّكنى يحي بن عمر، السّكنى على قدر الجماجم، قال وروي أيضا لا شيء على المرأة في يسر الأب سحنون، ذلك عليها ليس نصفين بل على قدر ما يرى ويجتهد، وأرى إن كان الولد لا تزيد سكناه على من يسكن معه من أب أو حاضن، فلا شيء على أبيه، وإلاّ فعليه الأقل مما يزيد على أحدهما واختلف في خدمته، ففيها إن كان لابدّ لهم من خادم لضعفهم عن أنفسهم والأب يقوى على إخدامهم أخدمهم، ولابن وهب لا خدمة عليه، و به قضى أبو بكر على عمر[1]، وأرى أن يعتبر في الخدمة مثل ما تقدّم في الإسْكان، وعليه في غطاء الوَلد و وِطائه وقتَ مَبيته مع

---

[1] ـ يقصد به ما روي في الموطأ، باب ما جاء في المؤنث من الرجال ومن أحق بالولد: "حدثني مالك عن يحيى بن سعيد انه قال سمعت القاسم بن محمد يقول: كانت عند عمر بن الخطاب امرأة من الأنصار فولدت له عاصم بن عمر ، ثم إنه فارقها فجاء عمر قباء فوجد ابنه عاصما يلعب بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة ، فأدركته جدة الغلام فنازعته إياه، حتى أتيا أبا بكر الصديق فقال عمر ابني، وقالت المرأة ابني، فقال أبو بكر خل بينها وبينه ، قال فما راجعه عمر الكلام ، قال وسمعت مالكا يقول : وهذا الأمر الذي آخذ به في ذلك" رقم الحديث1458، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، الموطأ ، رواية يحي الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي: مصر ، ج1/ص767.

أمّه ، قَدْر ما يَنُوبه ، وأن كانوا بمَعْزل عنها، أو بَلَغوا حَدّ ما لا يَبيت الوَلد معها مُتعرّياً فعليه ما يكفي الوَلد منفرداً» انتهى، وفيه زيادة فائدة على ما نحن بصَدَده وهي مسألة الإخدام والله أعلم.

وتوفي شيْخنا المذكور أبو علي رحمه الله ، سنة أربعين ومائة وألف[1].

[ترجمة شيخه أبي عبدالله سيّدي العربي بن أحمد بُردلة]

وأمّا العلامة المحقق الفقيه القاضي الأعْدَل، أبو عبدالله سيّدي العربي بن أحمد بَرْدَلة فكان رحمه الله محققاً نظّاراً، حَسَن الكلام على المسائل، عارفاً بوجوه الاستنباط[2] منها مبرزاً لخباياها، وكان قليل الإقراء، مُغلق العبارة ، قلمُه أفصح من لسانه.

[مسألة كلامية في تأثير القدرة]

وقد سألته عن مسألة استشكلتُها حين مُراجعتي لمسائل أبي العباس بن زكري[3] في(محصل المقاصد) .

---

[1] ـ يوافق عام : 1727م.

[2] ـ"الاستنباط: "استخراج الماء من العين، من قولهم: نبط الماء إذا خرج من منبعه، واصطلاحاً: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة" التعريفات ، ج1/ص6 .

[3] ـ" أحمد بن محمد بن زكري: الفقيه الأصولي المنطقي، من أهل تلمسان نشأ يتيما، أخذ عن ابن زاغو ومحمد بن العباس، كان مشتغلا بالعلم والتدريس يكرر المسألة ثلاثة أيام حتى يفهمها الخاص والعام، من كتبه

ونصّ السؤال والجواب عَقِبَه، بعد الحمد لله : سيّدي حَرَص الله بدْرَكم من الأفول ومَنَع سَيْف نِضاله/7ظ/ من الفلول، أبقاكم الله لأقفال الغوامض مفتاحاً، و لدَيَاجي لَيْل المشكلات مِصْباحاً، هاأنا ببابكم ملتمِس، ومن نُور ضَوْئكم مُقتبِس جوابَكم عن مَعنى قَول ساداتنا المُتكلِّمين، أن تأثير القدرة[1] للفاعل المختار، متوَقّف على مُرجِّح[2] هو القدرة

مسائل القضاء والفتيا، و بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، ومنظومة في علم الكلام نيف 1500 بيت، سماها محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد وغيرها ،توفي899هـ وقيل900هـ/ 1493م" محمد بن محمد بن مريم التلمساني ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب المطبعة الثعالبية 1336هـ/1908م، ص 38. وأعلام الزركلي، ج1/ص231.

[1] ـ "القدرة صفة تؤثر تأثيرا وفق الإرادة، فخرج ما لا يؤثر كالعلم إذ لا تأثير له وإن توقف تأثير القدرة عليه، وكذا خرج ما لا يؤثر لا وفق الإرادة كالطبيعة للبسائط العنصرية" موسوعة مصطلحات الفنون، ج2/ص1234.

[2] ـ"الترجيح لغة :زيادة الموزون تقول رجحت الميزان ثقلت كفته بالموزون،ورجحت الشيء بالتثقيل فضلته،وعرفا تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر، وعبّر بعضهم بزيادة وضوح في أحد الدليلين ، وبعضهم بالتقوية لأحد المتعارضين، أو تغليب أحد المتقابلين" المناوي التعاريف، ص170.

ومُخصِّص هو الإرادة[1]، ذكَــروه جواباً؛ عن قول الحكماء[2] بتأثير العلّة[3] ونَفي الاختيار[4] وأنّ تأثير القُدرة في الوجود بدلاً عن مقابله والعكْس إن لم يتوقّف على مرجِّح لأحد الطّرفين لَزِم تَرجيح أحدهما على الأخر من غير مُرجّح، وإن توقّف على مرجِّح فعند

---

[1] ـ"الإرادة صفة توجب للحي حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه،وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم فإنها صفة تخصص أمرا ما لحصوله ووجوده ، كما قال الله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهي ميل يعقب اعتقاد النفع"الجرجاني التعريفات، ص30 .

[2] ـ"الحكيم اسم يطلق على صاحب علم الحكمة ، وعلى صاحب الحجة القطعية المسماة بالبرهان ،جمعه حكماء" موسوعة مصطلحات الفنون، ج1/ص701.

[3] ـ"العلة لغة: اسم لعارض يتغير به وصف المحل بحلوله لا عن احتياره، وقيل هي مستعملة فيما يؤثر في أمر سواء كان ذاتا أو صفة وهي الخارجة على الشيء المؤثرة فيه" موسوعة مصطلحات الفنون ،ج2/ص1208.

[4] ـ "الاختيار: لغة الإيثار، ويعرف بأنه ترجيح الشيء وتخصيصه و تقديمه على غيره ، وهو أخص من الإرادة " موسوعة مصطلحات الفنون، ج1/ص119.

وجوده وانتفاء المانع إن أمْكَن التّرْكُ؛ عاد التقسيم في تحقيق الوجود دون العَدَم وتَسَلْسَل[1] وإن لم يمكن صار الوجود حَتْماً، وخرج عن كونه بالاختيار، وأجاب الآمدي بقوله: هو متوقِف على مُرجِّح هو القدرة، ومُخصِّص هو الإرادة » هذا نص ابن عرفة في (الشّامل).

فما معنى كَوْن تأثير القدرة يتوقف على مرجِّح هو القدرة ؟– مع أنها لا يُعْقَل منها سِوى التأثير، صلاحيةً أو تَنْجيزاً– فإن كان مراده بالمُرجِّح هذا لم يجد شيئاً بل ويَلْزَم عليه الدُّور[2]، وأيضاً فإن الفاعل المُختار لا يُفهَم من كَوْنِه مُختاراً إلا أنّه له أن يَفعلَ الأشياءَ من غير مُرجِّح ، كما قال الإمام الفخر كالهارب من السّبع إذا عَرَض له طريقان مُتساويان، والعطشان إذا وجَد قَدْحَيْن متسَاوِيَيْن، وهو ظاهر وإن أشار ابن أبي الحديد[3] إلى ردّه واختيار مقابله، وإن كان مرادُه غير ما تقدّم فلم نفهمه، أجيبُونا ولكم الأجر.

---

[1] ـ "التسلسل : مطلقا هو ترتب أمور غير متناهية عند الحكماء وكذا عند المتكلمين" موسوعة مصطلحات الفنون ، ج1 /ص428.

[2] ـ"الدور لغة: الحركة وعود الشيء إلى ما كان عليه ، والدور هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر ، وقالوا : الدور يستلزم التسلسل" موسوعة مصطلحات، ج1/ص811.

[3] ـ"الحسين بن أبي الحديد أبو حامد عز الدين، عالم بالادب من أعيان المعتزلة ، له شعر جيّد واطلاع واسع على التاريخ ، ولد في المدائن وانتقل إلى بغداد ، وخدم في الدواوين السلطانية، له شرح نهج البلاغة و الفلك الدائر على المثل السائر و نظم فصيح ثعلب و القصائد السبع العلويات ، و العبقري الحسان في الادب، و شرح الآيات البينات

الحمد لله، الجواب والله الموفق سبحانه: أنّ كلام الإمام الآمدي لابُدّ من تأويله ليُوَافق كلام الجماعة ، كما أوّلوا كلام الإمام الفخر الذي هو قريب من كلام الآمدي، قال المُحقّق سَعْد الدّين في شرح مقاصده في الجواب عن شُبهة الحكماء المذكورة ما نصّه: «لا نُسلّم، أنّه لو افتقر تعلّق القدرة إلى مُرجِّح، لزم التّسلسُل لجواز أن يكون المُرجِّح هو الإرادة التي تتعلّق بأحد المتساويَيْن لذاتها، كما في اختيار الجائع أحد الرّغيْفيْن والهارب أحد الطريقين، ولا يَخْفى أن هذا أوْلى مما قال في (المواقف) اقتداء بالإمام، أن القدرة تتعلّق لذاتها [1]» انتهى بحروفه.

ومُقتضاه أن الإمام العَضُد صاحب (المواقف)، اقتدى بالإمام الفخر فعبّر بتلك العبارة وأن أوْلى منها ما عبّر به هو ــ أي السّعد ــ وقد أشار السيّد إلى ارتضاء تأويل السّعد بما يزيده وُضوحاً، فقال/8و/ في (شرح المواقف) ما نصّه مُختلطا بكلام الأم:« والجواب: نَختار أن تعلُّقَها بأحد المَقْدورَيْن إنّما هو لذاتها لا لأمر خارجي ، وليس يحتاج تعلّق إرادة المُختار بأحد مَقدوريْه إلى داعٍ كما بَيَّنا في طريقَيْ الهارب وقدحَيْ العطشان.[2]» انتهى.

فالمُحقق السّعد جعل ما قرّره من أن المُرجِّح هو الإرادة: هو ما أراده صاحب (المواقف الذي اقتدى بالإمام، أي فالإمام إنما أراد ذلك أي ما صرّح به السّعد، وأشار إليه صاحب (المواقف)، وبيّنه شارحه السيّد بما هو مُوَافق لكلام السّعْد، فهؤلاء الثّلاثة

للفخر الرازي توفي ببغداد" أعلام الزركلي، ج3/ص289.

[1] ــ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام ،دار المعارف النعمانية : باكستان، 1401 هـ/ 1981م، ج 2/ص82.

[2] ــ علي بن محمد الجرجاني السيد ، شرح المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، ط1 ، دار الجيل : بيروت ، 1997م /1417هـ، ج3/ ص175.

الذين انتهت إليهم رياسة التّحقيق؛ العَضُد والسّعْد والسّيِّد ، كلهم أشاروا بل صرحوا أو كادوا إلى أن مراد الإمام أن المُرجِّح حقيقة إنما هو الإرادة ، لكن لمّا كانت القدرة تابعة لها كما هو معلوم ، قال في (المراصد)[1]:

بحر الرجز

ثم هُنا تَرتُّبٌ عَقــلــيٌّ بين الصِّفاتِ أمرُه جَلِيٌّ

فتتبعُ القدرة للإرادة الخ، نسب ما للمتبوع الذي هو الإرادة ، للتّابع الذي هو القدرة ، وبهذا التأويل القريب الذي رفع المَلامَة عن الإمام وردَّه لمذهب الجماعة السديد، يَسْقطُ جميع ما أوْرَدوه على ظاهر عبارته، وما شنّعَ وأطْنَب به ابن أبي الحديد، ثم إذا انتهَيْنا إلى هنا فكلام الإمام الآمدي قابل لِأنْ يُتكلَّف له، مِثْلَ ما أجْرَوه في كلام الإمام الفخر، مما مَرجعه إلى التّسَاهُل في العبارة، وأقرب من ذلك أن يعنى بالتّرجيح المنسوب للقدرة المظهر لذلك حتى يكون معنى كونها مُرجِّحة أي مُظهرة للتّرجيح، أي هي بتعلُّقها التّنْجيزي مُظهرة لترجيح الممكن بالوجود مثلا عن العدم، أو يُحال خاصّة عن مُقابلها، وذلك أنّ ما خصّصَتْهُ الإرادة أزلاً، أي تعلّقت به تعلُّقاً تنجيزيّاً، هو مُرجَح ومُخَصَّص بها، لكنّه غَيْبٌ عنّا نُجَوِّزه نحن ونُجَوِّز مُقَابلَه، وتعلُّق القدرة التّنْجيزي به على ذلك الوجه المُرجَّح المُخصَّص أزَلاً ــ الذي هو صدور الأثر المُسمّى بصفة الفعل ــ كما قال ابن زكري:

بحر الرجز

وَصِفَةُ الفعل صُدُور الأثَر عن قُدرة الله العظيم القَدر

---

[1] ــ" مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد ، منظومة في 646 بيت، لأبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي، توفي 1052هـ/1642م " فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة الرباط، القسم الثاني ، عبد الله الرجراجي، ط2 ، منشورات الخزانة 1421هـ/ 2001م ، ج1، ص146.

هو الذي أظهر لنا حال تخصيص الإرادة التّنجيزي القديم، الذي رجّح به أحد طَرَفَيْ المُمكِن عن مُقابله ، فحال المُمكن، من إماتة وإحياء، وعُسْر ويُسْر، وتقلُّبُ أحوالٍ ، قبل ظهوره مَجْهول عندنا، نُجوِّز وُقوع شيء من ذلك أو وقوع مُقابِلِه فأحَدُ الجائزَيْن مُرَجَّحٌ أزَلاً/8ظ/ بالوقوع على مقابله، والقدرة بتعلُّقها التّنجيزيّ تُظهر ذلك، فالأحكام الظاهرة جارية على ما رجّحته القدرة بتعلُّقها التّنجيزيّ، فإن صدَر عنها بخصُوصه دون مقابله لكن بحسَب الحقيقة؛ الإرادة هي التي خصّصته أوّلاً ورجّحته على مقابله والقدرة جارية على وِفقها، فأظهرته وأبرزته.

وربّما يُشير لما أطْنَبْنا في تقريره ما ذكره في (القوت) مما نصّه: « الإرادة أظهَرتْ علمَه ونقذته في معلومات الخلق، والقدرة نقذت الإرادة[1]»انتهى. أي نقذتْ حُكمَها بتعلُّقِها بالإيجاد ، لإظهار ما خصّصَتْه الإرادة ، ومن هذا المَعنى قول الشّيْخ زرّوق: القدرة إنما تتعلق بالجائز المُستحَقّ وقوعُه.

أقول: مراد الشّيْخ زرّوق أي بالنّظر لِما تعلّقَت به الإرادة تَعلُّقا تَنجيزياً، وبحَمْله على ذلك، يُجاب عن البحث معه الواقع من شيْخ شيوخنا أبي زيْد[2]، في حاشيته على (شرح الصّغرى)، والله سبحانه أعلم بالصّواب، وكتب عُبيد ربّه العربي ابن أحمد بُرْدَلة، كان الله له.

---

[1]ـ أبو طالب المكي محمد بن علي الحارثي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد ، تحقيق سعيد سيب مكارم ، دار صادر : بيروت ، 2004 ، ج1/ ص182.

[2] ـ يقصد بها"حاشية أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي ، توفي 27 ربيع الأول ، 1036هـ /1723هـ ، مخطوط" فهارس الخزانة الحسنية بالرباط ، محمد العربي الخطابي ، الرباط ،1405هـ/1985م ، ج3/ص128.

وله رحمه الله أجوبة كثيرة في كلّ فنٍّ تدلُّ على تحقيقه و براعته، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف[1].

[ترجمة شيخه أبي عبد الله سيدي محمد بن زكري]

وأما الفقيه الصالح العلامة النّحوي، أبو عبد الله سيّدي مَحمد بن زكري، فكان رحمه الله عالماً فاضلاً نحوياً فصيحاً، عالماً بالعربية وأسرارها، جامعاً بين الطريقة والحقيقة مداوماً على إقراء كُتُب أهل الطريقة الصّوفية، ويُكثر من إقراء(حكم بن عطاء الله) مُدَاوماً عليه في الغالب، ويقرأ مع ذلك دروسا في الفقه وغيره من تفسير وحديث وعربية وأصول، مع تواضع فيه رحمه الله تعالى.

[مناقشة نحويّة موضوعها "واو الحال"]

وقد باحثته ذات يوم في صِغَري في مَجلس الدّرس حين كنّا نقرأ عليه (الرسالة) عند قوله فيها: « ونِكاح التّفويض[2] جائز أن يعقِداه ولا يذكران صَدَاقاً[3].» فقرّرَ أن الوَاو

---

[1] ـ يوافق عام : 1720م.

[2] ـ" التفويض التّسليم وترك المنازعة ، ومنه المفوضة وهي التي فوضت بضعها إلى زوجها أي زوجته نفسها بلا مهر ، كذا في المغرب وقال الجوهري : فوض إليه الأمر أي رده إليه ، والتفويض في النكاح التزويج بلا مهر" أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، قاسم القونوي ، تحقيق أحمد الكبيسي ، ط1، دار الوفاء : جدة ، 1406هـ ، ص158.

[3] ـ الرسالة، محمد بن أبي زيد القيرواني أبو عبد الله، ضبطه عبد الوارث محمد علي،(دط)، دار الكتب العلمية : بيروت، (دت)،ص67.

في قوله "ولا يذكران صَدَاقاً" وَاو الحَال، والفعل المضارع بعدها في مَحلِّ نَصْبٍ على الحال، وليْست الوَاو للعطف، على قوله "أن يَعقِداه" إذْ لو كانت للعَطف لوَجَب حَذف النّون من قوله يذكران، كما حُذِفت من المعطوف عليه وهو يَعقِداه، لأن المعطوفَ على المنصوب يُنصَب وُجوباً.

فأوْرَدْتُ عليه أنّ هذه الجملة لو كانت حالاً لوَجَب حذف الوَاو منها، لأنّ الفعل المضارع المَنفي بلا إذا وقَع حالاً يجبُ أن لا يَقترن بالوَاو، نحو قوله تعالى ﴿ ومَالنا لا نُومِن بالله[1] ﴾ فأجاب بَدِيهة بأن مجيء الوَاو هُنا على رأي مَن جعل تَرك الوَاو/9 و/ قبل لا أكثرياً فقط لا كلّياً ، وأنشدَ على ذلك قول الشاعر:

بحر الوافر

..... وكنت ولا يُنَهْنِهُني[2] الوعيد[3]

وهو جواب حَسَن والله أعلم ، وهذا رأي بدر الدّين بن مالك.

[مناقشة مَنْطِقيّة موضوعها "أو" في الحدود]

---

[1] ـ سورة المائدة ، الآية 84 .

[2] ـ "النَّهْنَهَةُ الكَفُّ تقول نَهْنَهْتُ فلاناً إذا زجرته فَتَنَهْنَهَ أي كففته فَكفَّ ، كأن أصله من النَّهْي " لسان العرب ، ج13/ص550.

[3] ـ صدر البيت: * تفانى مصعب وبنو أبيه* ؛ "والبيت لمالك بن ربيعة في شرح التصريح والمقاصد النحوية ، وبلا نسبة في شرح الأشموني" إميل بديع يعقوب ،المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، دار الكتب العلمية، ط1 : بيروت لبنان ، 1413هـ/ 1992م ، ج1/ ص230، وصدر البيت على حاشية المخطوط المحقق: "وقادوا من دمي وتوعّدوني."

وفاوَضته ذات يوم في أوْ التي ذكَر المَنَاطِقةُ أنّه لا يجوز الإتيان بها في الحدود[1] ويجوز الإتيان بها في الرّسوم[2]، ما هي من أنواع أوْ؟ فلم يُجِبْني بمُقْنِع، وقد كنت قيّدْت في المسألة ما نصّه، قوله أي صاحب (السّلم):

بحر الرجز

ولا يجوز في الحدود ذِكْرُ أوْ[3] .....

---

[1] ـ "الحد لغة : المنع ونهاية الشيء ، وعند الأصوليين ما يميز الشيء عن غيره ، وهو ثلاثة أقسام لأنه : إما إن يحصل في الذهن صورة غير
حاصلة أو يفيده تمييز صورة حاصلة عما عداها ، الثاني حد لفظي والأول إما إن يكون بمحض الذاتيات ؛ وهو الحدّ الحقيقي لإفادته حقائق المحدودات فإن كان جميعا فتام وإلا فناقص ، وإما أن لا يكون كذلك فهو الحد الرسمي" موسوعة مصطلحات الفنون ج1/ ص624.

[2] ـ "الرسم في اللغة : العلامة ، وعند المنطقيين قسم من المعرّف مقابل للحد ، منه تام وناقص ؛ التام ما يركب من الجنس القريب والخاصة ، كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك ، والناقص يكون بالخاصة وحدها أو بها والجنس البعيد أو بالأعراض" موسوعة مصطلحات الفنون ، ج1/ص861.

[3] ـ رقم البيت 49 وعجزه "وجائز في الرسم فادْرِ ما روَوا" متن السلم المرونق، عبد الرحمن الأخضري، مطبعة الأزهر: مصر، 1931م.

الظاهر أن موضوع أوْ هذه، التي صرّحوا بجواز الإتيان بها في الرّسوم دون الحدود الحقيقيّة هي التقسيميّة، وقد صرّح صاحب (المُغني) أن التّحقيق أنّ أوْ مَوضُوعة لأحد الشّيْئَيْن أو الأشياء، ونقله عن المُتقدِّمين، واقتَصر عليه غيره من المتأخرين، مَثَلاً إذا قلت جاء زيد أو عمرو، فالمجيئ تعلّق بأحدهما فقط، وحينئذٍ فالإتيان بأوْ في الحدود الحقيقيّة يقتضي أن النّوع[1] الواحد يكون له فصلان[1] على سبيل البَدَل، إذ

---

[1] ـ"النوع : اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص، والنوع الإضافي هي ماهية ، يقال عليها وعلى غيرها الجنس قولا أولياً بلا واسطة كالإنسان بالقياس إلى الحيوان ، فإنه ماهية يقال عليها وعلى غيرها كالفرس ، والجنس وهو الحيوان، حتى إذا قيل ما الإنسان والفرس؟ فالجواب إنه حيوان ، وهذا المعنى يسمى نوعا إضافيا ؛ لأن نوعيته بالإضافة إلى ما فوقه وهو الحيوان والجسم النامي والجسم والجوهر واحترز بقوله أولياً عن الصنف ، فإنه كلي يقال عليه وعلى غيره الجنس، في جواب ما هو ، حتى إذا سئل عن زيد وفرس معين بما هما؟ كان الجواب الحيوان ، لكن قول الجنس على الصنف ليس بأولى بل بواسطة حمل النوع عليه فباعتبار الأولية في القول يخرج الصنف عن الحد لأنه لا يسمى نوعا إضافيا؛ والنوع الحقيقي كل مقول على واحد أو على كثيرين متفقين بالحقائق؛ في جواب ما هو؟ فالكلي جنس والمقول على واحد إشارة إلى النوع المنحصر في الشخص ، وقوله على كثيرين ليدخل النوع المتعدد الأشخاص وقوله متفقين بالحقائق ؛ ليخرج الجنس فأنه

العَطف بأوْ يَقتَضي أنّ المعطوف لا يَصْدُق مع المعطوف عليه بل إذا وُجِد أحدهما لا يُوجد معه الأخر، إذ هو الأصل في المعطوفات بها، وذلك مستحيل في الفصول للنّوع الواحد، إذ الفصل ذاتيٌّ أي جزءٌ من المَاهيّة[2] كما تقرّر، وكل من الفصول المُساوية كذلك، وما بالذّات لا يتخلّف، وإلاّ لزِم أن توجد تلك الماهيّة المَحدودة بدون بعض أجزائها وهو باطل ضرورة، مثلاً إذا قلت في تعريف الإنسان هو الحيوان النّاطق أو كذا، وقدّرْنا أن هنالك فَصْلاً أخر هو المعطوف بأوْ، يَقْتضي أن الإنسان يوجد بدون النّاطقيّة وهو باطل لفرض أنها جزء من حقيقته بخلاف الرّسوم فإنه يجوز الإتيان بأوْ فيها، لأنّها إنّما تكون بالخَوَاصّ الخارجة عن الذّات ويجوز أن تكون للنّوع الواحد خواصّ على سبيل البَدَل كرَسْم الإنسان بأنّه الحيوان الضّاحك أو كذا، ومنه ما قالوا في رسم المُعرّف بأنّه ما يَلزَم

مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق ،وقوله في جواب ما هو؟ يخرج الثلاث الباقية أعني الفصل والخاصة والعرض العام ، لأنها لا تقال في جواب ما هو؟ وسمي به لأن نوعيته إنما هي بالنظر إلى حقيقة واحدة في أفراده" الجرجاني، التعريفات، ص316.

[1] ـ "الفصل له معنيين عند المناطقة: كانوا يستعملونه أولا فيما يتميز به شيء عن شيء ، ذاتيا كان أو عرضيا ،لازما أو مفارقا، شخصيا أو كليا ثم نقلوه إلى معنى ثان وهو الكلي الذي يتميز به الشيء في ذاته " موسوعة مصطلحات الفنون ،ج2/ ص1276 .

[2] ـ "الماهية مأخوذة من ما هو؟ بإلحاق ياء النسبة ، وعند المتكلمين والحكماء بمعنى ما به الشيء هو" موسوعة مصطلحات الفنون ج 2/ ص1424.

من تَصوُّره تَصوُّرَه، أو امتيازه عن غيره، هذا معنى ما أشار إليه الزّركشي[1] بقوله في (لقطة العجلان): « قال الأصبهاني: ويجوز ذكرُ أوْ في الرّسم بخلاف الحقيقيّ، لأن النّوع الواحد يستحيل أن يكون له فصلان على سبيل البَدَل[2]» انتهى. فإن قلت أوْ التّقسيميّة كل من مَعْطوفيْها مَوْصوف بالحُكم لا على البَدَل، ولذلك قال ابن مالك أنّ استعمال الوَاو في مَقام التّقسيم أجْود من أوْ قلنا نعم لكنّها تقتضي أنّ المعطوف لا يجامع المعطوف عليه مثلاً إذا /9ظ/ قلت الكلمة اسم أو فعل أو حرف، صَدَقْتِ الكلمة على كل واحد منها، ولكن لايمكن أن توصف باسم أو فعل مثلا في آن واحد، وهذا هو المحذور هنا، وتصريح شيْخ الإسلام زكريّا الأنصاري بأنّ التقسيميّة يجوز إدخالها في الحقيقيّ غير ظاهر، واستدلاله بكلام العَضُد في(المواقف) في تعريف النّظر: بأنّه الفكر المؤدي إلى علم أو ظنّ، لا دليل فيه إذ لا نُسلّم أنه حَدٌّ حقيقيّ، أي كونه يؤدي إلى علم أو ظنّ ليس من ذاتياته ، بل

---

[1] ـ" الزركشي (745 - 794 هـ / 1344 - 1392 م) ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين : عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها :الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، ولقطة العجلان ، توفي عن 112 عاما" أعلام الزركلي، ج6/ص60.

[2] ـ لقطة العجلان وبلة الظمآن خلاصة الأربعة فنون ، محمد بن بهادر الزركشي ، تحقيق محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الجكني (دط)،مكتبة العلوم والحكم : المدينة المنورة، (دت)، ص99 .

من غايته وفائدته ، وإن شئت قلت من علّته ، كما أشار لذلك القُطب[1] في (شـــرح الرّســـالة

الشّمسيّة) وكل ذلك خارج عن الذّات، لأنه من العَرَضِيات[2] والله أعلم.

---

[1] ـ"محمد وقيل محمود بن محمد، أبو عبد الله المعروف بالقطب التحتاني، جالس العضد وأخذ عنه، قدم دمشق واشتغل بالعلوم العقلية إلى أن توفي ، إمام مبرز في العقليات ، ذا علوم متعددة وتصانيف مشهورة ، أحد المتكلمين العالمين بالمنطق، توفي ذي القعدة سنة 766ه /1365م، ودفن بسفح قاسيون له شرح الحاوي الصغير، وحواشي على الكشاف، وشرح الشمسية في المنطق، والمطالع والإشارات ، والتحتاني تمييزا له عن أخر يلقب بالقطب كان ساكنا معه في أعلى المدرسة" أبو بكر أحمد بن محمد بن قاضي شهبة طبقات الشافعية، صححه الحافظ عبد العليم خان،ط1، مطبعة دار المعارف العثمانية: حيدر أباد، 1399ه /1979م، ج3/ص183 والسيوطي، بغية الوعاة،ج2/ص281.

[2] ـ "العرض: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به ؛ كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به والأعراض على نوعين : قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد ، وغير قار الذات ، وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون ، والعرض اللازم

فإن قلت أليس أنّه يجوز أن يُقال في جواب : ما الإنسان والفرس مثلا ؟ هما الحيوان النّاطق أو الصّاهِل، قلنا مُغالطة، إذ كلامنا في النّوع الواحد لا في جمع النّوعَين المُتَبَايِنَيْن في حَدٍّ واحد، والله أعلم، هذا وغير التّقسيميّة لا يصلح جعلها مَوضوعاً للمسألة بالسّبْر[1] والله أعلم .

ألّف رحمه الله تآليف عديدة منها :(شرح النّصيحة الكافية) للشيْخ زرّوق ، ومنها (شرح ألفيّة السّيوطي) في النحو، ومنها (حاشيّة على توضيح ابن هشام) على ألفيّة ابن مالك، وأخبرت أنّه نَظم (هَمَزيّة) في المديح وشَرَحها ولم أقف عليها.

[تحقيق مسألة في التّصوّف موضوعها "الذكر بغير اللسان"]

ورأيت في أوّل شرحه للنصيحة الكافية، أن الذّكر لا يُثاب عليه إلاّ إذا كان بحركة اللّسان، فوقع في قلبي من ذلك شيء، وأنّه كيف يصحُّ مع ما تقرّر من أنّ التّفكر في أمر الله مفتاح العبادة، وقد قيل أنّ عبادة النّبي صلّى الله عليه وسلّم قبل البعثة حين كان يخْلو بغار حراء التّفكّر، فهذا يدّل على أن الذّكر يُعتبر ويُثاب عليه وإن لم يكن بحركة اللّسان بل يَقتضي أن ما كان بالقلب أفضل.

هو ما يمتنع انفكاكه عن الماهية ، كالكاتب بالقوة بالنسبة إلى الإنسان العرض المفارق هو ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء ؛ وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الرجل ، وإما بطيء الزوال كالشيب والشباب" الجرجاني، التعريفات، ص 193.

[1] ـ "السَّبر: التَّجْرِبة وسَبَر الشيء سَبراً حَزَره وخَبَره، واسْبُرْ لي ما عنده أي اعلَمه، والسَّبْر استخراج كُنْه الأمر، ويَسْبُره سَبراً نظر مقداره وقاسَه ليعرف غَوْرَه" لسان العرب، مادة سبر، ج4/ص340.

ثم بعد ذلك وقفت على النّصّ في المسألة ذكره القاضي عيّاض فقال: ذكر الله تعالى ضَرْبان : ذكر بالقلب، وذكر باللّسان.

وذكر القلب نوعان:

أحدهما ــ وهو أرْفع الأذكار وأجلّها ، الفِكْر في عظمة الله تعالى وجَلاله وجَبَروته ومَلَكُوته، وآياته في سماواته وأرضه، ومنه الحديث «خَيرُ الذّكر الخَفيّ[1]» والمراد به هذا.

والثاني ــ ذكر بالقلب عند الأمر و النّهي، فيَمْتثِل ما أمِر به ، ويترُك ما نُهيَ عنه ويَقِف فيما أشْكَل عليه.

وأمّا ذكر اللّسان مُجرّداً فهو أضْعَف الأذكار، ولكن فيه فضيلة عظيمة كما جاءت به الأحاديث ، قال وذكر محمد بن جرير الطّبري وغيره اختلاف السّلف في ذكر القلب واللّسان أيُّهما أفضل ؟

قال القاضي: والخلاف عندهم إنما يُتصوّر/10و/في مُجرّد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلاً وشِبْههما، وعليه يَدُلّ كلامهم، لا أنّهم يختلفون في الذّكر الخَفيّ الذي ذكرناه أوّلاً فذلك لا يقاربه ذكر اللّسان فكيف يُفاضله؟ وإنّما الخلاف في ذكر القلب والتّسْبيح المُجَرّد ونحوه والمراد بذكر اللّسان مع حضور القلب، فإن كان لاهياً فلا، واحتجّ مَن رجّحَ ذكر القلب بأن عمل السّر أفْضَل، ومَن رجّح ذكر اللّسان بأن العمل فيه أكثر، فإنّه زاد باستعمال اللّسان فاقتضى زيادة أجر.

قال القاضي: واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب؟ فقيل: تكتُبُه ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها، وقيل لا يكتبونه لأنه لا يطّلع عليه إلا علاّم الغيوب انتهى. نقله في (شرح الجامع) .

---

[1] ــ رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبينة وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (دط)، دار الكتب العلمية : بيروت، 1408 هـ/ 1988 م، ج10/ص81.

وروى الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم ، عن أبي هريرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قــال: « إنّ الله تعالى يقــول أنا مع عبــدي ما ذكــرني وما تحرّكت بي شفتاه[1]».

قال شارح الحديث: «ما ظرفيّة مصدريّة، أي مُدّة ذكره لي في نفسه، ومدّة تحــرّك شفتيْه بذكري، فالله مع مَن يَذكره بقلبه، ومع مَــن يذكره بلسانه، لكن مَعيّتَه مع الذّكر القلبيّ أتمّ[2] » والله أعلم.

وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[3].

[ترجمة شيخه أبي العباس بن مبارك السجلماسي]

وأما الفقيه العالم الأستاذ، أبو العباس سيّدي أحمد بن مبارك السّجْلماسي فكان علّامة حافظاً نظّاراً، يُطيل في المناظرة لا يكاد ينقطع، مُتَفنِّناً جامعاً بين المعقول والمنقول والدِّراية أغلب عليه من الرِّواية ، وأكثر دروسه في العلم المعقول يُكثر من الحكايات في مجلسه، وكان حفظه الله متواضعاً، صاحب طريقة، واسع الصدر مع الطلبة، يباحثونه في مجلسه ويَثْبُتُ لمباحثتهم ولا يضْجَر منها، يُطيل النَّفَس معهم في ذلك، وربّما مَضَى وقت الدّرس وهو مع الباحث في مسألة.

[ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الله السجلماسي]

وأمّا الفقيه الحافظ ، أبو عبد الله سيّدي مَحمد بن عبد الله السّجْلماسي فكان رحمه الله حافظاً متفنناً مشاركاً في العلوم ، أصله من سجلماسة واستوطن هو وأبوه مدينة فاس وبها

---

[1] ــ أخرجه الهندي في كنز العمال و قال : رواه أحمد في مسنده وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة.

[2] ــ محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه احمد عبد السلام، ط1 دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، 1415 هـ/ 1994م ، ج2/ص392.

[3] ــ يوافق عام : 1730م.

نشأ، ثم بعد أن حصّل العلوم رَحَل إلى المَشرق، فأخذ فيه الحديث عن جماعة ودرس بمصر، ثم رجع لمدينة فاس وبقي فيها مدّة ، ثم ارتحل بأهله إلى الشّرق واستوطن المدينة المشرّفة وبها توفي سنة أربع أو خمس وأربعين و مائة وألف[1].

[ترجمة شيخه محمد بن محمد بن حمدون بناني الفاسي]

وأمّا الفقيه المُشارك ، سيّدي مَحمد بن محمد بن حمدون بنّاني الفاسي ، فكان رحمه الله عالماً علّامة مُتقناً للمسائل/10ظ/ محققاً لها، بارعاً في الفنون مشاركاً فيها، يُحسِن الكلام على المسائل، غير أنّه رحمه الله كان قليل الإقراء والتدريس.

وله تآليف مفيدة و تقاييد عجيبة، منها (شرح خُطبة الألفيّة شرحها شرحاً عجيباً حافلا أبدع فيه ما شاء الله، ومنها شرح البسملة والحمدلة سمّاه (الفوائد المسجّلة في شرح البسملة والحمدلة)، ومنها (شرح الأنصاريّة) في علم الكلام، وله تقاييد كثيرة، وأسئلة وأجوبة دلّت على تحقيقه وبراعة فهمه.

توفي رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومائة وألف[2].

[ترجمة شيخه محمد بن محمد ميّارة الفاسي]

وأمّا الفقيه الأجلّ ، سيّدي مَحمد بن محمد ميّارة الفاسي، فكان رحمه الله عالِماً مُتفنِّناً مشاركاً في الفنون، عالماً بصناعة التّوْثيق، ذا فهمٍ ويقظةٍ في العلوم، غير أنّه رحمه الله كان قليل الإقراء، وأكثر إقرائه وتدريسه في العلوم العقليّة، وهو حفيد ميّارة شارح (العاصميّة) و(الزّقاقيّة) وغيرهما.

توفي والله أعلم سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[3].

---

[1] ـ يوافق عام :1731م أو1732م.

[2] ـ يوافق عام :1727م .

[3] ـ يوافق عام: 1730م.

[ترجمة شيخه علي الحُرَيْشي]

وأمّا الفقيه المحدِّث، سيّدي علي الحُرَيْشي، فكان رحمه الله عالماً متواضعاً مُحدِّثاً يغلُب عليه علم الحديث وأكثر إقرائه فيه، وله تآليف عديدة منها، (شرح الشمائل) ومنها (شرح الشفاء).

توفي رحمه الله والله أعلم سنة أربع وأربعين ومائة وألف[1].

[نشاط المؤلف التدريسي بفاس]

وكنت مع ذلك في أثناء هذه المدّة التي أقمْتُ فيها بمدينة فاس، أقرئ الطّلبة وأدرِّس لهم في الفقه وغيره.

فكنت أقرئهم (ألفيّة ابن مالك) مراراً، مرّة بالمدرسة المِصبَاحيّة، لأني كنت ساكناً فيها في أكثر المدّة التي أقمتها بمدينة فاس، ومرّة في جامع القرويّين، قراءة بحثٍ وتحقيقٍ وأقرأتهم أيضا (الجَرّوميّة) مراراً، وأقرأتهم أرجوزة (السُّلّم) في المنطق مراراً قراءة بحث وتحقيق، مع التّعرُّض لكثير مما وقع لشارحه سيّدي سعيد قدّورة[2]، حتى قيّدوا عنّي تقييدات نَفيسة في ذلك، وأقرأتهم أيضا (مختصر الشيْخ السّنوسي في المَنطق) مراراً وأقرأتهم (تلخيص المفتاح) في علم المعاني والبيان، وأقرأتهم (جَمْع الجوامِع) في علم الأصول لابن السّبكي، وأقرأتهم أيضاً رسالة الشيْخ أبي محمد بن أبي زيد، مرّة في المدرسة المصباحيّة، ومرّة أخرى في جامع القرويّين/11و/ولما كثُر عليَّ الطّلبة جداً وعجزْتُ أنْ أسمِع أخرهم ومَن كان في الطَّرَف منهم لكثرتهم، اتخذوا لي كرسيّاً أجلس عليه لأسْمِع الجميع وكان ذلك الكرسيّ في المَوضع المرتفع من جامع القرويّين، وراء

---

[1] ـ يوافق عام: 1732م.

[2] ـ "أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة، التونسي الأصل الجزائري المولد والقرار مفتيها وعالمها المتفنن، أخذ عن أعلام الجزائر في عصره له مؤلفات منها: شرح الصغرى وشرح السلم، توفي 1066هـ /1752م" شجرة النور، ص309.

الخصّة الموالية لدرب ابن حيّون، وبقيت في تدريس خُطبة (الرّسالة) في هذه المرّة الثانيّة أكثر من شهرين، لأني كنت أطوّل في نقل كلام الأيمة وشروحها وما يَرد عليه من الأبحاث ، لكَوْن الطّلبة طلبوا مني ذلك.

وكان الطّلبة يزدحمون على مجلسي في التّدريس ويرغبون فيه، لا لكَوْني أفقَه من غَيري؛ بل غَيْري أفقَه منّي وأحْسن، ولكن لكَوني كُنْت أوضّحُ لهم المسائل وأفهِّمُها وأبيّنُها لهم جَهدي بعبارة سهلة، وأختار الفَهْم والبيان لهم على تحسين العبارة والتأنُّق فيها بنِيّة خالصة، فانتفعوا بسبب ذلك عليّ انتفاعاً كثيراً فالله يُحسِّن نِيّتنا ويتقبّل سعيَنا.

وأقرأتهم أيضاً (مختصر الشيْخ خليل) مراراً، مرّة بالمدرسة المصباحيّة التي كنت ساكناً فيها ، ومرّة بجامع القرويّين على الكرسيّ المذكور حين كثُر عليّ الطلبة ، وأقرأتهم أيضاً (صُغرى الشيْخ السّنوسي) مراراً، وأقرأتهم (العقيدة الكبرى) له، وأقرأتهم (شمائل الترمذي) أيضاً، وغير ذلك من الكتب التي أخذتها عن المشايخ، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

[سلسلتيْ المؤلف الفقهية والصّوفية]

ولنذكر سِلْسِلتي في الفقه إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

[أهمية ذكر السّلسلة العلمية]

وقد ذكر النّووي وغير واحد أنّ هذا من المطلوبات المُهمّات والنّفائس الجَلِيّات التي ينبغي للفقيه والمُتَفَقّه معرفتها ويقبح به جهالتها، فإنّ شيوخه في العلم آباء في الدّين ووُصلة بينه وبين ربّ العالمين، وكيف لا يقبح جهل الأنساب والوُصْلة بينه وبين الرب الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرّهم ، وذكر مآثرهم والثّناء عليهم والشّكر لهم . انتهى نقله الحطّاب.

[سلسلة المؤلف الفقهية]

فأقول: أخذتُ الفقه عن الجماعة المتقدِّم ذكرهم ، وهم أخذوا الفقه عن جماعة منهم العلّامة المُحقق الحافظ سيّدي محمد القسمطيني[1]، والعارف بالله تعالى أبو علي سيّدي الحسن بن مسعود اليُوسي[2]/11ظ/ والفقيه الأجلّ العارف بالله تعالى أبو مَحمد سيّدي

---

[1] ـ "أبو عبد الله محمد بن أحمد القسمطيني الشريف الحسني المعروف بابن الكمّـــــــاد ، أخذ بجبل الـــــزواوة عن أبي عبد الله محمد المغربي الجزائـــــري وعن محمد بن قـــــدورة ، رحل إلى فاس وحصل له بها صيت ، أخذ عنه الكثير ، منهم محمد بن عبدالسلام بنـــاني تـــوفي سنة 1116هـ/ 1704م" شجرة النور ، ص329 .

[2] ـ "نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، شيخ مشـائخ المغرب على الإطلاق، وأصل كلمة اليوسي هي اليوسفي، نسبة إلى يوسف أبو القبيلة، كان صاحب الترجمة عالما في المعقول والمنقول، تواترت عنه قضايا متعددة في الذب عن الدين وحماية الرعية، أخذ عن محمد بن ناصر وعبد القـادر الفاسـي وآخرين، وعنه أحمد بن مبارك وأبوسالم العياشي، له تآليف حسان منها حاشية على مختصر= =السنوسي وأخرى على كبراه،وقانون العلوم وقصائد متنوعة وفهرسة وغيرها،قدم مكة 1102هـ/1690م، وتوفي بها 1111هـ /1699م" شجرة النور،ص328. محمد بن عقيل بن حسن موسى، المختار المصون من أعلام القرون،ط1، دار الأندلس الخضراء: جدة،1415ه/ 1995م، ص1427.

عبد القادر بن عليّ بن يوسف الفاسي[1]، وولده العلاّمة أبو عبد الله سيّدي مَحمد بن سيّدي عبد القادر[2]، والفقيه السيّد أحمد بن الحاج[1]، وأخذ أبو مَحمد سيّدي عبد القادر بن علي

---

[1] ـ "شيخ الجماعة أبو محمد عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي اسما لا نسبة إلى فاس، بيته شهير بالعلم والجلالة ، استمر العلم به أزيد من ثلاثمائة سنة ، أخذ عن والده وأخيه وعم أبيه العارف الفاسي وهو عمدته ، وعنه من لا يعد كثرة منهم إبناه وأبو سالم العياشي وأحمد بن الحاج وبردلة وميارة الحفيد والشيخ اليوسي أجازهم إجازة عامة ،مع غزارة علمه لم يتصدّر لتأليف، مولده سنة 1007هـ/ 1598م ، ووفاته 1091هـ/ 1679م " شجرة النور، ص314 .

[2] ـ "أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفقيه العالم، ولد بفاس ليلة الجمعة خامس عشر ربيع النبوي عام 1042هـ//1632م، نشأ في حفظ أبيه في عفاف وصيانة، أخذ القرءان عن أبي زيد القاضي، و أخذ عن والده وأجازه اليوسي والعربي الفاسي وغيرهم،وأجازه العربي الفاسي ، رحل الناس إليه، وأخذوا عنه منهم العربي بردلة ومحمد بن عبد السلام البناني والمسناوي وابن زاكور وغيرهم، له تآليف منها شرح شواهد بن هشام، و شرح نظم نخبة الفكر لابن حجر في المصطلح وغيرها كثير،وفاته يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب سنة 1116هـ/1704م " محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1/ص355.

الفاسي عن جماعة، منهم العالم العلاّمة سيّدي العربي الفاسي[2]، وأبو زيد سيّدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي[3]، وأخذ أبو زيد سيّدي عبد الرحمن الفاسي عن جماعة منهم الإمام العالم العلاّمة المُتفنِّن مُفتي فاس وخطيبُ حَضْرتها، أبو عبد الله محمد بن قاسم

---

[1] ـ "أبو العباس أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج الفاسي الشيخ الإمام نخبة الأكابر، أخذ عن عبدا لقادر الفاسي وأجازه وغيره حج ولقي العلماء ، وعنه ولده ومحمد بن عبد السلام بناني ، وأبو الحسن السقاط وابن رحال والمسناوي وابن مبارك آخرون ، مولده 1040 هـ/ 1630م ، وتوفي 1109هـ/1697م" شجرة النور، ص327 .

[2] ـ" أبو عبد الله محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ، الإمام العلامة ، أخذ عن أبي الطيب الزياني ، وأبيه وشقيقه والشيخ القصار ، و عنه جماعة منهم : بنوه الأربعة وابن أخيه عبد القادر الفاسي وغيرهم ، له تآليف منها : شرح دلائل الخيرات في مجلدين ومراصد المعتمد في مقاصد المعتقد ، وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان وغيرها كثير ، توفي بتطاون 1052هـ /1643م ومولده 988هـ/ 1580م" شجرة النور ، ص302 .

[3] ـ "أبوزيد عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي الكثير الكرامات ، أجازه أبو المحاسن يوسف ، وأخذ عنه جماعة ، له تفسير الفاتحة وحاشية على البخاري وأخرى على المحلى وغيرها، توفي 1036هـ/ 1626م" شجرة النور، ص299.

القصّار القَيْسي[1]، والإمام الحافظ العلاّمة أبو العبّاس سيّدي أحمد بن علي المنجور[2]، وأخذ الشيْخ أبو العبّاس المنجور عن أصحاب الشيْخ ابن غازي[1]، كالشيْخ الفقيه الإمام العلاّمة الجامع بين المعقول والمنقول، الحـــاج الخطيب المفتـــي أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن

---

[1] ـ "أبـو عبـد اللّه محمـد بـن قـاسم القـيسي الـشهير بـالقـصار، علامـة محقق محدث ، أخذ عن اليسيتني بسنده وغيره ، وعنه الشهاب المقـــري الفاسي،له مؤلفات مفيدة وفهرسة جمعت رواياته، ولد 936 هـ/1529م، وتوفي 1012هـ/1603م" شجرة النور،ص295، موسوعة أعلام المغرب، ج3/ص1114.

[2] ـ"هو الإمام علاّمة فاس ومسندها أحمد ، بن كبير دار المملكة الوطاسية وأمينها والقيم على أمورها أبي الحسن علي المنجور ، أخذ عن سقين واليسيتني وغيرهما ، وعنه جماعة ، ألف مـــراقي المجد في آيات السعد، وشـــرح عقيدة ابن زكري،وله فهرسة حافلة ممتعة في أربع كراريس، ترجم فيهـــا لمشيخته ، وختمها بتعداد مؤلفاته ، ثم صرح بالإجازة العامة بها لأبـــي العباس المنصور وأتمها بتاريخ سنة 989 هـ/1581م ،وعلى فهرس المنجور وابن غازي مدار أسانيد أهل المغرب وهما البرزخ العظيم بين المغاربة والأندلسيين والمغاربة والمشارقة ،وغيرها من التآليف ، توفي بفاس ذي القعدة سنة 995هـ/ 1587م" عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات و المسلسلات، اعتناء إحسان عباس ، ط1 ،بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982 ، ج2/ ص

عبد الرحمن اليسيتني[2]، وكالشيْخ الفقيه أبي الحسن علي بن موسى المطغري[3] مطغرة تلمسان، وكالشيْخ الأستاذ الفقيه المحدِّث أبي محمد عبدالرحمن بن علي القصري ثم

567، والافراني محمد بن الحاج بن محمد ، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي : الدار البيضاء ، 2004، ص43 ، وشجرة النور، ص287.

[1] ـ تقدمت ترجمته : ص90.

[2] ـ "أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالرحمن اليسّيتني بفتح الياء وكسر السين المشددة ، فقيه علامة رحّال مطّلع ، أخذ عن ابن غازي ويحي السوسي وعبدالواحد الونشريسي و سقّين ، رحل ولقي الكثير من العلماء وأخذ عنهم ، أخذ عنه الكثير ، منهم أبي الحسن السكتاني والمنجور، تولى خطة الفتيا بفاس بعد محمد بن عبد الواحد الونشريسي، له تآليف منها شرح على خليل لم يتمه وتأليف في حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه وغيرها ، مولده سنة 897هـ/ 1491 م، ووفاته 959هـ /1551م، نيل الابتهاج، ج2/ ص288،و الشفشاوني، دوحة الناشر، ص 48، وشجرة النور ، ص283.

[3] ـ" أبو الحسن علي ابن موسى المضغري ، من مضغرة سجلماسة ، عرف بابن هارون ، لزِم ابن غازي ، وأخذ عنه اليسّيتني والمنجور والونشريسي وغيرهم ، توفي 951هـ/1543م" الشجرة

الفاسي العاصمي، عرف بسُقّين[1]، وكالشيْخ أبي محمد الوانشريسي[2]، وهم أخذوا عن شيْخ الجماعة بالمغرب الإمام ابن غازي، وهو أخذ عن الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن

،ص278. وأثبت في السلوة أنه من مطغرة تلمسان، كما ورد في المخطوط المحقّق بدل مضغرة سجلماسة كما قال مؤلِّف الشجرة، محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، تحقيق محمد حمزة بن علي 1426هـ 2005م ،ج2/ص93 ،و كما أثبت الحفناوي في ، تعريف الخلف بمأثر رجال السلف، دار موفم للنشر: الجزائر، ج2/ص107.

[1] ـ"أبو محمد عبدالرحمن بن علي السفياني الفاسي ، عرف بسقين ، أخذعن جماعة منهم ابن غازي والشيخ زروق ،رحل ودخل مصر وانتفع بالشيخ أبي عبدالله الغزواني،رحل إلى السودان، و إلى الحجاز وطاف بلاد المشرق، وعاد لفاس وتقلد الفتيا بها، أخذ عنه المنجور واليستني وغيرهما، توفي سنة 956 هـ/1548م" التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1/ص290،والشفشاوني، دوحة الناشر،ص48 وشجرة النور، ص279.

[2] ـ"أبو مالك عبد الواحد بن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي الفاسي، أخذ عن والده وابن غازي، وعنه المنجور وغيره، له خطب بديعة وفتاوى وتآليف متنوعة ومفيدة ، مولده 880هـ /1475م، توفي قتيلا ذي الحجة 955هـ / 1548م" شجرة النور، ص282.

قاسم القوري اللخمي المكناسي ثم الفاسي[1]، المفتي بها وبها توفي، والقوري أخذ عن الشيْخ الفقيه الصّالح أبي عمران موسى الجنّاني[2]، والشيْخ أبو عمران أخذ عن الشيْخ أبي عمران موسى العبدوسي[3]، والشيخ أبو عمران العبدوسي أخذ عن الشيْخ الفقيه العبدوسي[1] والعبدوسي أخذ عن الشيخ الفقيه المحقق أبي فارس عبد العزيز القروي[2]، قيل وتقييده عن

---

[1] ـ"أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد اللخمي المكناسي ثم الفاسي الأندلسي الأصل، شهّر بالقَوْري، يخ الجماعة بفاس ، أخذ عن أبي موسى عمران الجاناتي وأبي محمد العبدوسي، وعنه ابن غازي وغيره، له شرح على المختصر وفاته 872هـ/ 1467م، ومولده 804هـ/ 1401م" نيل الابتهاج، ج2 /ص233 ، وشجرة النور ،ص 283 .

[2] ـ"أبو موسى عمران بن موسى الجاناني ، الفقيه الحافظ الإمام الكامل، أخذ عن أبي عمران العبدوسي وقيد عنه التقييد البديع على المدونة في عشر مجلدات، وعنه القوري وابن غازي، توفي 830هـ / 1426م" تنبكتي، نيل الابتهاج،ج1/ ص298، والشجرة ص252.

[3] ـ"أبو عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي وبه عرف الفاسي، كان آية في معرفة المدونة ، أخذ عن أيمة منهم عبد العزيز القوري وعنه جماعة منهم ابناه عبد العزيز ومحمد وحفيده عبدالله ، والرجراجي وغيرهم، له تآليف ، توفي 776هـ/ 1374م" ابن القاضي، درة الحجال ، ص294، وشجرة النور، ص234 .

أبي الحسن أصحّ التقييدات، وأبو فارس أخذ عن الشيْخ الفقيه الكبير الإمام أبي الحسن علي بن عبد الحق شارح(التهذيب)[3] المعروف بأبي الحَسَن الصّغير[4]، والشيْخ أبـو

---

[1]ـ ثبت في كتب التراجم ، أن أبـا عمران موسى العبدوسي هو الذي أخذ عن القوري مباشرة ، ولم يثبت أنه أخذ عنه بواسطة العبدوسي المذكور ، ولا يمكن أن يقصد المؤلِّف غيره لأنه كما قال في شجرة النور : عرف بالعبدوسي ، وبالمقارنة مع سلاسل علماء آخرين يُستدل لهذا كسلسلة ابن عجيبة في : فهرسته ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان ،ط1 ،دار الغد العربي : القاهرة ، 1990م، ص 35.

[2] ـ"أبو فارس عبد العزيز القروي الفقيه العلامة الصالح، أخذ عن أبي الحسن الصغير وهو أكبر تلامذته، وعنه أبو عمران العبدوسي وغيره له تقييد على المدونة ، توفي 750 هـ/1349م"شجرة النور ، ص271 .

[3] ـ"تهذيب البرادعي للمدونة ، لصاحبه خلف بن ابي القاسم البرادعي أحد تلامذ ابن أبي زيد، توفي438هـ/1046م، واهتم في كتبه بتهذيب كتب الفقه المالكي المبكرة" تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي، طبع إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض1411هـ/1991م، مج1/ج 3/ص178، علي محمد، اصطلاح المذهب عند المالكية، ص277.

[4] ـ"أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، عرف بأبي الحسن الصّغير مصغرا ومكبرا، مقامه في التحصيل

الحسن الصّغير أخذ عن الفقيهيــن الإمامين ، أبي الوليد راشد الوليدي[1]، وأبي إبراهيــم الأعرج
الورياغلي[2] صاحب (الطرر على المدونة)، وهما أخذا عن شيْخهما الفقيه الكبير الإمام الصّالح أبي محمد الصّالح الهسكوري[3]، وأبو محمد الصّالح أخذ عن شيوخه الفقيه أبي

والتحقيق يضرب به المثـــل أخذ عن راشد بن أبي راشد وعليه اعتماده ،وعن ابن مطر الأعرج وغيرهما ، وعنه جماعة منهم عبد العزيز القوري قيــد عنه تقييدا على المدونة حسنا، توفي سنة 719هـ/1319م ، وعمره نحو 120 عاما" شجرة النور، ص215 .

[1] ـ "أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي ، أخذ عن أبي محمد الصالح ، وعنه أبو الحسن الصغير وغيره ، له كتـــاب الحلال والحرام وحاشية على المدونة توفي 675هـ/1276م" نيل الإبتهاج، ج1/ص193 ، وشجرة النور، ص201 .

[2] ـ"أبو إبراهيم إسحاق بن يحي بن مطر الأعرج الورياغلي الإمام الفاضل ،أخذ عن أبي محمد صالح ،وعنه أبو الحسن الصغير وغيره، له طرر على المدونة ، توفي بفاس 683هـ/1284م" شجرة النور، ص202 .

[3] ـ "أبو محمد صالح بن محمد الفاسي الهسكوري، شيخ المغرب علما وحالا وفضلا،أخذ عن أبي موسى عيسى وأبوالقاسم بن البقال وابن بشكوال وأبي مدين الغوث ، وانتفع به وعنه راشد الوليــدي وابن أبي مطر ، له تآليف في الفقه مشهورة ، توفي 656هـ/1258م"شجرة النور، ص185.

القاسم[1] والفقيه/12و/أبي موسى المامونيّ[2] والفقيه أبي القاسم بن البقّال[3]، وهم أخذوا عن الفقيه المُحدِّث الكبير أبي القاسم بن بشكوال[4]، وأبو القاسم أخذ عن أبي محمد بن عتّاب[5] وأبو محمد بن عتّاب أخذ عن أبيه أبي عبد الله بن عتّاب[6]، وأبو عبد الله بن عتّاب أخذ عن

---

[1] ـ وهو "أبو القاسم ابن زانيف" كما ورد عند الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج2/ص49 .

[2] ـ "إسمه عيسى أبوموسى المامونيّ ، أخذ عنه أبومحمد صالح الهسكوري" شجرة النور، ص185.

[3] ـ "أبو القاسم بن البقال ،الإمام العالم أخذ عن جماعة منهم ابن بشكوال، وعنه أبو محمد صالح، لم أقف على وفاته" الشجرة ،ص185.

[4] ـ"أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، يعرف بابن بشكوال الأنصاري الخزرجي الغرناطي الأمام الحافظ ، سمع أباه وأبو محمد بن عتاب وابن رشد وابن العربي وغيرهم ، عمّر طويلا ، أخذ عنه ابن البقال وابن رشد الحفيد وابن عتاب وغيرهم ، ألّف خمسين تأليفا في أنواع العلوم ، توفي 587 هـ/1191م" شجرة النور، ص154.

[5] ـ "أبو محمد عبدالله بن محمد بن عتاب ، أخذ عن والده وأبو محمد مكي وابن عبدالبر وجماعة، وعنه القاضي عياض وابن بشكوال، له تآليف حسنة وفهرسة ، توفي 525هـ وقيل 528هـ/1133م ، وهو الأصح" شجرة النور، ص129.

[6] ـ "أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عتاب القرطبي، شيخ المفتين بها ،تفقه بابن النجار وغيره ولم تكن له رحلة

أبي محمد مكّي[1]، وتفقّه أبو محمد مكّي بأبي طالب مكّي بن محمد بن مختار القيْسي[2] وتفقّه مكّي بجماعة، منهم الشيْخ الإمام القدوة الورع جامع مذهب مالك وشارح أقواله، أبو

، تفقه به الأندلسيون سمع منه ابنه وعيسى بن سهل وغيرهما ، له فهرسة ، توفي صفر 462هـ/1069م" شجرة النور ، ص119.

[1] ـ"أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني نزيل قرطبة ،العالم شيخ الصوفية، أخذ عن ابن أبي زيد القيرواني وغيره من المشارقة والمغاربة، دخل قرطبة 393هـ/1002م ، أخذ عنه ابن عتاب وغيره ، صنف التصانيف الكثيرة في علوم القرآن وغيره ، له فهرسة توفي بقرطبة 437هـ/1045م ، أو439هـ/1047م" شجرة النور ، ص107.

[2] ـ"أخذ أبو محمد مكي عن بن أبي زيد القيرواني من دون واسطة، وعلّق على هذا عبد الرحمن بن عمر في فهرسته قائلا: قلت ذكر أبو طالب مكي بين أبي محمد مكي وبين أبي محمد بن أبي زيد ، هكذا بخطه رحمه الله ، وهو كذلك في فهرسة شيخنا أبي حفص المذكور ـ رحمة الله ـ وأظنه تحريفاً ، فإن الذي للقاضي عياض بالمدارك في ترجمة ابن أبي زيد أن أبا محمد مكياً أخذ عنه بغير واسطة" عبد الرحمن بن عمر ، الفهرسة ، ص101 . و هذا الترتيب هو ما ثبت كذلك بعد مقارنة ما أورده المؤلِّف في سلسلته بما ذكره الشيخ عبد القادر الفاسي في فهرسه المسمى : الإجازة الكبرى ، عند ذكره سَنَد روايته لرسالة ابن أبي زيد ، عبد

عبدالله محمد بن أبي زيد القيرواني ، وتفقه بن أبي زيد بجماعة، منهم الإمام الزاهد أبو بكر ابن اللبّاد[1]، وتفقه ابن اللبّاد بجماعة، منهم الإمام القدوة الزّاهد مجاب الدعوة، أبو زكرياء يحي بن عمر بن يوسف البلوي الإفريقي[2] صاحب كتاب (اختلاف ابن القاسم وأشهب)، وتفقه أبو زكريّاء يحي بن عمر بجماعة منهم الإمامان، الحُجّة الزّاهد أبو سعيد عبد السّلام المدعو سَحنون، والعلاّمة القدوة أبو مروان عبد الملك بن حبيب ، وهما تفقّها بجماعة ، منهم الإمامان القدوة أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي والعلاّمة الزّاهد أبو عمر أشهب بن عبد العزيز واسمه مسكين، وهما تفقّها بالإمام المُجتهد إمام دار الهجرة ، أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث المدني وهو تفقّه بجماعة من علماء التّابعين ، منهم ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، ونافع وتفقّه ربيعة على أنس، وتفقه نافع على ابن عمر وكلاهما ممن أخذ عن سيّد المُرسلين وإمام المتّقين، أبي القاسم محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى سائر النبيئين.

القادر الفاسي، الإجازة الكبرى ، تحقيق محمد بن عزوز ، ط1 ، دار ابن حزم : بيروت ، 1424 هـ / 2003 م ، ص 118 ، وابن عجيبة في سنده الفقهي فهرسته ، ص12 ، وهو رأي كل مَن تَرجَم لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي قديما أو حديثا .

[1] ـ "أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد اللخمي مولى الأقرع ، العلامة مفتي المغرب ، فقيه جليل القدر عالماً في اختلاف أهل المدينة، توفي عن فلج أصابه، في صفر سنة 333هـ/ 944م، له كتاب الطهارة و مناقب مالك" ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1/ص 249 وابن القاضي، درة الحجال، ص453 .

[2] ـ تقدمت ترجمته صفحة : 94.

ويتّصل سَنَدنا بالشيْخ خَليل، من طريق الإمام الشّهير العلّامة أبي العبّاس المَنجور، إنا أخذنا الفقه عن من سَبَق ذكرهم من الشّيوخ إلى الشيْخ المنجور، والشيْخ المَنجور أخذ عن الشّيْخ الإمام أبي عبد الله اليَسيتَني، وهو أخذ عن الإماميْن شمس الدين محمد[1]، وأخيه ناصر الدين[2] اللقّانييْن، وهما أخذا عن الشيْخ نور الدين أبي الحَسن علي السّنهوري[3]، وهو أخذ عن الشيْخ عبادة[1]، والشيْخ عبادة أخذ عن الشيْخ جمال الدين عبد

---

[1] ـ"شمس الدين محمد اللقاني ،الإمام العلامة الأصولي المتبحر ، من شيوخه أحمد زروق والبرهان اللقاني والنور السنهوري، أخذ عنه كثيرون ، عكف الناس عليه ، له طرر على مختصر خليل ، توفي 935هـ /1528م" شجرة النور ، ص 271.

[2] ـ"أبو عبدالله محمد ناصر الدين اللقاني ، أخذ عنه الكثيرون منهم عبدالرحمن الأجهوري ويحي القرافي وسالم السنهوري ، فقد عمّر حتى انحصر الأزهر في تلامذته وتلامذة تلامذته ، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر بعد أخيه ، من تآليفه : طرر على التوضيح وحاشية على المحلى وحاشية على شرح السعد للعقائد وغيرها توفي شعبان 958هـ/1551م" شجرة النور ، ص 271.

[3] ـ"نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله السنهوري ، أخذ عن الزين عبادة وغيره ، وعنه زروق وأبو الحسن الشاذلي والمنوفي والتتائي واللقانيين، له شرح على المختص وتعليق على التلقين ، مولده 814 هـ/1411م ، ووفاته 889 هـ/1484م "شجرة النور ص 258.

الله الأقْفَهْسِي[2]، وهو أخذ عن تاج الدّين بَهرام/12ظ/ وتاج الدّين بَهرام أخذ عن الشيّخ خليل، رَحِم الله الجميع بمنّه وفضله.

[سلسلة المؤلف الصوفية]

وأما سِلْسِلَتُنا في الطّريق، وهي سلسلة الأنوار[3]، فأقول:

أخذنا طريقتنا هذه عن الشيْخ الصّالح العارف بالله تعالى، سيّدي مَحمد بن عبد الرحمن بن أبي زيّان القَنْدسي[4]، عن سيّدي مُبارك العزّي[1] دفين سجلماسة، عن قُطب المغرب

---

[1] ـ"عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم، الزين الأنصاري الخزرجي القاهري المالكي ، ولد 777هـ/1375م ،وتوفي 846هـ/1442م" محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،(دط) ، منشورات دار مكتبة الحياة : بيروت ، (دت) ، رقم الترجمة : 66.

[2] ـ"جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقْفَهْسِي، القاضي الفاضل العالم العامل ،انتهت إليه رياسة المذهب والفتوى بمصر، أخذ عن خليل وانتفع به وعنه عبادة وغيره ، له شرح على مختصر شيخه وتفسير ، توفي رمضان 823هـ/1420م" شجرة النور، ص 240 .

[3] ـ وهي نفس السّلسلة للشيخ مولاي عبد الملك الركاني ، التي أوردها محمد بن أبي بكر الولاتي ، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق محمد الكتاني ومحمد حاجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي :بيروت، 1401هـ /1981م ، ص205 .

[4] ـ"أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي زيان القندوسي الشيخ الكثير التلاميذ والأتباع ، يحدث عنه أصحابه

سيّدي محمد بن ناصر الدرعي[2]، عن سيّدي أبي محمد عبد الله بن حسين الدرعي[3]، عن أبي العبّاس سيّدي أحمد بن علي الدرعي الحاجّي[1]، عن أبي القاسم سيّدي الغازي[2]

بكرامات وحسن السيرة" موسوعة أعلام المغرب، ج6/ص2262.

[1] ـ "سيدي مبارك بن عبد العزيز العنبري الغرفي الفيلالي ، توفي 1090هـ/1674م ، بالغرفة بتافيلالت" السّند الروحي لابن أبي زيـــــان القندوسي" أوراق تعريفية بالقندوسي بزاويته.

[2] ـ"أبو عبد الله محمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، المعروف بابن ناصر الدرعي، الإمام العالم العامل الذكي، صاحب الكشوفات ، مجدد الطريقة الشاذلية، صاحب الزاوية الناصرية المشهورة بفاس نسبة إليه، أخذ عن والده والشيخ عبد القادر الفاسي ، وأخذ الطريقة عن عبد الله بن حسين الرقي الدرعي، عن أبي العباس أحمد بن حسين الخزرجي، عن أبي القاسم الغازي، عن أبي الحسن علي بن عبد الله الفيلالي عن أحمد بن يوسف المليـــاني عن زروق بسنـــده وعنه من لا يعد كثرة، له فتاوى في الفقه مشهورة ، توفي في ستة صفر الخير من سنة 1085هـ/ 1674م بواد درعة" الكتاني ، السلوة ، ج1/ص 295 ، شجرة النور ، ص313.

[3] ـ"أبو عبدالله محمد بن حسين الدرعي التمكروتي الرقي ، أحد أكابر الأعلام ، أخذ عن أبي العباس أحمد بن

السجلماسي، عن أبي الحسن علي بن عبد الله[3] السجلماسي، عن أبي العباس سيّدي أحمد بن يوسف الملْياني[4]، عن أبي العبّاس سيّدي احمد زرّوق[1] الفاسي، عن أبي العبّاس سيّدي

علي الدرعي عن سيدي الغازي ، قال الشيخ اليوسي أنه اخذ عن سيدي علي الحاجي عن الشيخ الغازي ، توفي يوم الجمعة عام 1045 هـ/ 1635م" موسوعة أعلام المغرب ، ج3/ص1328 .

[1] ـ لم أجد له ترجمة .

[2] ـ "القطب الهمام ، الولي الكبير ، الشهير الخطير ، أبو محمد سيدي أبو القاسم ، الملقب بالغازي بن أحمد الدرعي أصلا السجلماسي دارا ومزارا ، توفي شعبان سنة981هـ/ 1573م ، قبره بتبوبكرت مشهور، له زوايا وأتباع ، أخذ عن أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي دفينها، عن الملياني" السلوة ، ج1/ص135

[3] ـ لم أجد له ترجمة .

[4] ـ" أحمد بن يوسف الراشدي المليانى، نزيل مليانة بين الجزائر وتلمسان، ولي الله ومتصوف صالح، من أكابر صوفية أهل المغرب صحب الشيخ زروق، تبرأ من الطريقة اليوسفية التي تنسب نفسها إليه، قال فيه صاحب لقط الفرائد: الرجل الصالح وحاشاه أن يقول ما قيل عنه توفي (927 هـ / 1521 م)" الشفشاوني، دوحة الناشر، ص 124، أعلام الزركلي، ج1/ص275.

أحمد بن عقبة الحضرمي[2]، عن أبي الحسن علي[3]، عن القرافي[1]، عن أبي العبّاس سيّدي أحمد بن عطاء الله الأسكندراني[2]، عن أبي العباس المُرسي، عن أبي الحسن الشّاذُلي، عن

---

[1] ـ "أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، أبو العباس زرّوق ، فقيه محدث صوفي، وارث النقام النبوي ، تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، وغلب عليه التصوف فتجرد وساح، توفي في تكرين من قرى مسراتة، من أعمال طرابلس الغرب، له تصانيف كثيرة ، يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، وانفرد بجودة التصنيف في التصوف ، من كتبه شرح مختصر خليل في فقه المالكية= = شرح الحكم العطائية ثمانية عشر شرحا ما بين مختصر ومطول ، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية و القواعد في التصوف وكتب في التصوف وفتاوى أكثر من أن تحصى" الشفشاوني، دوحة الناشر، ص48، وأعلام الزركلي، ج1/ص91.

[2] ـ "أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، توفي 895هـ/1489م" ابن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة نسخة مصورة عن دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، ج2/ص411، و الضوء اللامع ، ج1/ ص246.

[3] ـ "أبو الحسن علي بن العارف بالله محمد بن محمد بن وفا، القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، توفي أبوه وتركه صبيا، قال الشعراني في طبقاته: كان في غاية من الظرف والجمال، وله كلام عال في الأدب، من

سيّدي عبد السّلام بن مَشيش[3]، عن سيّدي عبد الرحمن جار المصطفى[4]، عن سيّـدي أبي

تصانيفيه الباعث على الخلاص في أحوال الخواص وله ديوان شعر، مولده 761هـ/1359م، وقيل 759هـ/1357م، ووفاته ذي الحجة 807هـ/1404م" الشجرة، ص240. المختار المصون ص456.

[1] ـ"أبو العباس الحسن القرافي، قرافة مصر" هذا ما عثرت عليه من ترجمته، عبد الله طواهرية، شرح الياقوتة، مطبعة أطلال : وجدة 1992، ص136.

[2] ـ تقدمت ترجمته، ص81.

[3] ـ" الشريف الشهير شيخ مشايخ صوفية المغرب، عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي أو إبراهيم الإدريسي الحسني أبو محمد، ناسك مغربي، اشتهر برسالة له تدعى الصلاة المشيشية شرحها كثيرون، وأحد شروحها مطبوع، أشهر مشائخه الحاج أحمد أقطران، ولد في جبل العلم، بثغر تطوان، سنة ولادته بالاحتهاد 559هـ/1163م، قتل فيه شهيدا، قتله جماعة بعثهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي ساحر متنبئ ودفن بقنة الجبل المذكور بقرية الحصين، وفاته على المشهورسنة 625 هـ/ 1227م" المطرب بذكر مشاهير أولياء المغرب، عبدالله التليدي، ص 90، أعلام الزركلي، ج4/ص9.

[4] ـ"أبو محمد أو أبو يزيد عبد الرحمن بن حسين الشريف الحسني العطار المدني، نسبة لمدينة الرسول صلى الله

مَدين الغوث[1]، عن سيّدي علي بن حرزهم[2]، عن سيّدي أبي يَعزى[1]، عن سيّدي ومولاي عبد القادر الجَيْلاني[2]، عن سيّدي علي الهوار القرشي[3]، عن سيّدي أبي الفرج

عليه وسلم، سكناه بحارة الزياتيين، دفين تطوان رحمه الله" عبد الله طواهرية، شرح الياقوتة، ص 138.

[1]ـ" أبو مدين شعيب بن حسين الاندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتوجت من عمل اشبيلية، جال وساح واستوطن بجاية مدة ، ثم تلمسان ، ذكره الابّار بلا تاريخ وفاة ، وقال : كان من أهل العمل والاجتهاد ، منقطع القرين في العبادة والنسك ، قال: وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمس مئة (590هـ/1193م) ، وكان آخر كلامه : الله الحي ، ثم فاضت نفسه" محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج21/ص218.

[2]ـ " علي بن حرزهم منسوب إلى جده ، يكنى أبا الحسن ، ولد بفاس ونشأ بها وتلقى بها العلوم، كان من أهل العلم والفقه والعناية والرواية ، يغلب عليه الزهد والعبادة والتصوف دخل اشبيلية وغيرها ، وأخذ عنه جماعة منهم أبو الحسن بن خيار، توفي 595هـ/ 1198م ودفن خارج باب الفتوح بفاس" محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لكتاب الموصولو الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس دار الفكر: بيروت، 1415هـ/ 1995م، ج3/ص243، عبدالله بن

عبد القادر التليدي، المطرب بذكر مشاهير علماء المغرب ، ط4 دار الإيمان: الرباط، البشائر الإسلامية : بيروت، 1424هـ/2004م ، ص48.

[1] ـ "أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي الهزميري، من هزميرة ايرجان، وقيل هو من بني صبيح من هشكورة ، دفين قرية تاغيا من بلاد معراوة، المعروف بأبي يعزى ، أحد الزهّاد المشتهرين في المغرب ، أخذ عنه كبار العلماء كعبد الجليل القصري اليسيتنسي وأبو مدين الغوث، توفي ببلاده أوائل شوال سنة 572هـ/1176 م، وقد أناف عن المائة سنة بحو الثلاثين، صنّف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، كتابا في القدح بنسبه سماه: الاستهزا بمن زعم الشرف للشيخ أبي يعزى"عبد الله التليدي المطرب بذكر مشاهير أولياء المغرب، ص 54، وأعلام الزركلي، ج 8/ص208.

[2] ـ"العالم العارف شيخ الإسلام علم الأولياء، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد، مولده 471ه /1098م ، قدم بغداد شابا فتفقه على أبي سعد المخرّمي وغيره، أحكم الأصول والفروع والخلاف ، وسمع الحديث والأدب حدّث عنه السمعاني وآخرون، ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر منه، عاش تسعين سنة انتقل إلى الله عاشر ربيع الأخر سنة 561ه/1165م، ودفن بمدرسته" الذهبي، السير، ج20/ص439.

الطّرْطوشي[2]، عن سيّدي عبد الرحمن بن تميم، عن سيّدي أبي بكر الشّبلي[3]، عن سيّدي أبي القاسم الجُنيد[4]، عن سيّدي سري السّقطي[5]، عن سيّدي معروف الكرخي[1]، عن سيّدي

---

[1] ـ لم أجد له ترجمة.

[2] ـ لم أجد له ترجمة.

[3] ـ"خلف بن جحدر يقال له ابن جعفر،ويقال اسمه جعفر بن يونس،رأيته ببغداد مكتوبا على قبره،خرساني الأصل،مولده ونشأته ببغداد=

= صحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد عصره حالا وعلما، كان عالما فقيها على مذهب مالك ، كتب الحديث ورواه عاش سبعا وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة 334هـ/945م، ودفن بمقبرة الخيزران" السلمي، طبقات الصوفية،ص 115.

[4] ـ "الجنيد بن محمد الخراز كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، تفقه بأبي ثور وأفتى في حلقته، صحب السري السقطي والمحاسبي وغيرهم ، وهو من أيمة القوم وسادتهم ، مقبول على جميع الألسنة، توفي سنة 297هـ/ 990م، يوم نيروز الخليفة" السلمي، طبقات الصوفية،ص49.

[5] ـ أبو الحسن السري السقطي، خال الجنيد وأستاذه، أسند وسمع من الأعلام والمشاهير،وامتنع من التحديث، ولم يخرج له كثير حديث روى عن هاشم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية" أبي نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط1

داوود الطّائي2، عن سيّدي حبيب العجمي3،عن سيّدي الحسن البصري، عن سيّدي علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عن قطب الوجود والهادي إلى حضرة الملك المعبود سيّدنا

دار الكتب العلمية: بيروت، 1409هـ/1988م، ج 7/ص 116.

[1] ـ "علم الزهاد وبركة العصر أبو محفوظ البغدادي، اسم أبيه فيروز من الصابئة، وأسلم أبويه ، قال السلمي أنه صحب داوود الطائي ولم يصح ، ذُكر عند الإمام أحمد فقيل قصير العلم، فقال الإمام أحمد : أمسك وهل يراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف؟ مات معروفا سنة 200هـ/815م هذا هو الصحيح" الذهبي ، السير، ج9/ص339.

[2] ـ "الفقيه الواعي البصير الراعي، العابد أبو سليمان داوود بن نصير الطائي، أسند عن جماعة من التابعين كالأعمش وحميد الطويلوأكثر روايته عن الأعمش، أروى الناس عنه بن المقدام و إسماعيل بن عليا، توفي سنة 105، أو106ه/723م" أبو نعيم، الحلية، ص 335.

[3] ـ "زاهد أهل البصرة وعابدهم، أبو محمد، روى عن الحسن البصري وابن حوشب والفرزدق، وعنه حماد بن سلمة وداود الطائي وآخرون، كان مجاب الدعوة تؤثر عليه كرامات وأحوال، وكانت له دنيا فوقعت موعظة الحسن في قلبه فتصدق بأربعين ألفا وقنع باليسير وعبد الله حتى أتاه اليقين" الذهبي، السير، 143/6.

ومَوْلانا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى جميعهم، وحشَرَنا في زمرتهم ونفعنا بجميعهم ءامين يا رب العالمين.

خاتمة:

إنه مما يُتوصل إليه من خلال تحقيق هذا الفهرس في هذه الدراسة، هو إخراج نصّه محققا، فبعد أن كان مخطوطا صعب المنال والقراءة، غير متوفر بل غير معروف، أصبح في متناول المُهتمين ومَن هم بحاجة إليه فضلا عن غيرهم، وقبل أن يصبح نصّه بين أيديهم تقدمته دراسة تحليلية وشاملة ووصفية بالتعريف العام للمؤلِّف والمؤلَّف، فوَضَعَ هذا البحث بين يدي الباحثين:

دراسة منهجية ومتكاملة وشاملة، لشخصية وحياة محيي علوم الدين بتوات ورائد نهضتها العلمية في القرن الثاني عشر الهجري، عمر الأكبر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي، عنه وعن أسرته ونسبه، وبيئته العامة توات والخاصة مسقط رأسه بقصره تنلان، وأوضاع عصره السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحملت هذه الدراسة إشارة واسعة إلى عدة أسماء لأعلام توّاتيّين والتعريف ببعضهم وعرّفت كذلك بعدد من المخطوطات المحلية التي منها ما لم يحقق بعد، وأحالت على أماكنها دعوة من أجل تحقيقها.

وتعد فهرسة عمر التنلاني إحدى فهارس توات التي هي في حد ذاتها قليلة، إذ لم تعرف توات الكثير من التآليف في هذا المجال المعرفي، فعلى مستوى توات حتى عصرنا هناك فهرسة للمغيلي وأخرى لعالم توات عبد الكريم بن أمحمد بن أبي أمحمد التمنطيطي الذي كانت له رحلة في طلب العلم، وبعدها الفهرسة موضوع التحقيق، والفهرسة التي أتت بعدها وسار فيها صاحبها على خطى شيخه الذي سبقه في التأليف في هذا المجال، وهو عبد الرحمن بن عمر التنلاني الذي كانت له هو كذلك رحلة في طلب العلم، أتت هذه الفهرسة غير المشابهة لفهرسة شيخه بزيادات كثيرة، حيث جمع التلميذ في فهرسه الكثير من الإجازات والأسانيد المختلفة والمتشعبة والمتقاطعة لمروياته من شيوخه إلى أصحابها، إلا أنه مع ذلك تجد الصدى لفهرسة شيخه في فهرسه، وبعد تلميذه لم يظهر في توات فهرسة لأحد العلماء، فمثلت هاتين الفهرستين حركة الفهارس في توات، وحافظت على هذا الأسلوب في التحصيل ونشر العلوم وتوثيقها في هذا العصر.

ومما يوفره نصّ المخطوط المحقّق للدارسين والباحثين تراجم لبعض أعلام فاس في عصر المؤلِّف وهم شيوخه، إذ يعرّف بهم ويشير إلى تخصّصاتهم ويتعرض بالوصف لتمكنهم العلمي وعلو مستواهم، وتفانيهم في خدمة العلم، وما يتميزون به من سمات أخلاقية، ويحيل بهذا إلى ما كان عليه الوضع، من حيث الدّراسة والمدرّسون وما يدرّس من علوم وكتب، وبالمسائل الواردة في نص المخطوط، يشير إلى مستوى الفهم والنشاط العلميين الذي كان عليه الطلبة، ويرمي إلي نوعية ودرجة الاهتمامات لديهم.

وما يعكِسه موضوع المخطوط موضِّحا ومفسِّرا، هو أن مدرسة توات مدرسة سارت على نسق مدرسة فاس، إذ هي فرع منها، ساد فيها ما ساد في مدارس فاس من مناهج وعلوم ومرويات وطرق تدريس، وشابهت نهضة توات في القرن الثاني عشر الهجري النهضة العلمية بفاس، وهذه الفهرسة وما حوته الخزائن وما مسته عملية التأليف في توات دليل على ذلك.

وهو بهذا من أهم المؤلّفات في هذا العصر، للدلالة الواضحة على علاقة توات بحواضر العلم بالغرب الإسلامي، وعلى الخصوص بفاس.

ويدل كذلك نصّ المخطوط أن المؤلِّف وبعد رجوعه إلى توات كان على علاقة بفاس، فبعد رجوعه إليها نجده يضع في ترجمته لبعض أشياخه سنة وفاتهم، والتي كانت بعد رجوعه لتوات بكثير، وهي صحيحة مع أنه لم يصرّح بمصادره لهذه المعلومات، وهو ما يدّل على دوام تواصل علاقته بفاس، بطرق التراسل مع أصدقائه وأشياخه هناك في هذا العصر، وقد يُظهر حقيقة هذا التواصل أكثر الغوصُ في خزائن المخطوطات عبر القطر التواتي.

ويُبيّن لنا نصّ المخطوط المحقّق ما كان إليه الرجوع وعليه الاعتماد من المصادر الفقهية والكلامية والصوفية عند العلماء في هذا العصر خاصة في الفقه المالكي، ويلفت نظرنا بهذا إلى عدّة مصادر من أمهات الفقه المالكي، التي جمعت فتاوى وأراء وأقوال وترجيحات واجتهادات أعيان أعلام المذهب، والتي يعتمد على

أصحابها لعلوّ درجتهم وتمكّنهم، ومعظم هذه المصادر لم ير حتى نور الطبع والنشر بغض النظر عن تحقيقها تحقيقا علميا.

ومن خلال تحقيق هذا المخطوط كذلك، نلمَس بعض الجوانب التّسييرية في المدارس والجوامع في هذا العصر بفاس، وطابع العلاقات بين علماء القرويين فيما بينهم، وعلاقتهم بالحكام آنذاك، الأمر الذي يوحي لنا بما كانت عليه الأمور، وإلى ما كان يؤول إليه الوضع العلمي بفاس، من أمثلته ما تشير إليه ترجمة قاضي فاس علي بن عبد الواحد البوعناني الذي ضايق المؤلِّف كما مرّ في مبحث تصدّره للتّدريس بفاس، حيث أن ترجمة هذا القاضي توحي بشيء من ذلك، فلم يكن وصوله لتولّي خطبة وقضاء جامع القرويين إلا بعد سعيه وراء عزل العالم القاضي محمد العربي بردلة أحد شيوخ المؤلِّف الذين درّسوه وترجم له.

ومن أهم النتائج التي قادنا إليها إخراج نصّ هذا المخطوط محققا، هو الإشارة بعد المعاينة، لما عليه حال مخطوطات إقليم توات، فقد أشار البحث إلى عدد منها كان بعضها مصادر معتمدة فيه، معرّفاً بها وداعياً لتحقيقها، ودلّ من خلال ذلك كذلك على أنها غير مفهرسة وغير مرقمة في خزائنها، وبالوقوف على الخزائن ترى المكان والأدراج وكيفية الترتيب، وطريقة التعامل معها، مما يعود بالضرر المادي عليها فيضيع بذلك ميراث وتراث أمة.

ملاحق البحث :

ملحق رقم 01 : شجرة نسب المؤلّف[1].

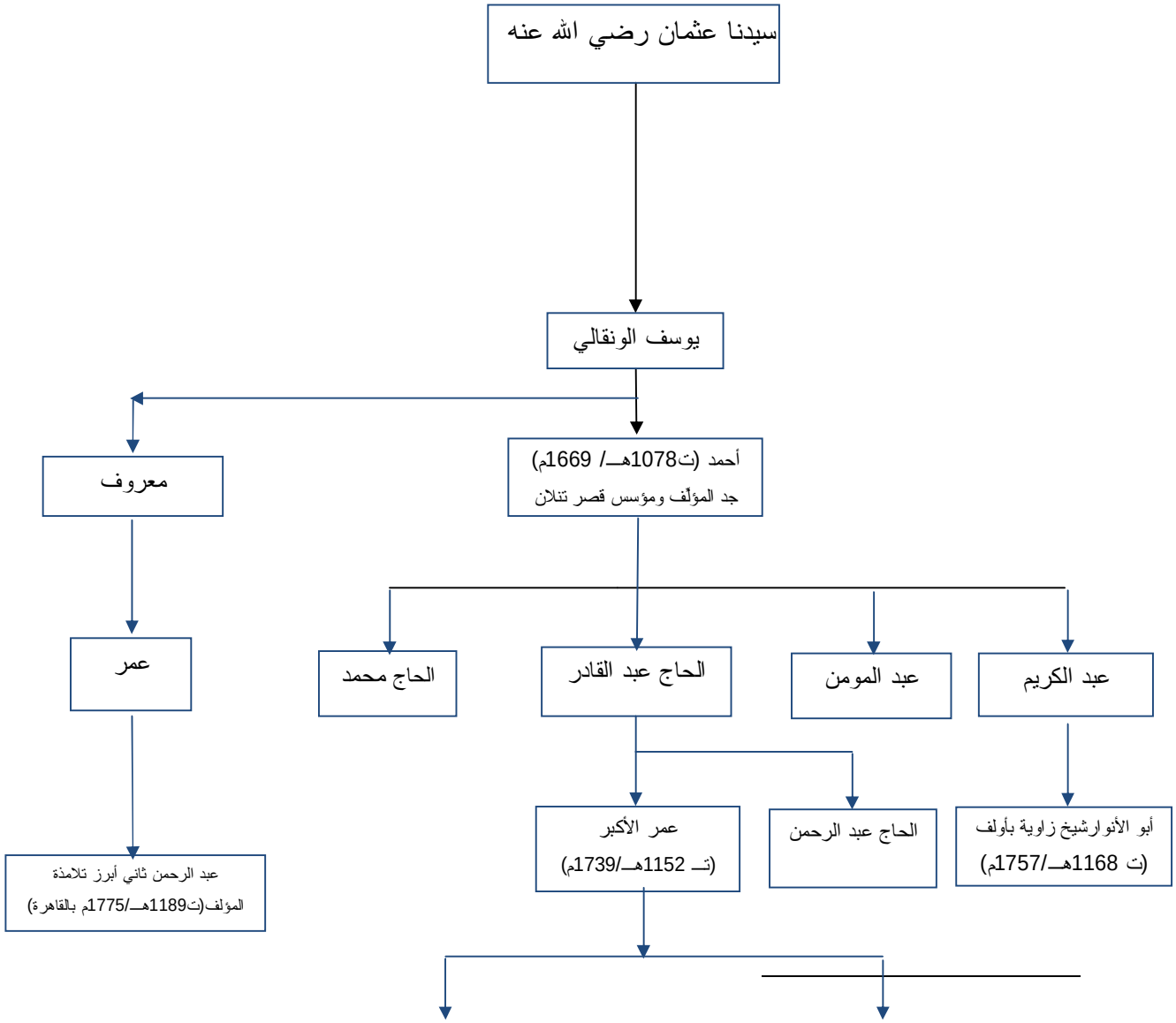

[1]- هذه الشجرة وضعتها استنادا لما صرحت به المصادر المعتمدة ، وهي اختصار لما تقدم بالتفصيل في دراسة أسرة المؤلِّف أهمها :

شجرة نسب أسرة التنلاني، بخزانة بن الوليد، وبن الوليد، قرة الأعيان في ذكر علماء تنلان، مخطوط، ورقة 12 ظ، وعبد العزيز سيد اعمر قطف الزهرات،ص 79، وغيرهما.

الحسن الشاذلي
(ت1173هـ/1761م بفاس)

إدريس
(ت1182هـ/1769م)

ملحق رقم 02: صورة لوجه وثيقة حبوس زاوية تنلان ورسم تأسيسها، مصدرها خزانة ابن الوليد، باعبد الله، وبعده إعادة كتابة نصه.

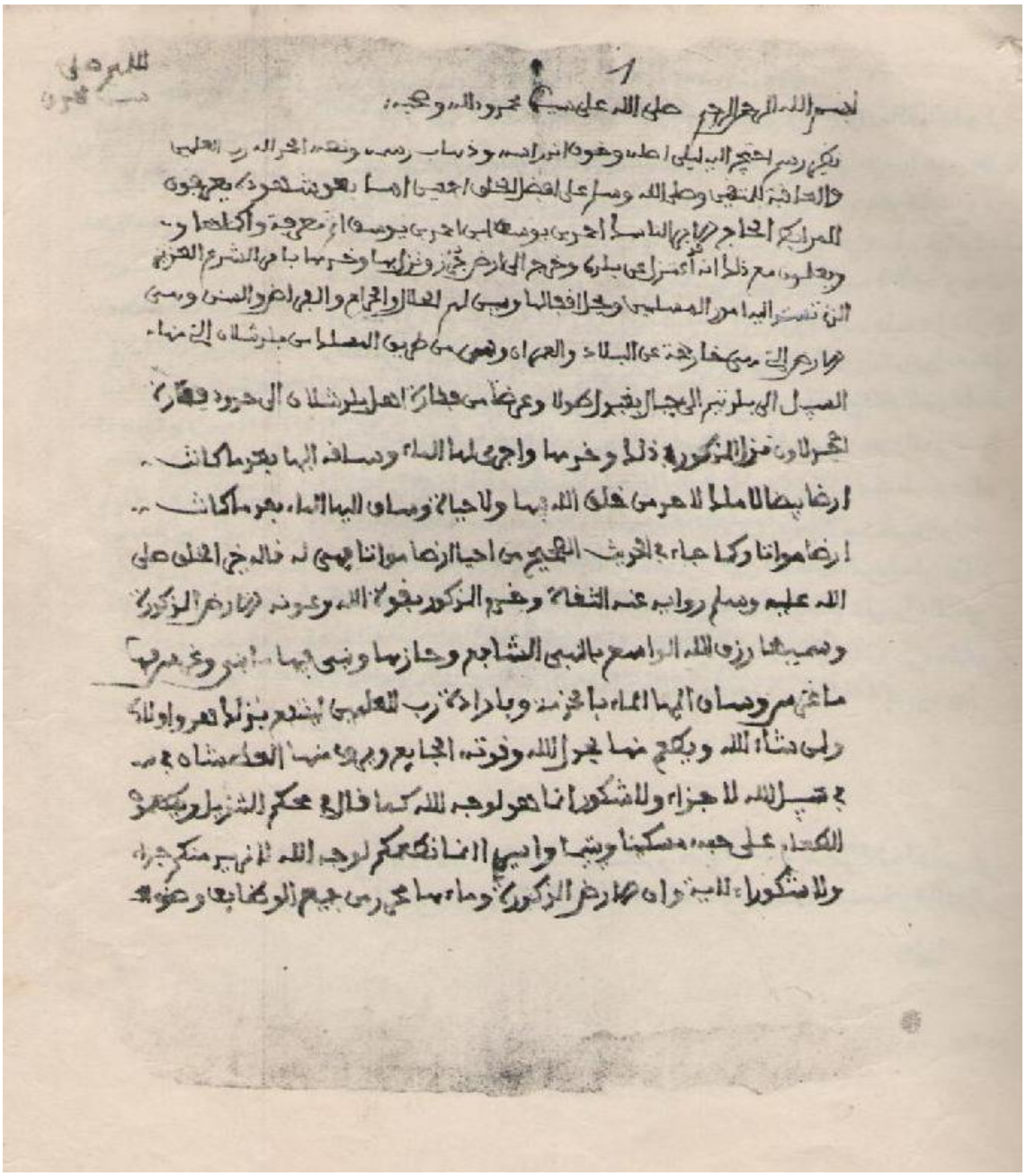

نص وثيقة الحبوس:

ملحق رقم 03 ــ خريطةرقم 01:

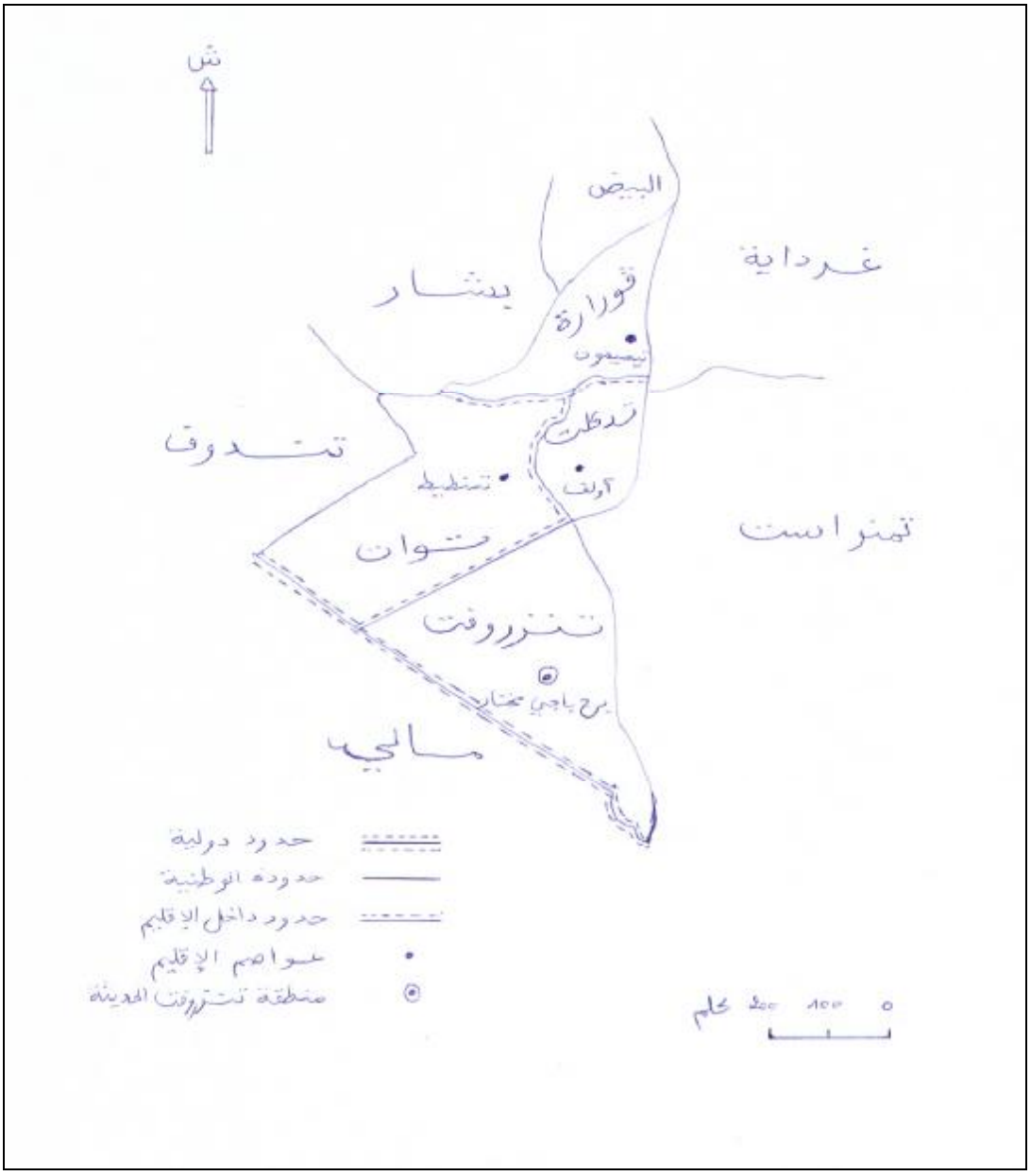

ــ خريطة توضح أقاليم توات الثلاث: توات الوسطى، قورارة، تديكلت.

ـ من إنجاز الطالب.

ملحق رقم 04 ــ خريطة[1] رقم 02:

[1] ـ ج. هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقية الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، 1998، ص167.

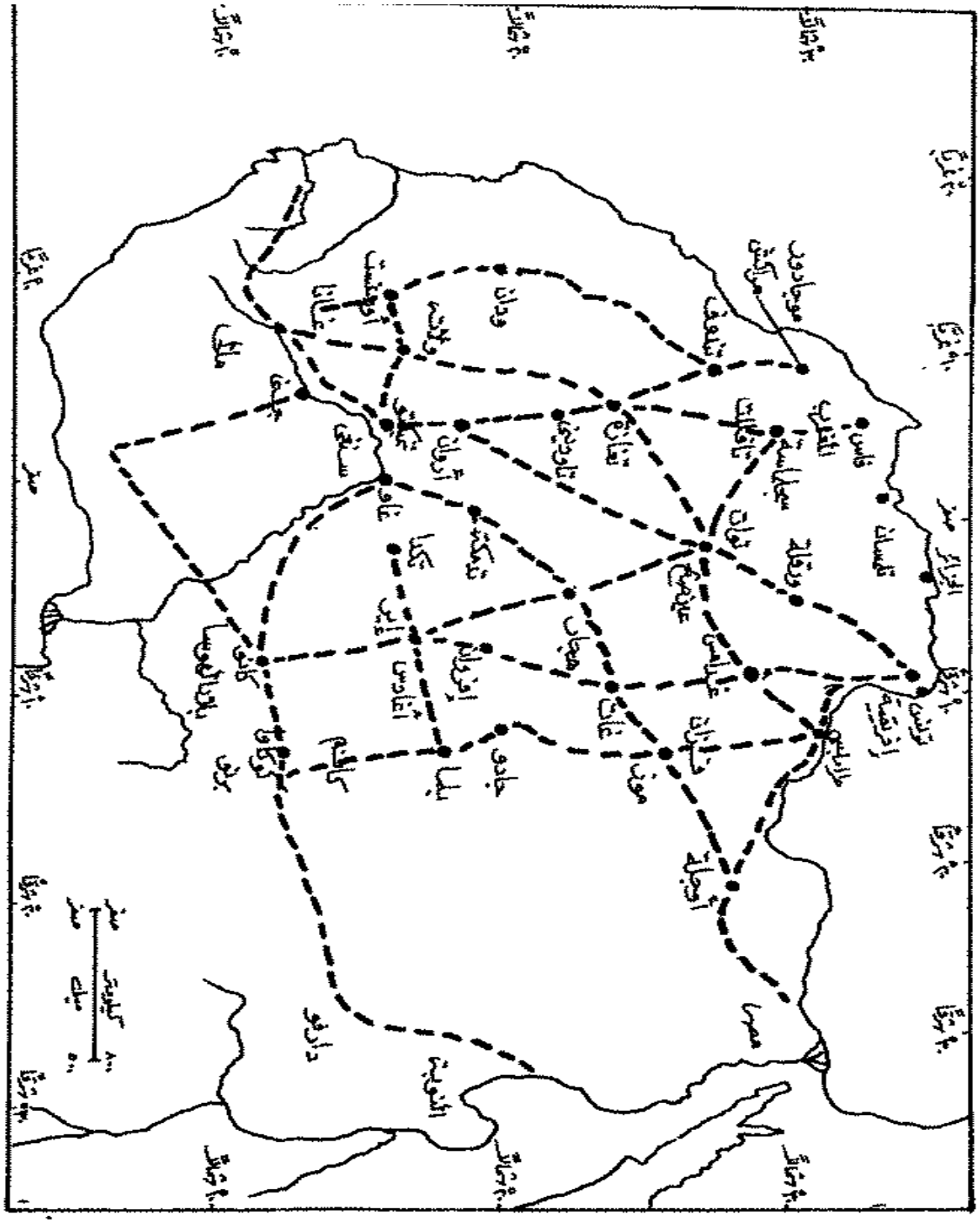

طرق التجارة في الصحراء الكبرى

ملحق رقم 05 ــ ظهر الورقة الأولى من النسخة (ب):

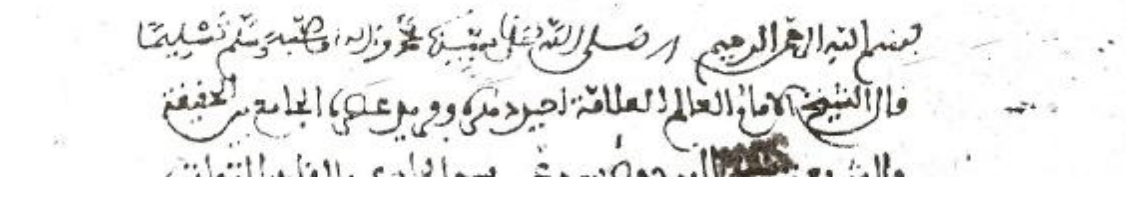

ملحق رقم 06 ــ وجه الورقة الأخيرة من النسخة (أ) :